ناشري

إشكالية التعليم في العالم العربى والإسلامي

دراسة تحليلية

أ. د. عبد المنعم محمد حسين حسانين

إشكالية التعليم في العالم العربي والإسلامي: دراسة تحليلية

أ.د عبد المنعم محمد حسين حسانين

© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة لدار ناشري للنشر الإلكتروني.
www.Nashiri.Net

© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب.
نشر إلكترونيا في محرم، ١٤٣٧/أكتوبر، ٢٠١٥.

يمنع منعا باتًا نقل أية مادة من المواد المنشورة في ناشري دون إذن كتابي من الموقع. جميع الكتابات المنشورة في موقع دار ناشري للنشر الإلكتروني تمثل رأي كاتبيها، ولا تتحمل دار ناشري أية مسؤولية قانونية أو أدبية عن محتواها.

التدقيق اللغوي: خيرية الألمعي.
تصميم الغلاف: إدريس يحيى
الإخراج الفني: ريم الشلوي

نبذة عن الكتاب

إن التعليم في أي مكان وزمان له أهميته الكبرى في تقدم المجتمعات ورقيها؛ لذا فإن كافة المجتمعات سواء المتقدمة أم النامية تولى اهتماما كبيرا لقضية التعليم وتطويره وتجويده حتى يكون التعليم مواكبا ومسايرا لطبيعة التغيرات المتسارعة كنتيجة للتقدم العلمي والتكنولوجي خاصة في عصرنا الحاضر. وسوف يظل التعليم يمثل _ إلى حد كبير _ إشكالية هامة ورئيسة لكل المجتمعات المتقدمة والنامية معا الإسلامية أم غير الإسلامية على حد سواء نتيجة لما تواجهه كافة المجتمعات من تحديات حاضرة قد يعجز التعليم عن مواجهتها بطريقة شاملة. ولعل _ الواقع الراهن _ لظروف وطبيعة المجتمعات الإسلامية في وقتنا الحاضر تجعلنا نشعر بقصور التعليم وعجزه عن مواجهة متطلبات عصرنا الحاضر بصورة تكاد تكون ظاهرة للعيان في كافة الإشكاليات التي تواجه العالم الإسلامي خاصة سمة التخلف العلمي والتقني الذى يكاد يكون سمة ظاهرة لكثير من المجتمعات الإسلامية؛ وقد يكون ذلك التخلف العلمي ناشئا من قصور التعليم كعامل رئيسي وهام من عوامل تخلف المجتمعات، و قد يكون ذلك القصور سببا أو نتيجة لعديد من الإشكاليات التي تعانى منها المجتمعات الإسلامية في وقتنا الحاضر وذلك لتعدد أبعاد إشكالية التعليم وتنوع مصادره ومؤسساته.

لذلك شعر _ الباحث _ بضرورة اجراء دراسة تحليلية تستهدف التعرف على واقع إشكالية التعليم في ضوء علاقتها بإشكاليات المجتمع في أبعادها المتنوعة السياسية والاقتصادية والاجتماعية...إلخ، كما تتناول تلك الدراسة التحليلية ما سوف تكون عليه إشكالية التعليم في ضوء التحديات التي يواجهها العالم العربي والإسلامي في المستقبل القريب أو البعيد، وفى ضوء المجهودات

المبذولة في الوقت الحاضر بالعالم العربي والإسلامي بغرض إصلاح التعليم يناقش الباحث الدور المفقود والغائب للتعرف على الطريق الصحيح لإصلاح التعليم حيث مازال رغم كل تلك المجهودات لإصلاح التعليم إلا أن التعليم في العالم العربي والإسلامي ما زال إشكالية بل تتزايد إشكالية التعليم في الوقت الحاضر حدة وخطورة، في ضوء ذلك يتوصل الباحث إلى عدد من التوصيات والمتطلبات قد تسهم في تقليل حدة إشكالية التعليم بالعالم العربي والإسلامي.

محتـــويات الكتـــــاب

نبذة عن الكتاب ٢
الباب الأول
الدراسة التحليلية الاولى
ماهية وطبيعة اشكالية التعليم في العالم العربي والإسلامي في الوقت الحاضر.. ٦
الفصل الأول
قضية الدراسة: أهميتها وحدودها وإجراءات دراستها..... ٦
الفصل الثاني:
أبعاد إشكالية التعليم كإشكالية ثقافية.....٢٣
الفصل الثالث
البعد التاريخي لإشكالية التعليم في العالم الإسلامي ٣٥
الفصل الرابع
علاقة إشكالية التعليم ببعض إشكاليات المجتمع الأخرى.....٥٤
المبحث الأول
علاقة إشكالية التعليم ببعض إشكاليات المجتمع ذات البعد الديني.....٥٤
المبحث الثاني
إشكالية التعليم وعلاقتها بإشكاليات المجتمع المرتبطة باللغة.....٥٩
المبحث الثالث
علاقة إشكالية التعليم ببعض الإشكاليات المنهجية الخاصة بالمعرفة والفكر ٦٤
الباب الثاني
الدراسة التحليلية الثانية
إشكالية التعليم في العالم الإسلامي وتحديات المستقبل ١٢١
الفصل الخامس: التحديات التي يفرضهاالتعليم الإلكتروني باستخدام خدمات
الإنترنت بفاعلية في التعليم التقليدي.....١٢١
الفصل السادس:

التحديات التي تفرضها طبيعة ونوعية المناهج التعليمية غير التقليدية (المنهج الإنترنتي) على المناهج التعليمية التقليدية السائدة.....١٣٩
الفصل السابع
التحديات العامة التي تواجه العالم الإسلامي في ضوء ثقافة المعلومات وعولمة الثقافة.....١٤٩

الباب الثالث

الدراسة التحليلية الثالثة

قراءة لمشروعات مستقبلية لإصلاح التعليم.....١٧٠

الفصل الثامن: أهمية الدراسات المستقبلية في صنع المستقبل ١٧٠
الفصل التاسع:
قراءة لبعض مشروعات الإصلاح المستقبلية.....١٩١
المبحث الأول: قراءة نقدية لمشروع مصر ٢٠٢٠ دراسة المستقبلات المصرية البديلة (مشروع مصر ٢٠٢٠).....١٩١
المبحث الثاني:
دراسة نقدية لوثيقة مكة (١٦٨) ٢١٩
(الخطة العشرية لمواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين) ٢١٩
استراتيجية تربوية لإصلاح التعليم ٢١٩
الفصل العاشر: المبادئ الإستراتيجية العامة لإصلاح التعليم في العالم العربي والإسلامي في ضوء الدروس المستفادة من مشاريع الإصلاح الحالية.....٢٣٤
قراءة لوثيقة مكة ومشروع ٢٠٢٠م بمصر.....٢٣٤

نداء وأمل.....٢٥٥

الهوامش ومراجع الدراسة مرتبة حسب ورودها في متن الدراسة.....٢٥٦

الباب الأول

الدراسة التحليلية الاولى

ماهية وطبيعة اشكالية التعليم في العالم العربي والإسلامي في الوقت الحاضر

الفصل الأول

قضية الدراسة: أهميتها وحدودها وإجراءات دراستها

هدف ذلك الفصل:

يعتبر ذلك الفصل فصلا تمهيديا للدراسة يوضح فيه الباحث _ إلى حد ما _ نتائج الدراسات والكتابات السابقة في مجال قضية الدراسة الحالية "إشكالية التعليم" من حيث:

١) أهمية التعليم للمجتمعات الإسلامية أو غير الإسلامية

٢) علاقة السبب والنتيجة بين إشكالية التعليم وإشكاليات العالم الإسلامي الأخرى؛ بما يوضح _ إلى حد ما _ أبعاد وحدود "إشكالية التعليم".

٣) دراسات تناولت الأسباب العامة لضعف المجتمعات الإسلامية.
٤) نتائج الدراسات التي تناولت إشكالية التعليم كإشكالية عالمية والجهود المبذولة لمواجهتها.

وفي ضوء عرض نتائج الدراسات والكتابات السابقة في المجالات سالفة الذكر يحاول _ الباحث _ التعرف على حدود وأبعاد قضية الدراسة بغرض تحديد مجال الدراسة الحالية بما يتفق وقدرات الباحث الفردية؛ وقد يتطلب ذلك التحديد ما يلي:

تحديدا لقضية الدراسة بوصفها مشكلة بحثية.

تحديدا لبعض مصطلحات الدراسة.

تحديد التساؤلات التي تحاول الدراسة الإجابة عنها.

وقد يكون لتحديد مجال الدراسة الحالية أهمية في تحديد منهج البحث المستخدم في الدراسة واختيار الأدوات المناسبة لذلك المنهج وتحديد إجراءات وخطوات الدراسة التي تتفق ومنهج البحث المستخدم لغرض الإجابة عن تساؤلات الدراسة.

أولا: الدراسات السابقة حول أهمية التربية والتعليم

تعددت وتنوعت الكتابات والدراسات التي أوضحت في نتائجها أهمية التربية وأهمية التعليم لكل من الفرد والمجتمع ولعل منها على سبيل المثال لا الحصر: دراسات عبد الله عبد الدائم عن التربية وتنمية الموارد البشرية، التعليم الجامعي والعالي في مواجهة التغير الجذري السريع في البنى الاقتصادية والاجتماعية للعالم الحديث اليوم وفى مواجهة وعود المستقبل، التعليم العالي وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي (١)، (٢)، (٣) •.

• : يشير الرقم الأول بين القوسين إلى رقم المرجع في قائمة المراجع والهوامش في نهاية الدراسة مرتبة حسب ورودها في متن الدراسة، كما يشير الرقم أو الأرقام التالية _ إن وجدت_ إلى رقم الصفحات بالمرجع.

كما عقدت العديد من المؤتمرات والندوات وحلقات المناقشة لتدارس طبيعة وأهمية التعليم في العالم الإسلامي ومن تلك المؤتمرات: مؤتمر "نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة"، وقد انعقد المؤتمر في الفترة من ٢_٥ محرم ١٤١١هـ (يوليو ١٩٩٠) وقد دُرس في ذلك المؤتمر العديد من قضايا التعليم وأُبرزت أهمية التعليم في بناء الإنسان والعالم المسلم ولعل من أبرز تلك الدراسات في ذلك المؤتمر والتي توضح أهمية التعليم ومؤسساته في إعداد العالم المسلم دراسة اسحق فرحان وآخرون عن دور الجامعات في إعداد العالم المسلم في العلوم الإنسانية والاجتماعية (٤)

كما تعددت المراجع والكتب التي أُعدت ووُضّح من خلال موضوعاتها أهمية التربية والتعليم في تقدم المجتمعات وبناء الإنسان ومنها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب التربية والتقدم تأليف سعد مرسى أحمد (٥) ، ومنهج التربية في التصور الإسلامي تأليف على أحمد مدكور (٦) ، وكتاب عبدالله عبد الدائم عن : دور التربية والثقافة في بناء حضارة إنسانية جديدة (٧)

كما ظهرت العديد من الكتابات والدراسات التي توضح أهمية التعليم في مواجهة تحديات المستقبل ومن تلك الدراسات دراسة هدى حسن عن: التعليم وتحديات ثقافة العولمة (٨)

ثانيا: الدراسات والكتابات السابقة حول إشكالية التعليم وعلاقتها بالإشكاليات الأخرى

لعل المتصفح للدراسات والكتابات السابقة حول إشكالية التعليم يلاحظ أن كثيرا منها أوضحت نتائجها عن وجود "إشكالية التعليم في العالم الإسلامي" من خلال عرض مظاهر دالة على تلك الإشكالية سواء كانت تلك المظاهر تعتبر سببا لتلك الإشكالية أم كانت تلك المظاهر نتيجة لقصور التعليم في العالم الإسلامي عن تحقيق أهدافه ومن تلك الكتابات والدراسات ما يلي:

١) دراسة توفيق السيف عن: نماذج من القضايا والإشكاليات في الفكر السياسي وهو كتاب للدفاع عن الحركة الدستورية التي ظهرت بإيران في الربع الأول من

القرن الرابع عشر الهجري والتي نجحت في إيجاد نظام دستوري وفتحت أبواب الحرية العامة للناس؛ ولعل ذلك الكتاب يوضح البعد السياسي لإشكالية التعليم في العالم الإسلامي حيث أن التخطيط للتعليم وبرامجه بتأثر بشكل مباشر بالفكر السياسي بالمجتمع (٩)

٢) دراسة سامي منصور عن إشكالية تكوين الثروة الاجتماعية بالعالم الإسلامي (١٠) وما يشابه تلك الدراسة من دراسات توضح ارتباط إشكالية التعليم بإشكالية الفقر والبطالة بالعالم الإسلامي باعتبارها سببا لعجز التعليم عن تحقيق أهدافه في ضوء فقر الامكانات المادية الضرورية للصرف على التعليم وتمويله بالعالم الإسلامي وقد أشارت إلى تلك الإشكالية بصورة مباشرة الدراسات التي نوقشت في الدورة الوطنية لبرلمان الطفل بالمغرب في ٢٥ مايو عام ٢٠٠٠م حيث أوضحت نتائج تلك الدراسات عن وجود "إشكالية تمويل برامج متعلقة بالطفل عن طريق الميزانيات العمومية أو عن طرق أخرى (١١) ، ولعل تلك الدراسات وغيرها وضح البعد الاقتصادي لإشكالية التعليم في العالم الإسلامي.

٣) أوضح برنامج ٢٠٠٢/٢٠٠٣م في مناقشة موضوع: التزام الهيئات الدينية في الدفاع عن الحريات وحقوق الإنسان عن وجود إشكاليات قد تكون أيضا سببا أو نتيجة لإشكالية التعليم، وهي: إشكالية الهوية الدينية، وإشكالية التنمية الشاملة؛ وقد يوضح ذلك البعد الديني لإشكالية التعليم بالعالم الإسلامي وعلاقته بالتنمية الشاملة في المجتمعات الإسلامية (١٢)

٤) أوضحت نتائج كثير من الدراسات عن إشكالية التحريف المتعمد لمفاهيم ومبادئ الإسلام خاصة في بعض الكتب المدرسية التي تدرس بالعالم الغربي مما يؤكد عملية الخلط والتشويه فيما يدرس عن الإسلام والمسلمين بالمناهج الدراسية بأوربا ومن تلك الدراسات دراسة البروفسير عبد الجواد فلا تورى وتوروشكا التي استهدفت تحليل العديد من الكتب المدرسية التي تدرس بأوربا؛ وقد توضح نتائج تلك الدراسة التعمد الواضح لتشويه صورة المسلمين في الغرب

وقد يكون ذلك دلالة على ضعف التعليم والإعلام في العالم الإسلامي عن إبراز أهمية المبادئ والقيم الإسلامية باعتبارها منهجا شاملا لرقى البشرية في كل مكان وزمان(١٢) كما توضح بعض الدراسات مدى اهتمام الأجانب بالثقافة العربية الإسلامية مثل دراسة رشدي أحمد طعيمة عن: اهتمامات الأجانب نحو الثقافة العربية الإسلامية (١٣)

وتوضح تلك الدراسات وغيرها ما يحاك للمسلمين من دسائس عدائية بهدف تشويه صورة المسلمين والإسلام ومن تلك الدسائس ما هو واضح للعيان في الوقت الحاضر من مظاهر دالة على ذلك ومنها: إشكالية ربط التطرف والإرهاب بالمسلمين، إشكالية ربط التدين بالإرهاب، إشكالية ربط الإرهاب والتدين بالطوائف خاصة طائفة المسلمين (١٤)

٥) دراسات أوضحت بعض الإشكاليات الخاصة بالتعليم بلغة الأم في بعض المجتمعات الإسلامية خاصة في كثير من الدول الأفريقية مثل جيبوتي وأثيوبيا أو التعليم باللغة العربية في البلاد الناطقة بها وظهور مدارس للتعليم بلغات أجنبية غير اللغة العربية (١٥)

٦) دراسات تناولت إشكالية توجيه العلوم إسلاميا خاصة في ذلك العصر العلمي الحاضر وكان نتيجة ذلك ظهور العديد من المصطلحات الحديثة منها: إسلامية الحياة، إسلامية المعرفة، التوجيه الإسلامي للعلوم، التأصيل الإسلامي للعلوم وقد ظهرت لذلك معاهد مثل: معهد الفكر الإسلامي بواشنطن ومركز التأصيل الإسلامي للعلوم التابع لمركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، وقد قام الباحث بعديد من الدراسات في ذلك المجال منها: دراسة نقدية لاتجاه إسلامية العلوم الطبيعية (١٩٨٧)(١٦)، منهج الإسلام في تغيير المنكر(١٩٩٧) (١٧)، الإسلام والأزمة البيئية في عالمنا المعاصر (١٩٩٨)(١٨)، ودراسة عن فنون التعليم والتعلم عند بعض مفكري التربية الإسلامية (١٩٩٤)(١٩) وهى دراسة قام بها بتكليف من مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مشاركة منه في حركة التأصيل الإسلامي للعلوم، كما قام رشدي أحمد طعيمة بدراسة عن معوقات توجيه العلوم إسلاميا: أسبابها وطرق علاجها (٢٠)
ولعل مثل تلك الدراسات وغيرها كثير يوضح بعدا آخر من أبعاد إشكالية التعليم في العالم الإسلامي وهي إشكالية العلاقة بين العلم والدين والتوجيه الإسلامي للعلوم خاصة في هذا العصر العلمي الحاضر.
٧) ظهرت العديد من الدراسات التي توضح إشكالية أخرى نابعة من طبيعة النظام العالمي الجديد ومأزق الشرق الأوسط والصراع العربي الإسرائيلي والمناداة بضرورة إحلال ثقافة السلام بدلا من ثقافة الحرب وضرورة التعايش والتفاهم الدولي، ويرتبط بذلك أيضا إشكالية سكان الحدود وإشكالية يهود آسيا وأفريقيا، وإشكالية الهيمنة الأمريكية على العالم وإشكالية ثقافة العولمة... وغير ذلك من إشكاليات أفرزها ويفرزها دوما النظام العالمي الجديد الذى تتزعمه أمريكا بعد سقوط الشيوعية؛ ولعل كل تلك الإشكاليات تمثل تحديا ت كبرى تواجه التعليم في العالم الإسلامي مما قد يجعله غير قادر في ظل الضعف الحاضر للمسلمين من مواجهتها، ولعل ذلك الواقع الراهن يجعل من التعليم في العالم الإسلامي ليس إشكالية قد يكون العالم الإسلامي قادر على مواجهتها في الوقت الحاضر بإمكاناته الراهنة بل قد يجعل من "إشكالية التعليم" في العالم الإسلامي إشكالية بالغة التعقيد في ظل ارتباطها بكثير من العوامل والمتغيرات الداخلية والخارجية علاوة على ارتباطها بالعديد من الإشكاليات المجتمعية التي يعاني منها العالم الإسلامي والتي قد تكون سببا أو نتيجة لقصور التعليم في الوقت الحاضر عن تحقيق أهدافه ومن أبرز تلك الإشكاليات ما يلي:
١) إشكالية ضعف المجتمعات الإسلامية وتبعيتها في ضوء ذلك الضعف لمجتمعات غير إسلامية (٢١)
٢) إشكالية الفقر والبطالة في كثير من المجتمعات الإسلامي (٢٢)
٣) إشكالية الحوار مع الآخر خاصة المجتمعات غير الإسلامية في ضوء الخلط والتشويه المتعمد في الغرب لصورة الإسلام والمسلمين (٢٣)

٤) إشكالية الحوار مع الذات (الحوار بين الفرق الإسلامية نفسها) والتي تعددت واختلفت فيما بينها في الأصول والفروع الفقهية والدينية مما يجعل التفاهم فيما بينها يعد من الأمور العسيرة والصعبة المنال (٢٤)

٥) إشكالية الحفاظ على الثقافة الذاتية في ظل تحديات ثقافة العولمة (٢٥)

٦) إشكالية ممارسة الديموقراطية في كثير من المجتمعات الإسلامية (٢٦)

٧) إشكالية التفاعلات الأثينية العدائية في داخل بعض المجتمعات. (٢٧)

٨) إشكالية إصلاح الفكر الإسلامي وتجديده (٢٨)

٩) إشكالية تفاوت الأفراد في الثروة (٢٩)

١٠) إشكالية المسألة السكانية (٣٠)

١١) إشكالية الوساطة وتدخل أصحاب النفوذ كإشكالية اجتماعية ونفسية (٣١)

١٢) إشكالية انعدام التخطيط للقوى العاملة وارتباط ذلك بالتعليم (٣٢)

١٣) إشكالية التعصب الإقليمي

١٤) إشكالية تخلف الإبداع وجموده(٣٣)

١٥) إشكالية التقوقع على الذات وضعف الانفتاح على العالم(٣٤)

١٦) إشكالية سلطان الماضي والعودة للماضي (٣٥)

١٧) إشكالية ضعف النظرة المستقبلية(٣٦)

١٨) إشكالية رفض التغيير والتحلي بروح المحافظة

١٩) إشكالية ضعف النخبة

٢٠) إشكالية ضعف القدرة التنظيمية والإدارية. (٣٧)

ثالثا: دراسات وكتابات سابقة حول الأسباب العامة لضعف المجتمعات الإسلامية

تعددت الدراسات التحليلية للتعرف على أسباب الضعف للمجتمعات الإسلامية _ في الوقت الحاضر _ مقارنة بالمجتمعات الأخرى غير الإسلامية بعد أن كانت الأمة الإسلامية في عهدها الأول أمة حضارة عريقة في الوقت الذي كانت فيه

كثير من المجتمعات الأخرى غارقة في ظلام التخلف والجهل ومن تلك الدراسات على سبيل المثال:

١) دراسة عبد الله سليمان المشوخي (٣٨) عن "مجتمعنا المعاصر: أسباب ضعفه ووسائل علاجه" وهى دراسة تقدم بها الباحث للحصول على درجة الدكتوراه منشورة في كتاب ، وقد أوضح الباحث في تلك الدراسة : حالة المجتمعات البشرية قبل الإسلام أسس المجتمع الإسلامي في عهد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وما كان يتسم به ذلك المجتمع من تقدم ثقافي وحضاري وتأثير تلك الحضارة الإسلامية على تقدم ورقى كثير من المجتمعات الأخرى الت كانت غارقة في ظلمات الجهل والتخلف . ثم ناقش حالة مجتمعنا الإسلامي المعاصر – في الوقت الحاضر ـ وحالة الضعف المزرية التي يعانيها محللا أسباب ذلك الضعف وقام بتصنيف تلك الأسباب إلى:

١) أسباب داخلية منها: سوء فهم العقيدة ـ قصور مفهوم العبادة ـ عدم الحكم بما أنزل الله ـ تعطيل الجهاد ـ التهاون في القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ إهمال الجانب الاجتماعي والخلقي ـ ظهور مذاهب فكرية معاصرة.

٢) أسباب خارجية وقام بتحديدها في الدور الذي قام به اليهود والنصارى في الكيد للدعوة الإسلامية منذ عهد الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ حتى وقتنا الحاضر وفند الباحث محاولات اليهود في الكيد للدعوة الإسلامية فيما يلي:

٢-١- محاولتهم قتل الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ

٢-٢- محاولتهم بث الفرقة في الصف المسلم .

٢-٣- الغدر ونقض العهود

٢-٤- الصد عن الإسلام

٢-٥- النفاق

٢-٦- الدخول في الإسلام ثم الارتداد عنه بهدف الفتنة

٢-٧- الكذب والافتراء للطعن في الدين

٢-٨- الضغط على من أسلم منهم.

٢-٩- وسائل اليهود للكيد بالدعوة الإسلامية في عهد الخلافة العثمانية ومنها: المحافل الماسونية _ الدعاية الكاذبة –استغلال ضعاف النفوس – الاستعانة بدول أوربا في تحقيق أهدافهم – تكوين جمعيات مناهضة للإسلام _ إيقاع الصراع بين العرب والأتراك تمهيدا لتدمير الخلافة – إثارة النعرة القومية والعنصرية في تركيا – تقسيم العرب إلى دويلات ضعيفة وهزيلة – احتلال فلسطين وسلبها كوطن قومي لهم بمساندة النصارى... ازدياد أطماعهم في السيطرة على مقدرات المجتمعات الإسلامية المجاورة لفلسطين والتهديد المستمر لها حتى وقتنا الحاضر بمساندة النصارى.

٢-١٠- وعن دور النصارى في الكيد للدعوة الإسلامية أوضح الباحث بعض الوسائل التي اتبعوها لذلك الغرض ومنها: كيدهم للدعوة الإسلامية في عهد الرسول _ الحروب الصليبية المتعددة – دور هم في تدمير الخلافة العثمانية – التبشير وإرسال بواعث التبشير في العالم الإسلامي ووسائل تلك البعثات المتعددة ومنها: (إفساد المرأة والدعوة لتحررها – التبشير عن طريق التعليم – التبشير لتحقيق أهداف الاستعمار الاقتصادية) – الاستشراق ودوافعه الكيدية ومحاولاته بغرض (التشكيك بالإسلام وبصحة رسالة النبي _عليه الصلاة والسلام –التشكيك في أحاديث رسول الله _عليه الصلاة والسلام _ التشكيك بالحضارة الإسلامية).

٢-١١- الغزو الفكري في الوقت الحاضر للمجتمعات الثقافية والذى يمثل اختراقا للثقافة الإسلامية من خلال : نشر الفكر المعادي للإسلام – نشر الانحلال الأخلاقي ـ التغريب – التشكيك والتهكم بعلماء الإسلام وتمجيد الممثل والمغنى والراقصة –استغلال الموارد الاقتصادية وإدخال المؤسسات الربوية داخل البلاد الإسلامية في محاولة لخلق نظام اقتصادي مخالف لمبادئ الإسلام – تشجيع ظهور التيار الإلحادي.

وفي ضوء تلك الأسباب حاول الباحث تحديد وسائل العلاج والقوة والتي حددها في:

١) إعادة بناء الفرد المسلم من خلال: تصحيح مفهوم العقيدة لدى الفرد وتعميق الإيمان بالله – العبادات وأثرها في بناء الفرد _ الأخلاق وأثرها الهام في تكوين الفرد المسلم.

٢) بناء الأسرة المسلمة من بداية لاختيار الزوجة الصالحة وتربية الأبناء في ضوء معرفة حق الأبناء على الآباء وحق الآباء على الأبناء وكذلك ارتباط الأسر ببعضها خاصة ذوو الأرحام.

٣) بناء المجتمع المسلم: من خلال وحدة الفكر والتصور في ظلال القرآن ومراعاة بعض الجوانب التي تتعلق بوحدة الفكر والتصور وهي: الشمولية _ التطبيق العملي _ النظر إلى اختلاف الفقهاء في الأحكام ليس على انه اختلاف يدعو للفرقة والابتعاد عن أصل الدين ولكن ينظر إليه على أنه دلالة على غنى وسعة الأحكام الإسلامية ويسر الشريعة الإسلامية _ وحدة الهدف والمصير.

٤) بناء الدولة المسلمة من خلال:

٤-١- القيام بواجبها تجاه الأفراد في الداخل ومنها : (كفالة الأفراد – كفالة أهل الذمة _ تطبيق حدود الله _ المساواة _ العدل _ حرمة المسكن _ الحرية وتشمل حرية الاعتقاد وحرية التفكير والرأي وحرية العمل والتملك) _ حق العلم

٤-٢- حماية الأفراد من الخطر الخارجي من خلال : الدفاع عن دار الإسلام _ مواجهة الغزو الفكري _ تدوين العلوم وفق مبادئ الإسلام.

وأوضح الباحث في نهاية دراسته أن إعادة البناء للمجتمع الإسلامي يتطلب طريقين هما:

١) الطريق الأول: الوعي الإسلامي الشامل: من خلال تصحيح المفاهيم الإسلامية ونشرها خاصة بين من يتعمدون الإساءة لها بالفكر أو العمل وتحريفها وتشويهها من إعداء الإسلام

٢) الطريق الثاني: التغيير بالقوة: ولكن قد يكون ذلك الطريق وعرا في الواقع الحاضر لعدم تملك المجتمع الإسلامي لأسباب القوة التي تمكنه من التغيير بالقوة وتبعية الكثير من المجتمعات الإسلامية لمجتمعات غير إسلامية لكي توفر

لنفسها مقومات الحياة، علاوة على أن التغيير بالقوة وإزالة المنكر ينبغي ألا يؤدى إلى إحداث منكر أكبر.

لعل تلك الدراسة أوضحت _إلى حد كبير _ الأسباب العامة لضعف المجتمع الإسلامي بعد أن كان مجتمعا قويا وذلك قد يكون لأسباب خارجة قوية أكثر من الأسباب الداخلية ولعل الأسباب الخارجية هي السبب في ظهور الأسباب الداخلية وقد تكون كثير من تلك الأسباب قد استخدمت التعليم وسيلة لها من خلال تشويهه وإضعافه حتى يصبح المجتمع الإسلامي ضعيفا كما خطط له أعداء الأمة الإسلامية ومازالوا سواء كانت تلك المناهج تدرس في دول غربية غير إسلامية وتستهدف تشوية صورة المسلمين ومبادئ الإسلام كما في دراسة عبد الجواد فلا توري (٣٩) أو تدرس في مجتمعات إسلامية وتسهم بشكل مباشر أو غير مباشر في تعميق أسباب ضعف المجتمعات الإسلامية ومنها دراسة جواد رضا عن "تدريس التاريخ وشخصية البعد الواحد في المجتمع العربي" والتي تركز على النظرة الأحادية الرؤية لتفسير الأحداث والدوافع الإنسانية الكامنة وراءها خاصة التاريخية ويعنى ذلك تفسير الأحداث بسبب أو عامل واحد وفى بعض الأحيان يتم التعصب له دون النظر لتواجد عوامل أخرى قد تكون لها أثر في ظهور تلك الأحداث كمثال لذلك تفسير فتح عمورية مثلا لأن السبب في ذلك امرأة عربية استجارت بالمعتصم بالله... وهكذا كثير من الأحداث وقد يتعصب البعض لبعض الأسباب المرتبطة بالماضي دون النظر إلى عوامل أو اسباب أخرى وذلك لسطوة الماضي وسلطانه عليهم إلى حد التقديس (٤٠)

ولقد أوضحت نتائج كثير من المؤتمرات وحلقات المناقشة التي عقدت لتدارس أسباب أزمتنا التربوية أن من تلك الأسباب: العزلة الحضارية _ غياب العقلانية _ التعلق بالماضي ومن تلك الدراسات دراسات زكى نجيب محمود عن: موقف الثقافة العربية من مواجهة العصر (٤١) ودراسته عن: الحضارة وقضية التقدم والتخلف في أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي (٤٢) ودراسة جواد رضا عن : التربية والتبدل الاجتماعي في الكويت والخليج العربي (٤٣)

ولعل تلك الدراسات توضح بجلاء أن العالم الإسلامي اليوم معرض للخطر وأن التعليم فيه يمثل إشكالية حقيقية في حاجة جادة لمواجهتها.

رابعا: الدراسات والكتابات السابقة حول إشكالية التعليم كإشكالية عالمية

ولعل تلك الإشكاليات وغيرها كثير قد تساهم في تفاقم إشكالية التعليم في العالم الإسلامي بصورة خاصة، كما أن وجودها في مجتمع ما إسلامي أم غير إسلامي قد يتسبب في تعرض تلك المجتمعات للخطر وقد يجعل التعليم ومؤسساته المختلفة في أزمة تبحث عن مخرج لها وهذا ما دعا بكثير من المجتمعات لمراجعة نظام التعليم لديها بغرض الخروج من أزمة التعليم التي يعانيها المجتمع ولعل أبرز مثال على ذلك الولايات المتحدة الأمريكية حيث ظهر في أمريكا في الخمسينات من القرن العشرين تقرير يحذر من أزمة التعليم في أمريكا بعد إطلاق الروس للقمر الصناعي قبل أمريكا وكان عنوان التقرير : أمة في خطر وقد أوضح التقرير أهمية إعادة النظر في التعليم بأمريكا للخروج من أزمة التعليم حينئذ ، ولقد تكرر نفس الموقف أيضا في عام ١٩٨٣ م حيث ظهر تقرير رئاسي بعنوان: أمة معرضة للخطر Nation at Risk ، ويحذر ذلك التقرير من عدم صلاحية نظام التعليم الأمريكي لإعداد المواطن للقرن الحادي والعشرين وهو تقرير مبنى على عشرات من الدراسات والبحوث (٤٤)

كما عقدت الكثير من المؤتمرات الدولية بغرض دراسة "إشكالية التعليم" منها المؤتمر الدولي حول التربية للجميع (جومتين _ تايلاند) في الفترة من ٥_ ٩ مارس عام ١٩٩٠ م وبحضور أكثر من (٢٠٠٠) الفين مشارك يمثلون ١٦٢ دولة ولقد كان نتيجة ذلك الاهتمام الدولي بإشكالية التعليم الكثير من الجهود الدولية لمواجهة إشكالية التعليم ومنها:

١) إعلان الأمم المتحدة عام ١٩٩٠ م عاما دوليا لمحو الأمية.
٢) إعلان عقد التسعينات بالقرن العشرين عقدا للطفولة وعقدا للتنمية الثقافية
٣) إعلان بدء التحالف الدولي من أجل التربية للجميع عام ١٩٩٠م

٤) تبنى إستراتيجيات قطرية وإقليمية ودولية للعمل التربوي منها: إستراتيجية تطوير التربية العربية، الخطط القومية لمحو الأمية وتعميم التعليم الابتدائي (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)، إستراتيجية تطوير التعليم بمصر ١٩٨٦، برنامج دول آسيا والباسفيك للتربية للجميع (١٩٨٨)APPEAI ، حلقة دولية عن مستقبل التربية وتربية المستقبل (المعهد الدولي للتخطيط التربوي ١٩٧٨)، استراتيجية للتربية : أمريكا عام ٢٠٠٠م) (١٩٩١م)(٤٥).

النتائج المستفادة من الدراسات والكتابات السابقة والشعور بمشكلة الدراسة

يتضح من عرض الكتابات والدراسات أن "إشكالية التعليم" تعتبر إشكالية دولية وليست خاصة فقط بدول العالم الإسلامي فقط بل تهتم بها دول العالم أجمع وقد يطلق عليها أيضا أزمة التعليم في عالمنا المعاصر كما أوضح ذلك فيليب كومبز في كتابيه: أزمة التعليم في عالمنا المعاصر، أزمة العالم في التعليم من منظور الثمانينات (٤٦) (٤٧).

ورغم أن "إشكالية التعليم" إشكالية دولية إلا أن خطرها ودرجة تفاقمها في العالم الإسلامي – في الوقت الحاضر يعتبر عاليا إذا ما قورنت بكثير من المجتمعات غير الإسلامية الغربية وذلك لهوة التخلف السحيقة في العالم الإسلامي بالمقارنة بالمجتمعات الغربية ولتأثر العالم الإسلامي بكثير من الإشكاليات التي قد تكون سببا أو نتيجة لضعف التعليم في العالم الإسلامي مما يدعو إلى ضرورة دراسة "إشكالية التعليم في العالم الإسلامي" والخروج بتقرير يوضح بحق أن "العالم الإسلامي معرض للخطر"

تحديد حدود الدراسة الحالية:

توضح طبيعة الدراسات والكتابات السابقة تعدد أبعاد إشكالية التعليم وتعدد إشكاليات المجتمع الأخرى التي ترتبط بإشكالية التعليم كسبب لها أو كنتيجة لضعف التعليم بالعالم الإسلامي ولذا ينبغي تحديد قضية الدراسة في حدود واضحة يسهل على الباحث دراستها ولكي يتحقق ذلك الهدف قام الباحث بتحديد ما يلي:

أولا: تحديد مصطلح "إشكالية التعليم"

ورد في كتاب مختار الصحاح (٤٨ ، ٣٤٤) عن معنى "أشكل" بمعنى التبس الأمر، وذلك يعنى أن مصطلح "إشكالية" لغويا يعنى أن الموضوع المعطوف على تلك الكلمة أصبح يمثل موضوعا قد يلتبس علينا الأمر فيه إذا ما اقترحنا أساليب أو وسائل نراها حلا لقصوره فقد لا تجدى تلك الوسائل أو الأساليب ونظل في حيرة والتباس بشأن ذلك الموضوع وذلك لتعقد أبعاده وعوامله ومؤسساته

وإذا كان المعنى اللغوي غامضا فهل يمكن تبنّي تعريف إجرائي يتفق وطبيعة قضية الدراسة الحالية؟

في ضوء العرض السابق للكتابات والدراسات السابقة حول مظاهر إشكالية أو أزمة التعليم يمكن تحديد تعريف إجرائي لمصطلح إشكالية التعليم هو:

إشكالية التعليم: القضية المحورية لكل ما قد يواجه المجتمع من إشكاليات فقد تكون إما سببا أو نتيجة لما قد يواجه العالم الإسلامي من إشكاليات ثقافية متنوعة لتنوع أبعادها: السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الإعلامية أو المنهجية أو العالمية (الكونية)... ولارتباط "إشكالية التعليم" بالعديد من إشكاليات المجتمع فقد يلتبس الأمر عند من يقوم بدراستها من حيث معرفة أي تلك الإشكاليات سببا لها وأيها تعتبر نتيجة لها وقد يخلط بينهما مما يوقع الدارس أو الباحث في لبس وحيرة وقد تظل تلك الحيرة ما لم يوفق في إزالة ذلك الالتباس.

وينسحب ذلك التعريف على تعريف كل إشكالية بالمجتمع، ولذلك فينبغي أن نفرق بين كلمات قد يظن البعض أنها مترادفات وهى غير ذلك مثل: مشكلة / إشكالية / أزمة... وذلك لأن البعض قد يعبر عن إشكالية التعليم بمعنى: أزمة التعليم أو مشكلة التعليم وذلك في رأى ـ الباحث ـ قد يكون غير صحيح لأن مفهوم الإشكالية أعم والمفاهيم الأخرى أخص حيث أن مفهوم أزمة قد تطلق على واقع معين للتعليم في فترة زمنية محدودة مثل ما عبر به فيليب كومبز في

كتابه: أزمة العالم في التعليم من منظور الثمانينات ..(٤٩)، ومصطلح مشكلة أيضا قد يعبر عن حالة راهنة للتعليم في ضوء قصوره عن تلبية حاجة ما اجتماعية أو فردية ويمكن في ضوء معرفة تلك الحاجة التوصل إلى حل لتلك المشكلة باستخدام طرق علمية متعددة مثل: طريقة حل المشكلات أو أسلوب تحليل النظم وغير ذلك من طرق علمية قد يتوصل بها الباحث إلى حل لتلك المشكلة وإزالة الحالة الراهنة الناتجة من قصور التعليم في تلبية حاجة ما للفرد أو المجتمع. بينما مصطلح (الإشكالية) قد يعني أن هناك حالة ليست مرتبطة بفترة زمنية فحسب بل أن تلك الحالة قد تكون واقعا معاشا على امتداد فترات زمنية وليست فترة زمنية محددة بعينها، كما يشير أيضا إلى تعدد الحاجات التي لم تحقق بعد وليست حاجة بعينها مما قد يوحي إلى تعدد المشكلات التي يمكن أن تتضمنها تلك الإشكالية، علاوة على ارتباط الإشكالية _ موضوع الدراسة _ بالعديد من الإشكاليات الأخرى مما قد يزيدها تعقيدا قد يوقع الباحث أو الدارس لها في التباس وحيرة من أمر تلك الإشكالية وقد لا يستطيع التمييز أي تلك الإشكاليات المرتبطة بالإشكالية موضوع الدراسة سببا لها أو أيها قد يكون نتيجة لها

في ضوء ذلك التعريف الإجرائي لمصطلح (إشكالية التعليم) يتضح ضرورة إجراء دراسة تحليلية شاملة لإشكالية التعليم في ضوء علاقتها بإشكاليات المجتمع الأخرى والاجتهاد _قد الإمكان _ في معرفة أيها قد يكون سببا وأيها قد يكون نتيجة لإشكالية التعليم ف ضوء أبعاد (إشكالية التعليم)؛ وذلك بغرض إزالة الالتباس حولها والتوصل إلى حلول مقنعة ومجدية لمواجهتها.

ثانيا: تحديد تساؤلات الدراسة

في ضوء ما توصلت إليه الدراسات والكتابات السابقة من نتائج قام الباحث بتحديد بعض التساؤلات التي تحاول الدراسة الحالية الإجابة عنها وهي:

١) إلى أي مدى يشكل التعليم في العالم الإسلامي إشكالية في الوقت الحاضر قد تكون سببا أو نتيجة لإشكاليات أخرى في المجتمعات الإسلامية؟

٢) ما التحديات التي يواجهها التعليم في العالم الإسلامي في المستقبل في ضوء الترويج لثقافة العولمة في الوقت الحاضر؟
٣) ما هي أسباب قصور مؤسسات التعليم عن تحقيق أهدافها؟ رغم مشروعات إصلاح التعليم في العالم العربي في الوقت الحاضر؟
٤) ما التوصيات والاقتراحات المفيدة لبلورة استراتيجية لتطوير التعليم في العالم الإسلامي في ضوء المبادئ العامة التي تتفق مع قيم ومبادئ الدين الإسلامي؟

ويستهدف _ الباحث _ من تحديد تلك التساؤلات بعينها لكي تجيب عنها الدراسة الحالية لكي يكون مجال الدراسة محددا في محاور معينة _ رغم إدراكه _ أن موضوع تلك الدراسة يدعو إلى البحث عن إجابة لعديد من التساؤلات الأخرى خاصة في ضوء ما يواجهه العالم الإسلامي من تحديات حاضرة ومستقبلية قد تؤثر على التعليم بالعالم الإسلامي مما قد يجعل من التعليم "إشكالية " مستعصية خاصة في غياب الفلسفة التربوية الإسلامية أو بمعنى أدق تغييبها (٥٠)

ثالثا: تحديد منهج البحث وأدواته وخطوات تنفيذه:

في ضوء تساؤلات الدراسة اختار الباحث "منهج البحث الوصفي التحليلي" وذلك بغرض: القيام بدراسة تحليلية تستهدف الكشف عن أسباب الخلل في التعليم بالعالم الإسلامي.

ولذلك فإن تقرير تلك الدراسة يتضمن ما يلي:

أولا: دراسة تحليلية لأبعاد إشكالية التعليم في العالم الإسلامي في ضوء علاقتها بالإشكاليات الأخرى السائدة في وقتنا الحاضر (وذلك بغرض الإجابة عن السؤال الأول للدراسة الحالية).

ثانيا: دراسة تحليلية لإشكالية التعليم في العالم الإسلامي في ضوء تحديات المستقبل خاصة في ضوء الترويج لمفهوم عولمة الثقافة (وذلك لغرض الإجابة عن السؤال الثاني)

ثالثا: دراسة تحليلية للتجارب والخبرات السابقة التي تمت بالعالم العربي والإسلامي بغرض إصلاح التعليم وبيان قصورها عن تحقيق أهدافها (يمثل ذلك إجابة عن السؤال الثالث للدراسة)

رابعا: تصور مقترح للمبادئ الأولية التي ينبغي أن تستند عليها إستراتيجية تطوير التعليم بالعالم الإسلامي، مع وضع التوصيات المناسبة لبلورة تلك الاستراتيجية المقترحة.

الفصل الثاني:

أبعاد إشكالية التعليم كإشكالية ثقافية

مقدمة:

يستهدف هذا الفصل استجلاء طبيعة العلاقة بين "إشكالية التعليم في العالم الإسلامي" والإشكاليات الأخرى السائدة _ في الوقت الحاضر _ والتي يواجهها العالم الإسلامي وتقوض وتضعف ثقافته الإسلامية للتعرف على أيها تمثل علاقة سبب وأيها تمثل علاقة نتيجة وأيها قد تكون العلاقة: ليست علاقة سبب فقط أو علاقة نتيجة فقط بل قد تكون علاقة سبب ونتيجة معا.

وفي ضوء معرفة طبيعة العلاقة بين إشكالية التعليم والإشكاليات الأخرى يحاول الباحث التعرف على أبعاد تلك الإشكالية: السياسية _ الاقتصادية _ الاجتماعية _ الإعلامية _ المنهجية _ الدينية _ العالمية...إلخ

ولعل تحديد أبعاد "إشكالية التعليم" قد يساعد في تحديد مدخلات تلك العملية ومخرجاتها في ضوء طبيعة كل بعد من تلك الأبعاد؛ وذلك لمعرفة العلاقة بين مدخلات ومخرجات العملية التعليمية ومدى توافق تلك المخرجات مع تحقيق التعليم لأهدافه في الوقت الحاضر للتعرف على طبيعة ودرجة قصور التعليم عن تحقيق أهدافه والتبصر بمواطن الخلل وأسباب عجز التعليم عن تحقيق أهدافه.

أولا: إشكاليات المجتمع إشكالات ثقافية ذات ابعاد متعددة:

تعتبر "الثقافة" الأساس الأول الذي يؤثر ويتأثر بالتعليم حيث أن من وظائف التعليم الهامة نقل التراث الثقافي وأيضا تجديد وإحياء الثقافة، لذلك فالعلاقة بين الثقافة والتعليم علاقة دائمة وملازمة؛ لذا فإن "إشكالية الثقافة" تعتبر نظام كلى يتضمن كثير من نظم ومنظومات فرعية أخرى هي إشكاليات المجتمع المتعددة وفقا لأبعادها المتعددة: السياسية _الاقتصادية _ الاجتماعية _

... إلخ. والتي قد تؤثر وتتأثر بإشكالية التعليم؛ وقد يتضح ذلك في ضوء استعراض موجز لمصطلح الثقافة ومصطلح الحضارة.

تعددت التعريفات التي تحدد مفهوم "الثقافة" تبعا لتعدد المذاهب والاتجاهات الفكرية ولم تعد الثقافة مرادفة للمعرفة كما كان في الماضي وإن كانت المعرفة من مكوناتها إلا أن الثقافة اليوم _ دون الدخول في تفاصيل تعريفات الثقافة المتعددة _ أصبحت تمثل كل ما انتجه وينتجه الإنسان بعقله ويده من فكر ومعارف وأعراف وقوانين ومعتقدات وقيم وأدوات ووسائل تكنولوجية متعددة تساعده في تحقيق التنمية الشاملة: السياسية _ الاقتصادية _ العلمية _ التكنولوجية _ الاجتماعية _ التربوية _ الفكرية... إلخ (٥١)

والثقافة _ اليوم _ أصبحت تستند على العلم والتكنولوجيا في عصرنا الحاضر الذي أصبح فيه العلم هو ثقافة المستقبل في حين اقتربت الثقافة من أن تصبح هي علم المستقبل الشامل، الذي يطوى في عباءته فروعا معرفية متعددة ومتباينة، كما أصبح العالم اليوم تسيطر عليه الثقافة العلمية التكنولوجية في عصر تكنولوجيا المعلومات. (٥٢، ١٢)(٥٣)

ولعل الشكل التالي يوضح العلاقة التفاعلية بين الثقافة وتكنولوجيا المعلومات

ش (١) شكل يوضح حوار المحاور بين الثقافة وتكنولوجيا المعلومات

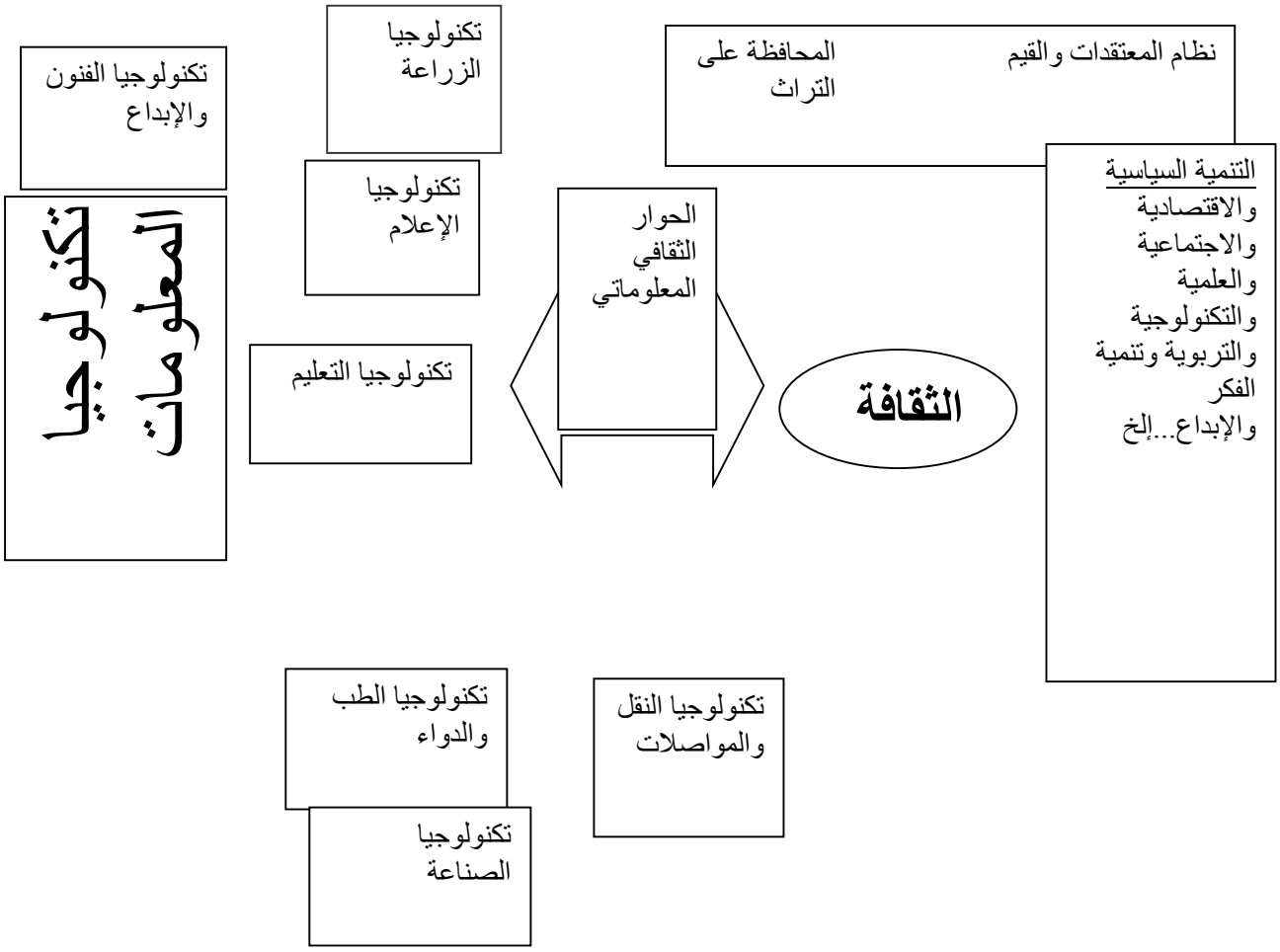

يتضح من الشكل السابق الذى ورد فى كتاب ك الثقافة العربية وعصر المعلومات تأليف : نبيل على أن الثقافة كنظام تتكون من العديد من المنظومات وهى : (٥٤)

١) منظومة تكنولوجيا المعلومات
٢) منظومة ثقافة المعلومات
٣) منظومة الفكر الثقافي
٤) منظومة القيم والمعتقدات
٥) منظومة اللغة
٦) منظومة التربية
٧) منظومة الإعلام
٨) منظومة الإبداع

ولقد ظهرت العديد من المصطلحات في ضوء ذلك الفهم للثقافة في ضوء علاقتها بكثير من المنظومات المكونة لها ومن تلك المصطلحات: ثقافة المعلومات / ثقافة التكنولوجيا / ثقافة العلم / ثقافة اللغة / ثقافة التربية / ثقافة الإبداع / ثقافة الإعلام... إلى غير ذلك من مصطلحات توضح أن الثقافة هي الكل المركب في الحياة وأنها تمثل بؤرة الاهتمام بالنسبة لأي إشكالية من إشكاليات المجتمع خاصة إشكالية التعليم.

علاوة على ما سبق فإن الثقافة في ضوء علاقتها بالحضارة تصبح ذات أهمية كبرى بالنسبة لدراسة وتحليل إشكاليات المجتمع وفيما يلي تحديد موجز لطبيعة الثقافة بوصفه مصطلحا، وعلاقته بمصطلح الحضارة (٥٥):

مذهب ينظر إلى الثقافة Culture والحضارة Civilization على أنهما مفهومان مترادفان.

مذهب آخر يفهم الحضارة بمعنى الثقافة عندما تتميز الأخيرة بدرجة أعظم من التعقيد في كثير من الخصائص المميزة للثقافة.

مذهب ثالث يرى أن الحضارة هي الثقافة حين تتميز الأخيرة بعناصر وخصائص يمكن قياسها بمعايير التقدم.

مذهب رابع يعارض الحضارة بالثقافة على اعتبار أن الثقافة ترمز إلى تلك الأفكار والمعتقدات والقيم والدين والفن والأدب... إلخ بينما الحضارة هي مجال الابتكارات الانسانية المتعلقة بالعلوم والتقانة.

لعله يتضح مما سبق أن تعقد ـ أو بمعنى أدق ـ نمو الثقافة وتميزها بخصائص وعناصر قوية تجعلها قادرة على الانتشار في كثير من المجتمعات هو دالة على حضارة المجتمع، ودليل ذلك أن الحضارة الإسلامية في الماضي كانت تمثل حضارة لما كانت تتميز به الثقافة الإسلامية من خصائص وعناصر قوية تتمثل في تقدم العلوم والفلسفة والفكر في كافة مجالاته علاوة على تطبيقات كل ذلك المتمثلة في انتاج أجهزة وأدوات تقنية كانت في عصرها تمثل تقدما مذهلا بالمقارنة بما كان متوافرا منها في المجتمعات الأخرى غير الإسلامية حينئذ.

والثقافة بالمعنى السابق لها علاقة قوية بالسلوك الفردي حيث أن كثير من العلماء مثل: رالف لنتون Ralph Linton (٥٦) يرى أن الثقافة هي:
"تشكيل للسلوك المكتسب الذي يشترك في مكوناته أفراد المجتمع ويعملون على تناقله جيلا بعد آخر"
ويتضح من التعريف السابق ما يلي:
١) إن الثقافة تتضمن كل جوانب السلوك للأفراد (الفكرية – النزوعية أو الانفعالية – المهارية أو العملية).
٢) بما أن الثقافة سلوك فإنه يتضح ضرورة تعلم ذلك السلوك المرغوب فيه والذي يرضى عنه أفراد المجتمع ويعملون على تناقله من جيل إلى آخر.

وفي ضوء _ المعنى السابق _ يتضح علاقة التعليم بالثقافة حيث يمثل أداة المجتمع في الحفاظ على ثقافة المجتمع وتجديدها بما يتفق ومقتضيات العصر. علاوة على أن التعليم بنظمه وقوانينه ومناهجه ومؤسساته هو من صنع الانسان بالعقل أو باليد؛ ولذا فإن التعليم نفسه يمكن اعتباره إشكالية ثقافية تتشابك مع الإشكاليات الثقافية الأخرى في علاقات السبب والنتيجة.
لذلك فإن _ الباحث _ يرى أن إشكالية التعليم هي بالمقام الأول إشكالية تمس الثقافة بشكل مباشر، ولذا فإن دراستها يجب أن يرتبط بدراسة الثقافة وأنماطها وجوانب السلوك الممثل لثقافة الأفراد؛ لذلك كانت أهمية الدراسة استطلاعية لعينة من الشباب حول نمط الثقافة المفضل لديهم وجوانب سلوكهم الممثل لذلك النمط وعلاقة ذلك بإشكالية التعليم.
وفي ضوء _ كل ما سبق _ تتضح أهمية التعليم (من خلال مؤسساته _ ومناهجه الدراسية _ ونظمه التعليمية...إلخ) يستمد مادته من ذلك المحتوى الثقافي في المجتمع كما أن مخرجاته تسهم في نمو وتعاظم ذلك المحتوى الثقافي؛ ولذلك يمكن اعتبار التعليم سبب ونتيجة معا للمحتوى الثقافي بالمجتمع.
ولعل ما يعانيه التعليم من أزمات أو قصور أو خلل قد يكون ناشئا مما تعانيه الثقافة الإسلامية من إشكاليات ومنها:

١) إشكالية القيم: حيث تعتبر القيم الإسلامية من المكونات التي تميز الثقافة الإسلامية عن غيرها من الثقافات؛ وقد ظهر _ في الوقت الحاضر _ الكثير من المصطلحات الدالة على تلك الإشكالية ومنها: صراع القيم – الصراع بين الأجيال – الاغتراب الثقافي... إلى غير ذلك؛ وقد قامت جامعة السلطان قابوس في أكتوبر عام ٢٠٠١م بعقد مؤتمر علمي لمناقشة قضية: الثقافة والقيم.

٢) إشكالية اللغة العربية والتعليم في كثير من المجتمعات بلغات أجنبية غيرها، أو ما تعانيه تلك اللغة من محاولات لإضعافها من خلال شيوع العامية أو الأخطاء الشائعة سواء من خلال النطق بها أو حتى من خلال المؤلفات أو حتى المعاجم اللغوية، وكذلك محاولات البعض المزج بينها وبين اللغات الأخرى وهو ما يطلق عليه (الفرانكو آراب) والسائدة في بعض المجتمعات في الإعلانات أو الملصقات.

٣) إشكالية إصلاح وتجديد الفكر الإسلامي في ضوء معطيات العصر.

٤) إشكالية الأصالة والتجديد في الثقافة الإسلامية.

٥) إشكالية سلطان الماضي والتشبث بالموروث الثقافي القديم (الثقافة السلفية)

٦) إشكالية التخلف العلمي والتكنولوجي في العالم الإسلامي

٧) إشكالية التشكيك في الحضارة والثقافة الإسلامية من قبل أعداء الأمة الإسلامية

٨) إشكالية الإعلام بالعالم الإسلامي وقدرته على مخاطبة الآخر

٩) إشكالية المناهج الدراسية

١٠) إشكالية ثقافة العولمة التي يروج لها الغرب اليوم.

١١) إشكالية الصراع أو الصدام بين الثقافات التي يروج لها الغرب

١٢) إشكالية الانغلاق الثقافي وعدم الانفتاح على ثقافات العالم (نمط الثقافة المحلية)

١٣) إشكالية السلطة ومحاولات تحريف المحتوى الثقافي بما يتفق وأهدافها

١٤) إشكالية البحث العلمي والتربية.

١٥) إشكالية الفرق الإسلامية واختلافها فيما بينها وعدم توحدها فكريا.

١٦) إشكالية إسلامية المعرفة: (إشكالية توجيه العلوم إسلاميا)
١٧) إشكالية الفجوة بين العلم والدين
١٨) إشكالية غياب الفلسفة التربوية الإسلامية
١٩) إشكالية العقلانية والإيمان بكرامة الإنسان
٢٠) إشكالية الرؤية الآحادية في تفسير الأحداث والدوافع الإنسانية الكامنة ورائها.
٢١) إشكالية العلاقة بين التربية والحضارة.
٢٢) إشكالية التفاعل المتبادل بين التربية والمجتمع (تربوية المجتمع واجتماعية التربية)
٢٣) إشكالية الأخطاء اللغوية في المعاجم اللغوية أو المراجع العربية
٢٤) إشكالية الربط بين التطرف والإرهاب بالتدين والطائفية.
٢٥) إشكالية الربط بين الفكر والعمل (الالتحام بين النظرية والتطبيق)
٢٦) إشكالية المسألة السكانية.
٢٧) إشكالية الشرعية الدستورية في بعض بلدان العالم الإسلامي
٢٨) إشكالية التعددية الحزبية
٢٩) إشكالية احترام العمل اليدوي وتمجيده
٣٠) إشكالية ثقافة الإبداع.
٣١) إشكالية تطويع التكنولوجيا المنقولة أو الوافدة
٣٢) إشكالية الذاتية الثقافية (الهوية الثقافية)
٣٣) إشكالية تمويل التعليم مع ارتفاع تكاليفه في ضوء ادخال تكنولوجيا التعليم
٣٤) إشكالية ضعف النخبة في العالم الإسلامي
٣٥) إشكالية العقل والنقل.
٣٦) إشكالية الإعداد والتدريب على التكنولوجيا المستحدثة
٣٧) إشكالية الأمية بكافة جوانبها (القرائية – العلمية – السياسية -... إلخ)
٣٨) إشكالية الأنظمة التعليمية الجامدة

٣٩) إشكالية تكوين المعلم في ظل ثقافة التكنولوجيا
٤٠) إشكالية الإدارة والتوجيه والمتابعة
٤١) إشكالية الغزو الفكري للعالم الإسلامي
٤٢) إشكالية التخطيط للمستقبل
٤٣) إشكالية التعليم العالي وتحديات مجتمع المعلوماتية.
٤٤) إشكالية التكتلات الاقتصادية الكبرى.
٤٥) إشكالية النظام العالمي الجديد.
٤٦) إشكالية الفقر والبطالة.
٤٧) إشكالية مأزق الشرق والأوسط وقضية فلسطين
٤٨) إشكالية العلاقة بين الأدب العربي الحديث والآداب الغربية
٤٩) إشكالية المصادر الدينية لحقوق الإنسان
٥٠) إشكالية التزام الهيئات الدينية بالدفاع عن حريات وحقوق الإنسان المسلم

لعل تلك الإشكاليات التي تتعلق بالثقافة وإن كانت تمثل البعد الثقافي لإشكالية التعليم في العالم الإسلامي والتي قد يكون لها دور كبير في ضعف التعليم وقصوره عن تحقيق أهدافه – إلا انها _ تمثل في الحقيقة كافة إشكاليات المجتمع وأن كانت تتنوع تبعا لتنوع أبعادها ؛ لذلك يتضح أن دراسة إشكاليات المجتمع هي في الحقيقة تمثل تحليلا لثقافة المجتمع باعتبار أن الثقافة هي الكل المركب في الحياة بالمجتمع في كافة جوانبها وأبعادها المختلفة (الاجتماعية – السياسية – الاقتصادية – العلمية – الفكرية -...إلخ) ، ومن خلال الدراسة التحليلية لإشكاليات الثقافة والحضارة الإسلامية اليوم ومنها بالطبع : إشكالية التعليم أيضا تتضح العلاقة بين إشكالية التعليم وإشكاليات المجتمع الأخرى التي يمكن أن نطلق عليها جميعا: الإشكاليات الثقافية بما فيها إشكالية التعليم كما يمكن التعرف على أي تلك الإشكاليات قد يكون سببا لإشكالية التعليم وأيها قد يكون نتيجة لضعف التعليم بما قد يسهم في التغلب على الالتباس الذى قد يكون موجودا حول إشكالية التعليم من الخلط بين الإشكاليات ذات العلاقة

بإشكالية التعليم وعدم معرفة أيها السبب وأيها النتيجة. والجدول التالي يوضح تصنيف اشكاليات العالم الإسلامي وفقا لمنظومات الثقافة

جدول (١) تصنيف إشكاليات العالم الإسلامي وفقا لمنظومات الثقافة

المنظومات الثقافية	الإشكاليات الخاصة بكل منظومة
منظومة اللغة	إشكالية اللغة العربية (تجاهل التعليم بها) -إشكالية أخطاء المعاجم والمراجع -
منظومة القيم والمعتقدات الدينية	إشكالية القيم - التشكيك في الثقافة والحضارة الإسلامية- الأصالة والتجديد- إشكالية الموروث الثقافي - الصراع بين الثقافات-إشكالية الفرق الاسلامية-إشكالية الفجوة بين العلم والدين-إشكالية الربط بين الارهاب والتدين -إشكالية ثقافة العولمة – إشكالية الذاتية الثقافية (الهوية الثقافية)- المصادر الدينية لحقوق الإنسان _ التزام الهيئات الدينية بالد فاع عن الحريات والحقوق.
منظومة الإعلام	إشكالية الإعلام والحوار مع الآخر - إشكالية السلطة ومحاولات تحريف المحتوى الثقافي-إشكالية ضعف النخبة
منظومة الفكر	إصلاح الفكر وتجديده-إشكالية الربط بين الفكر والعمل – إشكالية احترام العمل اليدوي – إشكالية تقديس الفكر الموروث -إشكالية الأنا والآخر
منظومة التربية	إشكالية المناهج المدرسية-إشكالية غياب الفلسفة التربوية - إشكالية العلاقة بين التربية والحضارة-إشكالية تربوية المجتمع – إشكالية المسألة السكانية _ -إشكالية الأمية – إشكالية جمود الأنظمة التعليمية – إشكالية تكوين المعلم- إشكالية تمويل التعليم – إشكالية الإدارة والتوجيه والمتابعة _ إشكالية التعليم العالي

منظومة الإبداع	إشكالية التخلف العلمي والتكنولوجي-إشكالية البحث العلمي - إشكالية العقلانية-إشكالية الرؤية الاحادية-إشكالية العزلة الحضارية وعدم الانفتاح على العالم-إشكالية ثقافة الإبداع مع سيادة ثقافة الذاكرة والحفظ
تكنولوجيا المعلومات	إشكالية التكنولوجيا المنقولة – إشكالية التخلف التكنولوجي –إشكالية الإعداد والتدريب على المستحدثات التكنولوجية
ثقافة المعلومات	إشكالية إسلامية المعرفة-إشكالية العقل والنقل

ويتضح من ذلك الجدول أن كافة منظومات الثقافة الإسلامية تواجه العديد من الإشكاليات كما يمكن – من الجدول _ تصور أبعاد "إشكالية التعليم" كما يوضحها الجدول التالي:

جدول (٢) تصنيف إشكاليات العالم الإسلامي ذات العلاقة بإشكالية التعليم وفقا لأبعادها

الأبعاد الممثلة	الإشكاليات الممثلة
البعد السياسي	إشكالية السلطة – إشكالية الشرعية الدستورية – إشكالية التعددية الحزبية – إشكالية ضعف النخبة السياسية – إشكالية الأمية السياسية
البعد الاقتصادي	إشكالية تمويل التعليم – إشكالية الضعف الاقتصادي – إشكالية ارتباط الفكر بالعمل – إشكالية احترام العمل اليدوي – إشكالية البحث العلمي – إشكالية التكتلات الاقتصادية
البعد الاجتماعي	إشكالية اللغة – إشكالية القيم والمعتقدات الدينية – إشكالية العقلانية والإيمان بكرامة الإنسان –إشكالية العزلة الحضارية – إشكالية تربوية المجتمع – إشكالية المسألة السكانية – إشكالية الأمية – إشكالية بطالة المتعلمين

البعد الإعلامي	إشكالية الاعلام وعدم قدرته على مخاطبة الآخر – إشكالية الغزو الفكري من خلال الفضائيات والإنترنت –إشكالية إعداد وتدريب الإعلامي المساير لطبيعة العصر – إشكالية السلطة
البعد التربوي	إشكالية اجتماعية التربية – إشكالية العلاقة بين التربية والحضارة – إشكالية غياب الفلسفة التربوية الاسلامية – إشكالية المناهج المدرسية – إشكالية جمود النظم التعليمية – إشكالية تكوين المعلم-إشكالية التعليم العالي – إشكالية التدريب على تكنولوجيا التعليم – إشكالية الادارة التعليمية – إشكالية التوجيه والمتابعة – إشكالية التخطيط للمستقبل
البعد الديني	إشكالية تشويه القيم الدينية – إشكالية التشكيك في الثقافة والحضارة الاسلامية – إشكالية ربط التطرف والارهاب بالتدين – إشكالية تشوية صورة الاسلام والمسلمين – إشكالية الاختلاف بين الفرق الاسلامية – إشكالية الصراع بين الثقافات – إشكالية إصلاح وتجديد الفكر الإسلامي – إشكالية كل مائة عام – الأصالة والتجديد- سلطان الماضي وتقديسه
البعد العالمي	إشكالية النظام العالمي الجديد – إشكالية ثقافة العولمة – إشكالية ثقافة التكنولوجيا وتكنولوجيا الثقافة
البعد العلمي التكنولوجي	إشكالية تطويع التكنولوجيا – إشكالية التكنولوجيا المنقولة –إشكالية تكنولوجيا الرعب – إشكالية العلاقة بين العلم والتكنولوجيا والمجتمع – إشكالية الجفوة المفتعلة بين العلم والدين -إشكالية الأمية العلمية والتكنولوجية

العلاقة بين "إشكالية التعليم" وإشكاليات المجتمع الثقافية الأخرى

من الجدول السابق يتضح تواجد العديد من الإشكاليات بالعالم الإسلامي والتي قد تتأثر وتؤثر في التعليم، كما قد يكون بعضها سببا لقصور التعليم كما أن بعضها قد يكون نتيجة أيضا لضعف التعليم في العالم الإسلامي.

ولعل من الإشكاليات التي قد تكون سببا في ضعف التعليم وقصوره عن تحقيق أهدافه _ في الوقت الراهن بعض الإشكاليات مثل: (إشكالية اللغة _ إشكالية

القيم _ إشكالية المناهج _ إشكالية السلطة _ إشكالية البحث العلمي _ إشكالية عدم التوحد الفكري بين الفرق الإسلامية)- كما أن بعضها قد يكون نتيجة لإشكالية التعليم وضعفه في العالم الإسلامي مثل إشكاليات: الانغلاق الثقافي _ إشكالية الأصالة والتجديد في الثقافة الإسلامية – إشكالية التخلف العلمي والتكنولوجي – إشكالية ثقافة العولمة –إشكالية الإعلام نظرا لقصور التعليم في تكوين الكوادر العلمية القادرة على مخاطبة الآخر في العصر الحاضر بما يتفق ومقتضيات العصر، ولعل ألإشكالية الكبرى التي قد تتولد نتيجة تفاعل كل الإشكاليات وتفاقمها "إشكالية ضعف المجتمعات الإسلامية بل وقد يؤدى ذلك إلى سقوطها كما حدث في سقوط الأندلس كعبرة تاريخية وما زال العالم الإسلامي يعانى منها كإشكالية للتاريخ والحضارة مما يدعونا لمزيد من اليقظة والتأمل للعودة لحضارتنا الإسلامية والحرص من سقوط أندلس أخرى في ظل الضعف الراهن للعالم الإسلامي والذى قد يكون ناشئا بصورة مباشرة أو غير مباشرة من ضعف التعليم ولعل "إشكالية التاريخ والحضارة" تثير فينا الحماس والقوة لاستعادة مجدنا المسلوب وحضارتنا الإسلامية العتيدة.

الفصل الثالث

البعد التاريخي لإشكالية التعليم في العالم الإسلامي

مقدمة:

قد يفيد استعادة التاريخ التعرف على البعد التاريخي لإشكالية التعليم وبداية ظهور تلك الإشكالية تاريخيا في العالم الإسلامي وسبب ظهورها تاريخيا الذى قد يرتبط بضعف المجتمع الإسلامي وتفككه؛ وقد حدد البعض تلك الفترة بفترة سقوط الأندلس أو فترة سقوط بغداد وتحطيم المكتبات، كما قد يحدد البعض بداية ضعف المسلمين وظهور "إشكالية التعليم" في فترة الخلافة العثمانية (٥٧) ولعل في دراسة سقوط الأندلس عبرة تاريخية حيث توضح أسباب ضعف المسلمين مما قد يكون له الأثر البالغ في ضعف التعليم وبداية ظهور "إشكالية التعليم بالعالم الإسلامي كإشكالية حادة، كما توضح تلك الدراسة الجذور التاريخية لإشكالية التعليم وفيما يلي عرض لدرس سقوط الأندلس منذ فتح الأندلس حتى سقوطها حتى نأخذ من ذلك عبرة حتى لا تسقط في الوقت الحاضر أندلس أخرى. (٥٨)

فتح الأندلس

كانت شبه الجزيرة الإيبرية «أسبانيا» تحت حكم الملوك القوط الذين هاجروا إليها من داخل أوروبا وقد عانى الأسبان كثيرا من ظلمهم وسوء إدارتهم وقد كانوا يتحينون الفرص للتخلص منهم.

حانت الفرصة عندما جاء ملك القوط لذريق إلى الحكم بعد أن اغتصب الحكم من الملك الشرعي واغتاله. فقد طلب بعض الأسبان النجدة من موسى بن نصير الذي أرسل قائدا شابا مع جيش صغير من المسلمين. كان هذا القائد هو طارق بن

زياد الذي وطأت أقدامه هو وجيشه أرض الأندلس في شهر رجب ٩٢ هـ «٧١١م» عند المضيق المسمى باسمه لهذا اليوم «جبل طارق».

استطاع المسلمون هزيمة لذريق وقتله وتشتيت جيشه بصورة تامة وبهذا بدأ الفتح الاسلامي لهذه البلاد وبدأ حقبة جديدة في تاريخ أسبانيا. لقد قابل الأسبان دخول الجيش الاسلامي بارتياح وترحيب ظاهرين؛ إذ هم لاقوا الأمرّين من ظلم وتعسف ملوك القوط السابقين... ولم تمض فترة قصيرة إلا وكان المسلمون يسيطرون على معظم البلاد الأسبانية واخترقوا جبال البايرينز إلى جنوب فرنسا إلا أنهم خسروا معركة بلاط الشهداء مع شارل مارتل ملك الإفرنج وبهذا توقف الزحف الاسلامي إلى قلب أوروبا بسبب فتنة عمياء لاقتسام الغنائم بين العرب والبربر حيث قتل في تلك المعركة القائد المسلم عبدالرحمن الغافقي عندما اضطرب الجيش الاسلامي وتقهقر أمام ضربات الإفرنج الذين استعادوا الهجوم واستغلوا الفرصة أحسن استغلال.

لم تكن سيطرة المسلمين على أسبانيا كاملة تماما إذ بقيت جيوب صغيرة للأسبان في الشمال والشمال الغربي في المناطق الجبلية الوعرة كانوا ينفذون منها للهجوم والتخريب. لم يدر في خلد المسلمين الفاتحين أن هذه الجيوب الصغيرة سوف تكون نواة لممالك الأسبان مستقبلا لينطلقوا منها في التهام ممالك الإسلام في أسبانيا الواحدة تلو الاخرى عندما ضعف المسلمون ولم يكن طموح الأسبان لينتهي إلاّ بطرد المسلمين بصورة نهائية كما سوف نرى.

على مرّ السنين دخل الكثير من الأسبان في الاسلام وكثر التزاوج بين الفاتحين والأسبان بحيث نشأ جيل كبير من المولودين الذين يحملون في عروقهم دماء أسبانية إضافة إلى الدماء العربية والبربرية وقد ارتقى الكثير منهم في مناصب الدولة العالية مثل ابن حزم الأندلسي الذي اعتنق جده الاسلام.

لقد نشأت تركيبة اجتماعية وعرقية خاصة في الأندلس كانت سببا في نشوء الفتن والاضطرابات التي كانت تؤججها سوء الإدارة أحيانا. فكان هناك العرب والبربر والأسبان، والعرب انقسموا بدورهم إلى قيسية ويمانية مع ما رافقها من

فتن كبيرة وكان هناك البربر والتنافس التقليدين بينهم وبين العرب وكان الأسبان بقسميهم المسلم والمسيحي إضافة إلى المهجنين.

كانت هذه التركيبة العرقية والاجتماعية نواة فيما بعد لممالك الطوائف المتناصرة والتي انتهت بفنائها جميعا كما سنرى خلال البحث.

الحكم الأموي المباشر في الأندلس

دخلت الأندلس المرحلة الثانية من تاريخها السياسي عندما فوّضت أركان الخلافة على بني أمية في دمشق حيث هزم آخر خلفائهم مروان بن محمد أمام جيوش العباسيين في معركة الزاب سنة ١٣٢هـ.

وولى هائما على وجهه وكأن الأرض لا تسع لهربه بما وسعت ليلقى حتفه على يد العباسيين ولتبدأ مرحلة دموية كان الأمويون وقودها حيث أذاق بنو العباس الأمويين حر الحديد وبأس السيف وجرّعوهم مرارة الذل والهوان وشردوهم وراء كل حجر ومدر... نجا من تلك المذابح شاب أموي اسمه عبدالرحمن استطاع عبور الفرات وهرب إلى شمال أفريقيا، وبمساعدة أخواله البربر استطاع العبور إلى الأندلس. استطاع عبدالرحمن الملقب «الداخل» تأليف القبائل اليمانية التي كانت ناقمة على هيمنة القبائل القيسية وبمساعدة البربر استطاع أن يخضع الأندلس لسيطرته وأن يبايعه أهل الاندلس أميرا عليها سنة ١٣٨ هـ «٧٥٥م».

حاول الخليفة أبو جعفر المنصور عبثا إخضاع عبدالرحمن الداخل حيث استطاع عبدالرحمن هذا (الذي لقبه المنصور بلقب صقر قريش، أن يهزم جيش المنصور وأن يُبْرد برؤوس قادة الجيش إلى المنصور لتصله إلى مكة أثناء موسم الحج).

اتخذ عبدالرحمن قرطبة عاصمة له وبدأ ببناء وتوسعة مسجدها الشهير فدخلت قرطبة مرحلة مزدهرة أصبحت معها فيما بعد محط الأنظار ومهد الحضارة.

استمرت السلالة الأموية في حكم الأندلس حيث بلغت أوج حكمها في زمن عبدالرحمن الثالث الذي دام حكمه لأكثر من خمسين عاما وامتد سلطانه إلى شمال أفريقيا وليقهر الأسبان وليجعل من أسبانيا قبلة الأمصار وعروس

أوروبا. إليها تشدّ الرحال لطلب العلم والادب والفنون وحتى صارت اللغة العربية هي لغة العلم حتى في أوروبا.

بدأ حكم عبدالرحمن الثالث في سنة ٣٠٠ هـ وانتهى عام ٣٥٠ هـ واستطاع أن يخلع على نفسه لقب أمير المؤمنين وسمى نفسه الناصر لدين الله وبهذا أصبحت دار الإسلام يحكمها ثلاثة خلفاء «الأموي والعباسي والفاطمي» في آن واحد.

وقد توسعت قرطبة في عصره ليبلغ عدد سكانها النصف مليون تقريبا، وقد بدأ الناصر ببناء مدينة الزهراء التي استمر بناؤها ١٧ عاما ليجعلها مدينته المفضلة وهي تبعد عن قرطبة عدة أميال ولكن لم يمهل الزمن مدينة الزهراء هذه طويلا إذ قد دمرت بعد خمسين سنة تقريبا في فتنة البربر الشهيرة.

توفي الخليفة الناصر سنة ٣٥٠ هـ فخلفه ولده الحكم الثاني الذي حكم لغاية سنة ٣٦٦ هـ والذي اشتهر بحبه للعدل والعلم والحكمة. وقد بلغت جامعة قرطبة في عصره منزلة علمية عالية جعلتها في مصاف جامعة الأزهر في القاهرة والمدرسة النظامية في بغداد.

لما حضرت الحكم الوفاة نظر وهو على فراش الموت إلى ولده الصغيرة نظرة أسى وحزن وكأنه علم بما سيكتنف أرض الأندلس من فتن مضطربة بعده، كان ولده لا يجاوز أحد عشر عاما فأوصى له بالخلافة ولقبه «هشام الثاني» وجعل عليه وصيا وزيره الحاجب محمد بن أبي عامر الملقب بالمنصور والذي لم يكن عند حسن ظن سيده، اذ سرعان ما استحوذ على كل مراكز القوى وتخلص من منافسيه الواحد تلو الاخر بالقتل والاغتيال وقلص من نفوذ هشام الثاني الذي جعله لا يغادر القصر وصيّره خليفة بغير سلطان.

جمع المنصور هذا قدرة إدارية كبيرة وكفاءة عسكرية عالية يخالطها الكثير من الحنكة السياسية وميل إلى البطش والتنكيل... خاض المنصور مع النصارى الأسبان عدة معارك أثبت فيها نفسه شبحا مرعبا للأسبان تتحدث به كتبهم إلى حد الآن وفي إحدى المعارك استولى على كنيسة سنتياغو وجعل الأسرى الأسبان يحملون الأجراس على ظهورهم لمسافة ٤٠٠ ميلا إلى قرطبة...

وبموت الحاجب المنصور سنة ١٠٠٢م بدأ الهبوط السريع لحكم الإسلام في الأندلس فلم يمض إلا وقت قصير حتى اندلعت فتنة البربر الذين دمروا مدينة الزهراء رائعة المدن في الأندلس وتعاقب على الخلافة الأموية خلفاء ضعفاء لم يتركوا أثرا يذكر إلا شيئا أدبيا خالدا ألا وهو غرام الشاعر ابن زيدون «بالولادة» بنت الخليفة المستكفي التي عافت حياة الحريم وكانت على درجة كبيرة من الأدب والعلم فأغرم بها الشاعر ابن زيدون الذي انتهى أمره معها بالفراق فخلدها بقصيدته الرائعة:

أضحى التنائي بديلا من تدانينا*** وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جَوانحُنا*** شوقا إليكم ولا جفّت مآقينا
بالأمس كنا وما يخشى تفرقُنا*** والآن نحن وما يرجى تلاقينا
يا جنّة الخلد بدلنا بَسلسلِها*** والكوثر العذب زقوما وغسلينا

ملوك الطوائف

بعد إلغاء الخلافة الأموية في قرطبة انفرط عقد دولة الأندلس الاسلامية وعادت الصراعات والأطماع القديمة إلى الظهور وانقسمت الدولة إلى عدد كبير من الممالك الصغيرة التي قد لا يتجاوز الواحدة منها مساحة المدينة الواحدة وما حواليها، وانحسرت عظمة قرطبة وصارت تابعة فيما بعد لسلطان إشبيلية التي ملكها بنو عباد... كانت دويلات الطوائف هذه متحاربة فيما بينها لا يجمعها جامع من دين أو عصبية أو مصلحة مشتركة فكان من المستحيل على مثل هذه الدويلات أن تتوحد معا ضد خطر الأسبان الزاحف من الشمال ولكن على الرغم من التفكك الإداري والعسكري الذي أصاب الأندلس فإن هذه الفترة كانت من أخصب فترات الحضارة الاسلامية في تلك الربوع فقد ازدهر الادب والفن وترعرت الفلسفة ونشطت حركة الترجمة فلابد ان نذكر ان ابن رشد وابن طفيل وعبدالله بن ميمون والمعتمد بن عباد كانوا أبناء عصر الطوائف... كان الكثير من ملوكها على قدر كبير من الأدب والعلم كالشاعر بن عباد صاحب إشبيلية والمظفر بن أفطاس الذي ألف كتابا في التاريخ بخمسين جزءا سماه كتاب المظفري!

على أن ازدهار ممالك الطوائف لم يمنع سقوطها تجاه زحف الاسبان فكانت تلك الممالك كزهور الربيع الطرية التي هبت عليها الحصباء فصارت كالهشيم.

لقد تناسى أولئك الحكام المتصارعون التحذير القرآني (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) وغاب عنهم أن من نام لم ينم عنه فكان أملهم الوحيد تجاه قوة الأسبان في الشمال «مملكة قشتالة» هو الاستعانة بإخوانهم في الشمال الأفريقي.

كانت قد نشأت في المغرب العربي دولة قوية ناشئة من البربر الذين أسلموا حديثا وسموا أنفسهم بالمرابطين وكان ملكهم يوسف بن تاشفين الذي عبر المضيق المائي الفاصل لنجدة إخوانه في الأندلس وألحق بالأسبان هزيمة منكرة في معركة زلاقة الشهيرة حيث لم يعد من جيش الأسبان البالغ ٦٠ ألفا سوى بضع مئات لاذوا بالفرار مع ملكهم الفرنسو السادس. وتنفست ممالك الطوائف الصعداء ولو لفترة قصيرة... كانت إشبيلية يحكمها المعتمد بن عباد الشاعر المشهور والذي دبّ الخلاف بينه وبين يوسف بن تاشفين فنفاه يوسف هذا إلى المغرب في مدينة أغمات التي مات فيها فقيرا مأسورا.

وقد رثى نفسه بقصيدة مؤثرة مطلعها...

فيما مضى كنتَ بالأيام مسرورا***فجاءك العيد في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمارِ عاريةً***يطأن في الدين ما يملكن قطميرا

رجع يوسف بن تاشفين إلى الشمال الأفريقي وتوفي هناك فدب النزاع بين سلالته وسلالة أخرى أنشأت لها دولة سميت بدولة الموحدين والذين كانت لهم الغلبة أخيرا واشتهر من ملوكهم السلطان يعقوب أبو يوسف الذي عبر إلى الأندلس بعد أن سمع بالتهديد الأسباني الجديد لنصارى قشتالة فاشتبك مع الأسبان في معركة دامية «معركة الأركوس» حيث خسر الأسبان معظم جيشهم وقد حاصر أبو يعقوب مدينة طليطلة حصارا طويلا فخرجت ملكة الأسبان وبناتها إلى السلطان ترجو منه فك الحصار وقد تحرك قلب يعقوب لهذه الجرأة وملأت قلبه الأريحية فأرجعها معززة مكرمة ومحملة بالهدايا والنفائس... وكان السلطان

يعقوب هذا هو الذي بنى المئذنة وبرج المراقبة المسمى الجيرالدا «Giraldo» والذي مازال يطل شامخا في سماء إشبيلية. كان هذا السلطان يحترم العلماء والمفكرين وقد ضم بلاطه ابن رشد وابن طفيل وغيرهم من الأطباء كابن زهر وابن باجة.

عزم السلطان يعقوب على الرحيل إلى الشمال الأفريقي حيث قرر مغادرة الأندلس تاركا طوائفها لقسوة القدر وفتك الأسبان الذين سرعان ما أعادوا تنظيم جيوشهم وزادوا من عدتهم وعديدهم بينما زاد التناحر والتحارب ممالك الطوائف ضعفا على ضعف... ولم يكن هناك عبر الساحل الأفريقي أبو يوسف يعقوب ليهب لنجدتهم فأصبحوا أمام مصيرهم المحتوم. الذين هم سارعوا في تقريب ساعته إذ لا يعدم أن يرى المستطلع لتاريخ هذه الفترة استعانة المسلمين بالأسبان على إخوانهم المسلمين وبالتالي صار الأسبان يضربون بعض هذه الممالك ببعضها حتى إذا أبادوا أحدها التفتوا إلى الاخرى فتساقطت هذه الدويلات تباعا فسقطت قرطبة وبلقيسة ومرسية وحوصرت إشبيلية لمدة ١٥ شهرا من قبل الأسبان وكان ممن اشترك في الحصار ابن الأحمر مؤسس دولة بني الأحمر في غرناطة وسيأتي ذلك اليوم الذي يلتهم الأسبان مملكته ولو بعد حين (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) وأخيرا فتحت إشبيلية أبوابها للأسبان فبدأت المجازر التي يعجز القلم عن وصفها ولم يستثنوا حتى الاطفال الرضع أو النساء أو الشيوخ... وقد رثى الشعراء سقوط إشبيلية رثاء مبكيا كما في هذه الابيات للشاعر موسى بن هارون:

فكم أسارى غدت في القيد موثقةً***تشكو من الذل إقداما لها حُطما
وكم صريع رضيع ظل مختطفا***عن أمه فهو بالأمواج قد فُطِما
يدعو الوليد أباه وهو في شغل***عن الجوابِ بدمع سال وانسجما
فكم ترى والها فيهم ووالهةً***لا يرجع الطرف إن حاولته الكلما
في كل حين ترى صرعى مجدّلةً***وآخرين أسارى خطبهم عظما

لابد أن نذكر هنا أن السقوط المتسارع لممالك الطوائف هو نتيجة لمعركة العقاب التي دارت رحاها في سنة ٦٠٩ هـ «١٢١٢م» بين الأسبان ومن ساندهم من الصليبيين العائدين من أرض الشام بعد طردهم من قبل صلاح الدين، وبين جيش السلطان محمد بن يعقوب أبي يوسف الذي عبر إلى الأندلس لتأديب الأسبان إلا أن تعسفه وسوء إدارته أدت إلى انفضاض مسلمي الأندلس عنه عند أول هجوم للأسبان في تلك المعركة فمنهم من هرب ومنهم من انضم إلى الأسبان.
وكانت هزيمة ساحقة للمسلمين كما وأصبحت بالتالي بداية النهاية لدويلات الطوائف كما ذكرناه آنفا... ومرة أخرى تناسى المسلمون تعليم قرآنهم فكانت النتيجة وبالا عليهم.
(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار * ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير) «الأنفال».

مملكة غرناطة وسلالة بني الأحمر

في تلك المرحلة الدامية العصيبة التي مرت بها دويلات الطوائف ظهر متنافسان قويان رئيسيان هما محمد بن الأحمر وابن هود وكان قد بلغ العداء بينهما على أشده بحيث استعان ابن الاحمر على خصمه بالأسبان وتنازل ابن هود بدوره عن ثلاثين من قلاع المسلمين للأسبان رغبة في مساندة الأسبان له ضد ابن الاحمر.
كان حظ ابن هود أقل من حظ خصمه إذ استطاع أن يهزمه الأسبان ويموت أخيراً بالسم بينما استطاع ابن الاحمر هذا الذي اشترك في حصار إشبيلية كما ذكرنا، من بسط سلطانه ودعمه في جنوب الأندلس فاستولى على غرناطة عاصمة لملكه، التي قد تضخم عدد سكانها فبلغوا ٢٠٠ ألفا بسبب نزح الهاربين إليها من مجازر الأسبان وكانت تقع في موقع حصين في واد فسيح تحيد به الجبال وتتوفر فيها المياه العذبة وبسبب جهود الغرناطيين وخبرتهم تحول ذلك الوادي إلى حدائق غنّاء تنتج الغذاء الوفير مما جعلها موضع حسد من قبل النصارى الأسبان يتحينون الفرص للإيقاع بها وابتلاعها كما سنرى فيما بعد.

كان أسلاف ابن الاحمر ينتمون إلى سلالة بني نصر وهم من الأنصار من الخزرج بالذات وكان أسلافه ممن خدموا السلالة الاموية في غرناطة وأبلوا بلاء حسنا في الحروب... بدأ محمد بن الأحمر ببناء قصره الحمراء على قمة تل كان موقعا لحامية عسكرية مسلمة «القصبة» فجلب إلى هذا الموقع المياه بواسطة قنوات عميقة داخل الارض من الجبال المحيطة واتسع البناء ليستطيع ضم ٤٠/٠٠٠ ألفا وقد تعاقب سلاطين بني الاحمر على عمارة قصر الحمراء وتوسعته والعناية بحدائقه البهيجة حتى صار أعجوبة في الفن المعماري لهذا اليوم أصبحت غرناطة آخر معقل للإسلام في الأندلس وازدهرت فيها العلوم والفنون والآداب والفلسفة وكان سلاطينها يشجعون هذه النهضة ويرعونها ويجودون عليها بالغالي والنفيس... وازدهرت الزراعة عبر موانئها الجنوبية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ففيها عاش لسان الدين بن الخطيب وقضى ابن خلدون بعض الوقت من عمره في بلاط بني الأحمر.. واستطاعت غرناطة ان تصمد لقرنين آخرين من الزمان حتى سقوطها سنة ١٤٩٢م.

سقوط غرناطة

إن صمود غرناطة لهذا الزمن الطويل يرجع لعدة أسباب منها منعة غرناطة وحنكة سلاطين بني الأحمر السياسية وصراعات الاسبان الداخلية.

كانت ممالك الأسبان الرئيسية هي قشتالة والآراكون «وليون التي ضمت إلى الأراكون» إنّه لمن سوء طالع غرناطة أن يتم التصالح بين قشتالة والاراكون بزواج ملكة قشتالة إيزابيلا من ملك الاراكون فرديناند وبهذا توحدت ممالك الأسبان وبرزت أسبانيا المسيحية كدولة فتية قوية كان هدفا مشتركا بينهما أن يقضي فرديناند وإيزابيلا على غرناطة بصورة نهائية... كانت إيزابيلا متعصبة لمسيحيها إلى حد الهوس وكانت ترى أن رسالتها أن تطهر أرض أسبانيا من الكفرة في نظرها وكان يساعدها على ذلك صرامة شديدة وقلب قاسٍ لا يلين. أما زوجها فرديناند فهو ضب لا يرى ضيرا ان يكتب عهدا بيمنيه لتنقضها شماله.

وبينما كان البلاط الأسباني سائرا في طريق الوحدة كان بلاط بني الأحمر مسرحا للفتن والدسائس والمؤامرات التي أدت إلى أن يقتل بعضهم البعض.

اقتربت نهاية غرناطة عندما اعتلى السلطان علي أبو الحسن ابن الاحمر عرش غرناطة ـ كان أبو الحسن شجاعا مقداما ولكن يخالط شجاعته مزاج حاد وطبيعة نارية تبلغ درجة التهور والطيش غير عابئ للعواقب ـ كان أبوه قد شخص ضعف غرناطة أمام الأسبان فآثر السلامة ورضي أن يدفع لملك الأسبان ضريبة سنوية لإرضائهم... أما أبو الحسن هذا فعندما طولب بالضريبة. أجاب الأسبان أن ليس عنده إلا السيف وأعقب كلامه بالفعل فهجم على حامية أسبانية قريبة واحتلها وطرد منها الأسبان.

وجد فرديناند وإيزابيلا فرصتهم الذهبية لتحقيق حلم أسلافهم بالقضاء على هذا المعقل الحصين للإسلام.

وقد ساعدهم على ذلك حصول فتنة كبيرة في البلاط الملكي في غرناطة إذ إن أبا الحسن كان قد تزوج من ابنة عمه عائشة أو «فاطمة» التي ولدت له ابنه أبو عبدالله المقلب «الصغير» وكان لأبي الحسن زوجة أسبانية جميلة كانت المفضلة عنده حيث ولدت له طفلين وأراد ان يجعل الملك لهما من بعده... حدثت الفتنة داخل القصر بين أبي عبدالله الصغير مدفوعا من أمه عائشة وبين أبيه كان للأسبان يد فيها... ويلف الغموض أحداث هذه الفترة إلا أن المعروف أن أبا الحسن ترك غرناطة متجها إلى المرية عند أخيه الملقب «الزغال» لشجاعته وبأسه وهناك توفي أبو الحسن فاندلعت الفتنة بين الزغال وابن اخيه أبي عبدالله الصغير انتهت بأن يقسم الاثنان المملكة بينهما فيكون للزغال مالقة والمرية وجنوب غرناطة يكون الباقي لأبي عبدالله.

قرر فرديناند تصفية الخصمين كلًّا على حدة وكان أبو عبدالله قد ارتبط بمعاهدة صداقة مع فرديناند... فبعث فرديناند جيشا كبيرا لمحاصرة مالقة لعدة شهور أصابت المجاعة أهلها ببلاء عظيم واستبسل سكانها في الدفاع عن مدينتهم... وقد أرسل الزغال جيشا من المرية لنجدة مالقة ولكن قطع الطريق

عليه قوة عسكرية أرسلها أبو عبدالله... انتصارا للأسبان! ولم يجد هذا الخسيس ضيرا أن يرسل رسالة تهنئة إلى فرديناند بسقوط مالقة فيما بعد.
أخيرا استسلمت مالقة للأسبان وبدأت المجازر التي راح ضحيتها الطفل والشيخ والمرأة على حد سواء... لقد سجل الأسبان صفحة سوداء أخرى في تاريخهم في مالقة حفظتها كتب التاريخ.
أبدى الزغال شجاعة نادرة في مناوراته مع الأسبان وحقق انتصارات لا بأس بها عليهم ولكن الكفة رجحت أخيرا لصالحهم فلم يجد بُدا من الاستسلام فأعطي بعض المال ونفي إلى أرض وهبها له فرديناند.
ولكن بقاءه في الأندلس لم يعد مرغوبا فيه فأمر أخيرا بالرحيل فعبر إلى فاس في مراكش وهناك اتهم بالخيانة والجبن وصودرت أمواله وفقأت عيناه وسجن ثم أخرج من السجن ليبدأ بالتسول في شوارع فاس وليموت البطل أخيرا كسير القلب مجروح الفؤاد على الرغم من استماتته في الدفاع عن معقل الإسلام الأخير في الأندلس.
ودارت الأيام على أبي عبدالله... فلم يمض إلا وقت قصير حتى طلب فرديناند من أبي عبدالله تسليم غرناطة فورا... أسقط في يد أبي عبدالله ولم يجد الغرناطيون بدا من الدفاع عن مدينتهم والاستماتة في سبيلها.
وهكذا فقد بدأ حصار غرناطة في خريف سنة ١٤٩١م بعد أن سبقه تدمير الحقول والمروج والبساتين في وديان غرناطة الخضراء استمر الحصار لبضعة شهور كانت تكثر خلاله المناوشات والمبارزات بين فرسان المسلمين والأسبان كانت الغلبة في معظمها لفرسان الإسلام حتى خشي فرديناند على فرسانه من الإبادة فأمر بإيقاف المبارزة بين الطرفين وضيّق بدلها الحصار حتى تفشت المجاعة في داخل غرناطة.
وهناك بدأ أبو عبدالله الصغير مفاوضاته سرا لتسليم غرناطة وفك الحصار عنها على شروط عديدة.

وفى صباح يوم الثالث من كانون الثاني ١٤٩٢ استيقظ الأسبانيون على إطلاقات المدافع من قصر غرناطة وإذا بهم يرون الصليب منتصبا على قصبته فها قد تم الاستسلام وأعطيت المفاتيح لفرديناند وايزابيلا وبهذا انهزم هلال التوحيد أمام صليب الشرك ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

كانت شروط تسليم غرناطة للأسبان تقضي للمسلمين بحرية الدين واللغة... كما أن للمسلمين الحق في المحافظة على أموالهم وتقاليدهم وأن تحسم قضاياهم من قبل قضاة مسلمين وكذلك السماح للمؤذنين بالأذان في أوقات الصلاة. ويُمنع المسيحيون من دخول بيوت المسلمين من غير إذن... إلخ، لقد استنام الغرناطيون لهذه العهود والمواثيق التي قطعها الأسبان لهم والتي كانت مخدعة الصبي عن اللبن أو الفطام... فلم يعرف الأسبان أبدا أنهم حافظوا على عهد سابق أبدا. كان هناك صوت رافض لهذه الشروط لفارس من فرسان غرناطة الشجعان واسمه موسى الذي خطب في قومه قبل الاستسلام محذراً إياهم من مغبة الاستنامة لوعود الأسبان ولما لم يجد أذنا صاغية غادر قومه قائلا: «إنّه يفضل الموت بالسيف على أن يموت صبرا بيد لئام الأسبان أو يُجرع الذل والهوان على يد الشرك». وعندما خرج موسى من غرناطة اعترضته قوة من فرسان الأسبان فدارت معركة غير متكافئة قتل فيها عدة منهم وسقط أخيرا من على فرسه مثخنا بالجراح فقاتل بسيفه قائما على ركبتيه ولما تكاثر الأسبان عليه ليفتكوا به رمى بنفسه من علو إلى النهر ولما كان مثقلا بالدروع غاص موسى إلى قاع النهر ولم يعثر له على أثر فضرب هذا الفارس المثل الأعلى في الإباء والعزة والكرامة والشجاعة.

وقد صدق حدس موسى ـرحمه اللهـ فلم يمض وقت قصير إلاّ والعهود تنكث الواحد تلو الآخر من قبل الأسبان حتى لم يبق منها شيء يذكر وإذا بالمرحلة العصيبة الأخرى تمر على مسلمي الأندلس لتسدل الخاتمة على هذا التاريخ إلى يومنا هذا.

مرحلة ما بعد السقوط

بدأ التعسف والاضطهاد مباشرة بعد سقوط غرناطة وبدأت حملات التنصير الإجباري للمسلمين. ولكن الأسبان لاحظوا أن هؤلاء غالبا ما كانوا يظهرون المسيحية ويبطنون الإسلام وبدأت محاكم التفتيش بمحاكمة وحرق من يشتبه فيه التنصير الظاهري فراح الكثير ضحايا هذه المحاكم التي أمرت بإنشائها الملكة إيزابيلا لتلتهم اليهود والمسلمين وفيما بعد حتى النصارى الذين يشك في ولائهم المطلق للكنيسة الكاثوليكية فاقترنت إيزابيلا بمحاكم التفتيش هذه في التاريخ فكانت سنّة سيئة عليها وزرها ووزر من عمل بها... إيزابيلا هذه التي سمّاها شكسبير شاعر الإنكليز «ملكة ملكات الارض» وهي نفسها التي يبحث الفاتكان الآن في شأن رفعها إلى مستوى القديسة... هذه هي التي كانت سببا في إبادة شعبين مسلمين، المسلم في الأندلس والهنود الحمر في أميركا التي عبر إليها كولمبس مبحرا من إشبيلية بأموال الغنائم التي غنمها الأسبان من غرناطة وبأمر من إيزابيلا وزوجها فرديناند...

في سنة ١٥٠٢م صدر مرسوم ملكي يقضي بأن يُمنح المسلمون شهرين فقط لا غير لاعتناق المسيحية أو الطرد النهائي فشهدت ساحات غرناطة إحراق ٨٠/٠٠٠ من الكتب العربية والتنصير الإجباري للمسلمين من نزلاء حي البيازين المقابل لقصر الحمراء.

وفي سنة ١٥٦٦م صدر مرسوم ملكي آخر يقضي بمصادرة الكتب العربية ومنع التكلم بالعربية ومنع الحجاب بالنسبة للمسلمات وغلق الحمامات العامة ومنع الزي الإسلامي والاستعاضة عنه بالزي الأسباني وتغيير الأسماء العربية إلى الأسبانية.

كان هذا فوق طاقة تحمل المسلمين فاندلعت ثورة عارمة في غرناطة وفي منطقة جبال إلبشارات التي التجأ اليها الألوف من المسلمين استمرت هذه الثورة ثلاث سنوات متتالية... ارتكب فيها الأسبان أبشع الجرائم فأحرقت الكهوف على ساكنيها في جبال إلبشارات وقتل فيها الأطفال والشيوخ والنساء... كان مدبر هذه الحملة على هؤلاء المقهورين البائسين هو (الأمير دون جون) الابن اللقيط

للإمبراطور كارلوس الخامس، فلم تهز قلب هذا اللقيط أنات الأطفال والنساء وهم يقتلون ويحرقون أمام ناظريه بالألوف، فنال هذا اللقيط مكانة بجدارة في التاريخ بين سفاحي ومجرمي البشرية الجديرين بلعنة الله ولعنة اللاعنين!

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف***كما بكى لفراق الإلْف هيمانُ
على ديار من الإسلام خالية***قد أقفرت ولها بالكفر عمرانُ
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة***حتى المنابر ترثي وهي عيدانُ
يا غافلا وله في الدهر موعظة***إن كنت في سنة فالدهر يقظانُ
تلك المصيبة أنست ما تقدمها***ومالها من طوال الدهر نسيانُ
يا راكبين عتاق الخيل ضامرةً***كأنها في مجال السبق عُقبانُ
وحاملين سيوف الهند مرهقةً***كأنها في ظلام النقع نيرانُ
وراتعين وراء البحر في دعة***لهم بأوطانهم عزٌ وسلطانُ

(أبو البقاء الرندي)

بالغ المسلمون في كتمان دينهم عن الأسبان، وقد أطلق عليهم الأسبان (المورسيكيون) في النصارى الذين أبطنوا الإسلام فكانت الوفود السرية تتوالى على المسلمين من شمال أفريقيا ناقلة الفتاوى والتشريعات التي تعلمهم كيف يحافظون على دينهم في ظل هذا الكبت والكتمان... إلا أن ذلك لم يكن ليستمر طويلا... ففي سنة ١٦١٢م كانت خاتمة الإسلام في الأندلس حيث أجبر المسلمون على الرحيل ومغادرة البلاد فغادر الكثير منهم ومات الكثير منهم في الطريق إلى شمال أفريقيا وحمل بعضهم مفاتيح بيوتهم في غرناطة على أمل العودة يوما ما واستقر الكثير منهم في فاس والرباط وغيرها من مدن الشمال الأفريقي... كانت هذه الهجرة هي الأخيرة وقد قدر عدد النازحين بين نصف مليون والمليون وبعضهم يصل بالعدد إلى ٣ ملايين وهكذا أسدل الستار على شعب مسلم عظيم عمّر أرض أسبانيا وأرسى فيها حضارة عظيمة كان محط أنظار العالم في القرون الوسطى.

(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير).

ولم تنج أسبانيا من العدالة الإلهية فإذا إمبراطوريتها التي امتدت في أوروبا والأمريكيتين تنهار سريعا وتحولت أسبانيا إلى أرض جدباء وسارعت الخطى إلى عصور الظلام بينما دخلت مثيلاتها الأوربيات في عصور النهضة... وبقيت أسبانيا تغط في نومها العميق إلى أن تململت أخيرا في أواخر القرن العشرين بعد أن دخلت وأختها البرتغال السوق الأوربية المشتركة!!

خاتمة

لابد لنا أن نعرج ولو باختصار على الجانب الحضاري لمسلمي الأندلس. فقد ترعرت حضارة زاهية في ربوع الأندلس كان لسانها العربية ومادتها الإسلام... وقد شملت هذه الحضارة مختلف الجوانب كالزراعة والصناعة والتجارة والأدب والفن والمعمار والفلسفة وفن الحروب والفروسية.

فقد أنشا المسلمون نظام ري متقن استطاع أن يحي الكثير من أرض الموات وتحولت بسببه أرض أسبانيا إلى مروج خضراء وقد دخل العرب الفاتحون معهم المحاصيل الزراعية التي لم تكن معروفة في أسبانيا من قبل مثل النخيل والرز وقصب السكر... كما برعوا في تربية دود القز وصناعة الأنسجة الحريرية.

أما بالنسبة للفن المعماري فنظرة فاحصة إلى قصر الحمراء ومسجد قرطبة وقصر إشبيلية جديرة أن تثبت ما وصل إليه المسلمون من درجة عالية من الرقي في الفن المعماري والذي لا يزال محط أنظار العالم إلى وقتنا الحاضر.

كما علينا ألا ننسى التراث الفلسفي الكبير الذي خلفه لنا كبار الفلاسفة المسلمين مثل ابن رشد الذي كان له الأثر الكبير في نقل تراث الفلسفة اليوناني إلى أوروبا عن طريق الأندلس وقد ذكر برتراند راسل أنّه كانت مدرسة فلسفية في أوروبا من اتباع ابن رشد.

وكذلك ابن الطفيل وكتابه الشهير في الفلسفة (قصة حي بن يقظان) وعبد الله بن ميمون والذي كان من يهود قرطبة إلا أنّه أثرى التراث الإنساني بمؤلفاته التي ألفها باللغة العربية، وابن عربي وفتوحاته المكية...

وقد برع الكثير من المسلمين في مجال الطب كابن زهر التي كانت مؤلفاته تدرس لفترة طويلة في حواضر أوروبا وابن باجة..

ولا نريد أن نبخس النساء الأندلسيات حقهن فقد نبغت منهم الكثير من النساء في الأدب والشعر والفنون كولّادة بنت المستكفي وحسانة التميمية وأم العلا وغيرهن كثير.

ولابد أن نذكر هنا فن الفروسية التي برع فيه المسلمون وانتقلت تقاليده إلى داخل أوروبا حتى أصبحت العصور الوسطى عصور الفروسية... أن الفروسية هذه لم تكن نتاج غابات المانايا أو تربّت في صقيع دول إسنكندنافيا أو ضباب بريطانيا إنها كانت وليدة أبناء الصحراء العرب المسلمين الذين جلبوا تقاليدها معهم اثناء الفتوحات، وقد تعلمها الأوربيون منهم عن طريق الأندلس والحروب الصليبية ولكن هيهات أن يكون الشبه بين الأصل والفرع وبين الإبداع والتقليد...

ولا ننسى أيضا في هذا المجال ما أثرى به الأندلسيون الشعر العربي من شعرهم الذي يتميز بالرقة والسهولة والعذوبة.

ولابد أن نذكر هنا أن أهل الأندلس اخترعوا الموشحات الأندلسية وهي الشعر المطبوع بطابع الأندلس ولعل بعض القراء يذكرون موشحات الوزير ابن الخيب المتميزة بشعره اللطيف...

جادك الغيثُ إذا الغيثُ همى***يا زمان الوصل بالأندلس
لم يكن وصلك إلا حُلُما***في الكرى أو خلسة المختلس
إذ يقود الدهرُ أشتات المنى***ينقل الخطو على ما يرسمُ
زمرا بين فرادى وثنا***مثل ما يدعو الوفود الموسمُ
وروى النعمان عن ماء السما***كيف يروي مالك عن أنس
فكساه الحسنُ ثوبا مُعلما***يزدهي منه بأبهى ملبس

أسباب السقوط

لابد وأننا نستطلع تاريخ الأندلس أن ندرس عوامل سقوط هذه الدولة... لأنني أعتقد جازما أن دراسة التاريخ ليست قَصصا مجردا أو لترويج الفكر بقراءة دول الاقدمين وكأن حاضرنا مقطوع الجذور فإن الدول تتشابه في نشوئها وهرمها وسقوطها فلو عرفنا العلل التي تصيب الدول فلعلنا نستطيع أن نصحح في حاضرنا ما أخطأ فيه الأقدمون في ماضيهم.

فأي دولة تقوم في التاريخ ولابد لها من عقيدة يؤمن بها افرادها لكي تخلق في نفوسهم حبها والاستماتة في الدفاع عنها ومن ثم قهر أعدائها وتوسعها... هذا ما عبر عنه ابن خلدون في مقدمته بعنوان العصبية التي قد تكون ناشئة عن القبلية أو الدين وهذا ما نعبر عنه في الوقت الحاضر بالإيدلوجية...

فلو أخذنا تاريخ العرب قبل الإسلام لرأينا مثلا أنهم كانوا قبائل مشتتة متحاربة يأكل قويها ضعيفها تفشت فيه العصبية ولكنها على مستوى القبيلة فكان الفكر القبلي قادرا أن يجمع القبيلة الواحدة أو حليفاتها ولكنه لم يستطع أن يخلق منها أمة إلى أن جاء الإسلام وجمع العرب تحت راية التوحيد واستطاع أن يبعث في قلوبهم حب هذا الدين والذب عنه والجهاد في سبيله فخلق منهم أمة متآلفة يجمعها هذا الدين... أي بالتعبير الحديث... خلق الإسلام لهم الإيديولوجية التي استطاعت أن تجمعهم وتوحد جهودهم نحو الهدف وهو إعلاء كلمة الله ونشر كلمة التوحيد فكان أن فتح المسلمون البلاد وقضوا على إمبراطورية فارس وشلوا إمبراطورية الروم لزمن طويل وكانوا على أبواب فتح أوروبا لولا الخلاف والفشل والتنازع الذي أدى بالتالي إلى اندحارهم وتلك سنن التاريخ التي تعم المجتمعات والدول والحضارات. ولكن أصاب المسلمين ما أصاب غيرهم من الأمم فضعفت الحمية الدينية في قلوبهم وركنوا إلى الدنيا وبالتدريج دب الوهن والخلاف والتنازع. وهكذا نسي المسلمون أحكام دينهم وتعاليم قرآنهم وتوصيات نبيهم الواحدة تلو الاخرى... فتسلط حكام الجور عليهم... وبالتدريج تحول الجهاد إلى صراع بين الدول والممالك لحفظ الملك فاختل نظام الدولة وبرزت

الفتن في كل مكان وتقاتل المسلمون مع بعضهم البعض واستعانوا بالمشركين على المسلمين كما رأيناه في الأندلس مثلا. إنهم بعبارة أخرى... ذهبت من نفوسهم الحمية على الدين وركنوا إلى طموحاتهم الذاتية وأهدافهم الصغيرة... ولما لم يكن هناك عصبية أخرى غير الدين تجمعهم... فقدوا الهدف وغامت عليهم السبل. وبينما المسلمون في غفلتهم عن ضعفهم وما يكال لهم... بدأت الامم الاخرى في الظهور والصعود وكانت عصبيتها من نوع آخر (أي إيديولوجيتها بالتعبير الحديث) فالأسبان على سبيل المثال ظهرت فيهم الروحية القومية مدعومة بالحمية الدينية لتطهير أسبانيا من المسلمين الكفرة (بزعمهم) مضافا إليها الطمع في الغنائم والأسلاب فاتفقت ممالك الأسبان رغم اختلافها... جمعتهم عصبية الهدف المشترك والمصالح المشتركة فصاروا قوة كبيرة لم يستطع المسلمون الوقوف في وجهها؛ لأنهم فقدوا حيمتهم لدينهم الذي خلق منهم أمة أولا... لم يكن كافيا أنهم صاموا وصلوا وقرؤا القرآن... إذ إن العقيدة وحدها عاجزة عن الصمود إذا لم يكن يساندها الحمية لهذا الدين ولهذا خسر معسكر الإمام علي مثلا بسبب فشل أهل العراق أمام بغي معسكر معاوية... وسقطت بغداد أمام غزو المغول وخسر المسلمون الأندلس أمام الأسبان وسقطت فلسطين بيد اليهود في عصرنا الحالي... كل ذلك لنفس السبب فالإيمان والحمية لنصرة الدين هو الذي يخلق القوة لتذليل الصعاب ويبعث على تفجير الطاقات وتعثر على السبل لرفع الظلم والحيف ويجد الطريق للأخذ بأسباب القوة والمنعة فالمسلمون باختلافاتهم العرقية والقومية والطائفية لا يمكن أن توحدهم عقيدة أخرى غير عقيدة الدين الذي يبعث في نفوسهم الإيمان... وأنا أعني بالدين... روح الدين التي تبث العقيدة في النفوس ولا أعني دينا مؤطرا برأي المدارس الفقهية المختلفة.

استنتاج

لعل تصفح ورقة التاريخ الإسلامي يلاحظ أن ضعف الحمية الدينية وتفرق المسلمين وتغليب المصلحة الذاتية على المصلحة العامة للأمة الإسلامية

أدى إلى ضعف العالم الإسلامي في كل مناحي الحياة ليست السياسية فقط بل والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية ومن ذلك نشأت "إشكالية التعليم" بالعالم الإسلامي باعتبارها إشكالية تتأثر وتؤثر في كل مناحي الحياة بالمجتمع. لعل المسلمين بالرجوع إلى الإيمان يستطيعون أن ينهضوا ويمنعوا ضياع أندلس أخرى وأخرى بعد أن أضاعوا الكثير والله المستعان على لم الشعث وجمع الكلمة وتأليف القلوب وما النصر إلا من عند الله.

الفصل الرابع

علاقة إشكالية التعليم ببعض إشكاليات المجتمع الأخرى

مقدمة:

كما اتضح في الفصل الثاني أن "إشكالية التعليم" ترتبط بكافة إشكاليات المجتمع بعلاقة سبب أو نتيجة أو كلاهما معا؛ ولعل العرض التالي لبعض إشكاليات المجتمع يوضح تلك العلاقة.

المبحث الأول

علاقة إشكالية التعليم ببعض إشكاليات المجتمع ذات البعد الديني

من الإشكاليات التي يعانى منها العالم الإسلامي ـ اليوم ـ وذات طابع ديني ما يلي:

اشكالية ربط التطرف والإرهاب بالتدين والطوائف الإسلامية:

إن من آفات ذلك العصر في ظل النظام العالمي الجديد بزعامة أمريكا هو إلصاق تهمة التطرف وتهمة الإرهاب بالمسلمين ومحاولة تشوية صورة الإسلام والمسلمين من خلال كل ما يملكون من وسائل إعلامية مسموعة أو مقروءة أو مرئية ويتضح ذلك من خلال المادة الإعلامية التي تبثها الفضائيات وشبكات الانترنت علاوة على تسخير البحث العلمي في ذلك من خلال البحوث التي تشكك في الثقافة والحضارة الإسلامية ، كما انهم يستغلون المناهج المدرسية في بلادهم وفى كل البلدان التابعة لهم – أي تلك التي تعانى من تبعيتها للمعسكر الغربي

خاصة أمريكا _ في تشويه صورة الإسلام والمسلمين وتأكيد أن المسلمين إرهابيون ودعاة للعنف وتكفير غيرهم ومحاربة من يكفرونه وفرض دينهم بالقوة على غيرهم رغم أن حقيقة الدين الإسلامي غير ذلك فهو دين الرحمة واللاعنف والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة منذ بداية الإسلام وحتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو دين يدعو إلى السلام ويؤكد مفهوم "ثقافة السلام" الذى يتشدق بها الغرب اليوم بدون فهم لحقيقة السلام الذي يريده الله لعباده بل يفهمون السلام بمفهوم السلام الذى يريده الغرب والخاضع لرغباتهم وأهوائهم؛ وذلك مصداقا لقول الحق _سبحانه وتعالى_ :

إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم) البقرة / ٦ – ٧

تختص الآية الكريمة بموضوع المنهج الذي اتبعه الإسلام لانتشار دعوته.

لقد اتبع القرآن الكريم منهجا خاصا في تبليغه للأحكام الإلهية الإسلامية، وهذا المنهج بعيد عن المناهج الإنسانية التي يطغى عليها – عادة – طابع الإكراه في إيصال المبادئ الى الآخرين في حالة امتلاك القدرة على الإكراه، وطابع التوسل بكل السبل الممكنة لإقناع الآخرين بهذه المبادئ – سواء كانت تلك السبل شريفة ام غيرها – وذلك حين يفتقد أصحاب تلك المبادئ للقوة اللازمة لفرض مبادئهم.

إن هذا المنهج فيه الكثير مما يستحق التوقف عنده والتأمل فيه.

فهو أولا يحتوي احتراما لعقل الإنسان ومؤهلاته، كما أن فيه إيحاءً للإنسان بوجوب الاعتداد بعقله، وجعله الميزان الذي يحكم وفقه على الأمور.

إن هذا التقدير لدور العقل، إنما نستوحيه من الجو الذي تدور فيه الآية الكريمة، فهي تأمر الرسول _عليه الصلاة والسلام _ بأن يخلي بين الإنسان وبين عقله – الذي تميز به عن بقية مخلوقات الله تعالى – لتكون النتائج المترتبة على مواقفهم فيما بعد من زرع ايديهم.

ثم إن الآية تقضي بألا يؤاخذ الإنسان على موقفه من الدعوة الاسلامية فيما لو كان مضادا ولا يكره على التعامل مع مبادئ الإسلام بإيجابية، فوظيفة الرسول

عليه الصلاة والسلام _ تقتصر على إبلاغ الأحكام الإلهية إلى الناس فقط، أما الباقي فهو يقع على عاتقهم، إما أن يؤمنوا بها أو لا. فإذا آمنوا كان بها وإلا فهم أحرار على أن لا يكونوا حائلا بين الناس وبين سماعهم للمبادئ الإسلامية، فكما أن لهذا الصاد عن سبيل الله حق في أن تصل إليه مبادئ الإسلام فإن لغيره الحق نفسه فلماذا يمنع غيره من حق تمتع به هو ولكن لم ينتفع به؟

وهناك أمر آخر يتعلق بنسبة الختم الى الله_ تعالى_، فإذا كان من ختم على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم هو الله _تعالى_ فلماذا يعذبهم يوم القيامة مع أنه كان السبب في عدم هدايتهم بفعل الختم الذي جعله لهم؟

إن هذا الختم ونسبته إلى الله _تعالى_ إنما هو أمر مجازي لا حقيقي، إذ يعبر الله_ سبحانه وتعالى_ عنهم بوجود ختم على الأسماع والأبصار والقلوب في حين أنه لا ختم حقيقي في المقام بل على العكس من ذلك، فعبر الله _تعالى_ عن حالة إعراضهم بأنها تشبه الحالة التكوينية الخلقية التي مؤداها وجود ختم على الحواس المذكورة.

ثم إن من يضع أصابعه في أذنيه لئلا يسمع شيئا في الحياة، هل يعني أن في أذنيه قصورا في عدم سماعها تغريد العصافير صباحا؟

وهل هناك قصور في البصر فيما لو وضع الانسان كفيه عليهما فيما لو لم تستفيدا من النور؟

إذن فالآية الكريمة مما يخص الدعوة إلى الإسلام ولكن أية دعوة؟ إنها الدعوة اللاعنفية. كما يؤكد الإسلام على مفهوم "ثقافة السلام العادل للشعوب ويتضح ذلك فيما رواه أبو القاسم بأيده في كتابه نهج الفصاحة مجموعة كلمات قصار لرسول الله _عليه الصلاة والسلام_ قال: إنه جمعها من أحد عشر كتابا معتبرا عند الفريقين.

ومما جاء في الكتاب:

قال _عليه الصلاة والسلام_ : دبّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد والبغضاء، هي الحالقة، حالقة الدين، لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، أفلا أنبئكم بشيء اذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم.

وفي هذا الحديث الشريف ذكر الرسول _عليه الصلاة والسلام_ عاملي الانحطاط في الأمة الاسلامية: الحسد والبغضاء، وأكّد أنهما حالقيْ الدين وقاصمي ظهره.

ثم أقسم برب محمد _عليه الصلاة والسلام_ على أن دخول الجنة لا يمكن من دون إيمان، ولا إيمان من دون حب. ولا خلاص من الحسد والبغض إلا بنشر ثقافة السلام.

والسلام لا يعني الاستسلام للظلم والاضطهاد (كما يحلو للبعض نسبته إلى حَمَلَة اللاعنف) بل هو حركة وجهاد ضد الظلم والاستبداد لكن بلغة آخر. والسلام يعني الأسلوب المميز الذي طرحه القرآن الكريم عندما شرح المباحثة وقال: ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾.

وهو تطبيق للأحاديث الشريفة الدالة على أن: مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء.

فالسلام ثقافة قبل كل شيء، وكما أنه لا حياة إلا بثقافة، فكذلك لا سلام من دون ثقافة.

إشكالية النظام الدولي الجديد وكراهيته للمسلمين:

إن النظام الدولي الجديد الذي أصبح "أحادي القطب" بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية بعد سقوط الدول الشيوعية أصبح شغله الشاغل – اليوم – تصفية المسلمين وإضعافهم وبث روح الفرقة والخلاف بينهم وتشجيع الحروب التي تنشب بينهم؛ لأنهم يرون أن الإسلام والمسلمين هو العدو الأول – في الوقت الحاضر – لهم بعد القضاء على الشيوعية.

والأمثلة للاستدلال على صحة ذلك القول عديدة منها: حرب العراق وإيران – حرب العراق والكويت – حرب البوسنة والهرسك والصرب – الحروب ضد الشيشان... حرب أفغانستان بحجة القضاء على الإرهاب...إلخ

ولعل ما يحاك اليوم من دسائس ومؤامرات من قبل أعداء الأمة الإسلامية نتيجة خوفهم من الإسلام لدليل واضح على أن الدين كمقوم هام للثقافة الإسلامية هو الهدف باعتباره القوة الفاعلة في الثقافة الإسلامية ومنه تستمد المجتمعات الإسلامية هويتها وذاتيتها وبذلك كان المدخل لإضعاف المسلمين هو التشكيك في القيم والأخلاقيات الدينية والتشكيك في الثقافة والحضارة الإسلامية من خلال كافة الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية ومن خلال شبكات الإنترنت بل وبالوسائل العسكرية ؛ ولعل ذلك يمثل عاملا من العوامل الخارجية التي يتعرض له العالم الإسلامي ليس اليوم فحسب بل ومنذ القدم ولعل الحروب الصليبية شاهدة على ذلك؛ وقد يكون ذلك العامل له دور كبير في تفاقم "إشكالية التعليم" بالعالم الإسلامي.

المبحث الثاني

إشكالية التعليم وعلاقتها بإشكاليات المجتمع المرتبطة باللغة

مقدمة:

إذا كان الدين يمثل أهم مقوم من مقومات الثقافة الإسلامية فإن اللغة العربية تعتبر في نفس الدرجة من الأهمية كأحد تلك المقومات الرئيسة للثقافة الإسلامية، ولقد مورست كثير من الممارسات لإضعاف اللغة العربية من خلال التعليم بغيرها من اللغات، انتشار العامية، التشكيك في قدرتها على مسايرة طبيعة العصر العلمي وتعريف بعض المصطلحات العلمية، اختلاطها بلغات أخرى، هذا فضلا عن إضعاف تعليمها بمراحل التعليم، مما قد يؤدى إلى العديد من الإشكاليات التي يعاني منها العالم الإسلامي والمرتبطة باللغة العربية ومن أهمها ما يلي:

إشكالية الأخطاء في المعاجم اللغوية وبعض المراجع والكتب المدرسية:•

يوضح الناقد عبد الله الإبراهيمي في نقدة لمعجم "بحار الأنوار" وجود العديد من الكلمات غير الرئيسية في المعجم الأمر الذي يدعو إلى مضاعفة حجم الكتاب ليس إلا. ويختم الناقد مقالته بتعديد موارد أخرى من الإشكاليات تكمن في اضطراب الكلمات المتشابهة وضعف التشكيل وضبط الآخر والعلامات والأخطاء الطباعية الواضحة ودخول جمل غير حديثية إلى الكتاب والابهام الذي يلف الكثير من الجمل.

كما ينتقد غلام رضا كتاب "جغرافيا القارات والبلدان" الذي ينبغي أن يهدف الى تعزير معلومات طلبة المدارس عن جغرافيا المناطق التي تقطنها اقليات مسلمة ـ ويقول الناقد أن الكتاب لم ينصف الأقليات المسلمة الموجودة في البلدان المختلفة ولم يعطها حقها. واعتبر الناقد في جانب آخر المسؤولين عن نشر هذا الكتاب المدرسي قد أخفقوا في التعريف بمسلمي هذه البلدان وتتضمن المقالة

• مقالات نقدية منشورة في مجلة مرآة التحقيق

عناوين ناقدة منها: عجز في تعريف البلدان وانعدام الدقة في طرح أسماء البلدان والأعلام الجغرافية.

كما ينتقد الناقد أحمد العابدي كتاب "منازل السائرين" وشرح الكلاشى عليه "حيث يعكف كاتب المقال أولا على شرح أحوال ومقامات الخواجه عبدالله الأنصاري (٣٩٦ ـ ٤٨١هـ) ثم يعنى بتعريف كتاب "منازل السائرين" الذي يعد من أفضل الكتب في مجال العرفان العملي والسير والسلوك ويقوم باستلال شرح كمال الدين عبدالرزاق الكاشانى (ت ٧٣٦هـ) وهو من تصحيح السيد محسن بيدارفر على الكتاب من جملة الشروح المطروحة باعتبارها الافضل برأيه. ويعتقد الكاتب أن الشرح المذكور يعد عملا له شأنه وقيمته ومنهجيته التحقيقية. ويختم صاحب المقال مقاله بإيراد بعض الانتقادات ويقدم بعض الاقتراحات للتصحيح.

ويقدم محمد تقى السبحاني دراسة في كتاب (مباني العرفان والتصوف) وبعد مقدمة وجيزة في باب مناهل العرفان والتصوف الاسلامي يعنى كاتب المقال إلى نقد ودراسة كتاب (مباني العرفان والتصوف) وهو من تأليف السيد ضياء الدين السجادي والمعد لطلبة ليسانس اللغة والأدب الفارسي فيبدأ أولا بطريقة تفكير المؤلف ونظرته فأشكل على المنحى الأدبي التفنني وكذلك المنحى الإيجابي والإفراط في عملية التفاؤل والنظر إلى الدين والتصوف من زاوية واحدة وفي جانب آخر من المقالة يشير الناقد إلى الفهم الخاطئ للكاتب في بعض الجوانب وينهى مقاله بتعداد ثلاثين موردا من الأخطاء المذكورة.

ويقف "غلام رضا الزرين چيان" وقفة عند كتاب اللغة الفارسية للمرحلة المتوسطة وينتقد كاتب المقال الأخطاء الذوقية والنواقص الواردة في هذا الكتاب المدرسي. ويعتقد الناقد بأن هذا المنهج المدرسي تعامل مع القضايا العلمية تعاملا عاطفيا خاصة في جانب قواعد اللغة الفارسية وتغلب على الكتاب الرغبات الذوقية لمؤلفيه.

ويوضح "محمد باقر السجادي" خطورة "التسامح في عملية التأليف في

نقده لكتاب بعنوان (التاريخ السياسي والاجتماعي في إيران إبان العهد الصفوي) وهو من تأليف السيدة مريم مير الأحمدي. وقد التفت الناقد في مقاله إلى جانبين: الأول نقد أربع صفحات من نص الكتاب، حيث يعتقد الناقد بأنه ضم ٢٨خطأ صريحا وغير صريح.

تلك أمثلة فقط من كثير من الكتب والمراجع والمعاجم التي قد تضعف عمليتي التعليم والتعلم للمتعلم في عالمنا الإسلامي مما تجعله غير قادر على تكوين المجتمع المتعلم كما في المجتمعات المتقدمة التي تحرص على تنقية مصادر التعلم مما قد يشوبها من شوائب فكرية أو مغالطات علمية المبحث الثالث

إشكالية التعليم وعلاقتها ببعض الإشكاليات الاجتماعية

يعاني العالم الإسلامي اليوم من العديد من الإشكاليات الاجتماعية التي قد يكون لها أثر في تفاقم حدة "إشكالية التعليم" في العالم الإسلامي ومنها:

إشكالية المسألة السكانية:

يشير "ياسين حسن بشير" في مقالة بجريدة الأيام السودانية عن "تنظيم الأسرة بين الأسلمة والتسييس" إلى أننا يجب أن نشير إلى قاعدة عامة عند تناول "المسألة السكانية" في الدول المتخلفة عامة وفى السودان خاصة، وتلك القاعدة هي أنه يتوجب علينا أن لا ننظر إلى المسألة السكانية مجردة بوصفها "إشكالية" قائمة بذاتها وإنما يجب النظر إليها في إطار قدرة الإنسان على الاستغلال الأمثل للإمكانات المالية والموارد الطبيعية والبشرية المتاحة في دولة معينة، بمعنى آخر: يجب أن تعالج مسألة السكان في إطار معالجة إشكاليات التنمية الشاملة في البلد المعين.

وذلك لأن الحديث على أن هناك مشكلة سكانية في بلد ما انطلاقا فقط من الإحصاءات والأرقام كعدد السكان ومعدل الخصوبة والزيادة السنوية في عدد السكان والتركيبة السكانية وغير ذلك مسألة قد تقود إلى نتائج خاطئة ومضللة وقد تؤدى إلى وضع برامج معالجة غير سليمة قد تؤدى للعديد من الإشكاليات الاجتماعية العديدة.

إن الفهم التجريدي لمسألة السكان في الدول المتخلفة قد روجت له واتبعته المنظمات الدولية والإقليمية المتخصصة في مجال السكان التي تنطلق من قاعدة إحصائية لمسألة السكان دون وضع اعتبار للبعد التنموي... وربما أن تلك المنظمات الدولية والإقليمية قد لجأت إلى ذلك الأسلوب الإحصائي المجرد توخيا للحياد السياسي حيث إن معالجة المسألة السكانية في الإطار التنموي الشامل لابد أن تقود إلى التعرض للأوضاع السياسية في الدولة المعينة وطبيعة السلطة الحاكمة فيها ومدى قدرتها على إنجاز التنمية الشاملة... وهذه بالطبع منطقة شديدة الحساسية بالنسبة للمنظمات الدولية والإقليمية لذلك نجدها تتناول المسألة السكانية دون المساس بالواقع الاقتصادي والاجتماعي المعاش. فتأتي نشاطاتها في معظم الدول المتخلفة بنتائج إيجابية محدودة الأثر.

أما بالنسبة لمسألة السكان في السودان أو غيره من بلدان العالم الإسلامي فقد أوضح الكاتب _ في ضوء ما سبق - أنه يجب علينا أن نبدأ أولا وقبل كل شيء بتهيئة المناخ السياسي المناسب للبدء في عملية التنمية الشاملة التي توفر للإنسان في توفير أبسط حقوقه في الصحة والتعليم والسكن والأمن والاستقرار... وفي هذا الإطار التنموي الشامل يجب أن نضع اعتبارا خاصا للمرأة من حيث الرعاية الصحية العامة والإنجابية والتعليم والوعي الاجتماعي ونترك لها بعد ذلك حرية اتخاذ قرار الإنجاب بالاتفاق مع زوجها... فالمرأة كانسان لها الحق في أن تنجب طفل أو طفلين أو خمسة أو لا تنجب وفق رؤيتها وقناعاتها ووضعها الصحي والنفسي والاجتماعي دون المساس بالقيم الدينية والأخلاقيات بالمجتمع.

إشكالية الأمية العقائدية:

إن تلك الأمة الإسلامية كانت يوما ما أرقى أمم الأرض. ولكن ما تقوله أو تفعله – اليوم – ليس الإسلام المطلوب، لقد تمسكنا بقشور العقيدة ونسينا أو تناسينا الجوهر، ففقدنا هويتنا وسط الشعوب المتقدمة. ألم تسمع بتلك الاسئلة الدينية التافهة في القنوات العربية والردود الأتفه منها... إننا نعيش – في الوقت الحاضر - أمية عقائدية.

نفسر ما سبق بأمثلة من واقع حياتنا فمثلا: في مدارسنا يدرس التلاميذ الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات من خلال الكتب الدينية، وهذا شيء مطلوب وضروري جدا، ولكن أذهب وشاهد هؤلاء التلاميذ في الفسحة كيف يتعاركون واحدا فوق الآخر للوصول إلى بائع المقصف ليشتروا ما يريدونه، حالة ما بعدها حالة، والمدرسون يتفرجون ببلاهة على النشء الموكل إليهم تربيته وتثقيفه، حتى إن ناظر المدرسة لا يستطيع صفهم في طابور بطريقة منظمة والسبب أن فاقد الشيء لا يعطيه.

حينما زار الشيخ محمد عبده باريس قال: "رأيت الإسلام في فرنسا، ولم أرَ المسلمين، وفي مصر رأيت المسلمين ولم أرَ الإسلام"

وصدق الشيخ الجليل _ رحمه الله _ ففي باريس رقي... حضارة... نور متألق نابع من تلك الأخلاق العملية العالية التي يتحلى بها أبناء الأمم المتقدمة. وصدق الشاعر عندما قال:

"إنما الأمم الأخلاق ما بقيت *** فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا".

قد يقول قائل: دعنا من هذه الأمور... فمسائل الدين والأخلاق لها فقهاؤها وعلماؤها وهؤلاء يعرفون أكثر مني ومنك ولا تفتِ يا أخي في أمور تجهلها.

وقد يكون الرد على ذلك القائل ردا مخزيا نظرا للواقع الراهن المؤلم للمجتمعات الإسلامية حيث أن من الطامات الكبرى للأمة... أننا تركنا كل شؤوننا لمدعي فتاوى الحلال والحرام وأصبح كل من يطلق اللحية ويلبس العمامة أميرا مفتيا حتى أصبح هؤلاء يسيرون حياتنا وفق ما يرون لا كما نراها نحن... أننا – اليوم - نتراجع إلى الوراء والأمم الأخرى ترث الأرض ومن عليها ونحن ما زلنا في ذيل الامم فما السبب يا ترى؟

انظر إلى العالم الإسلامي.

فساد إداري بأنواعه... سوء توزيع للثروة... حروب وانقلابات... حسد وحقد.. غيبة ونميمة.. سكاكين الجزائر القاتلة.. جهل حكام أفغانستان.. إرهاب يمارسه خريجو السجون. كل هذا ولا نقول لا توجد أزمة..

المبحث الثالث

علاقة إشكالية التعليم ببعض الإشكاليات المنهجية الخاصة بالمعرفة والفكر

مقدمة:

لعل الإحساس والشعور بحدة "إشكالية التعليم" في العالم الإسلامي أدى إلى ظهور تيارات تنادى بتبني منهجية مناسبة لمواجهة تلك الإشكالية ومنها التيار الفكري الذي ينادي بضرورة "إسلامية المعرفة" ولقد سبقه العديد من التيارات الفكرية التي تنادى بضرورة تجديد الفكر الإسلامي وتنقية الموروثات الفكرية لمسايرة طبيعة العصر العلمية كما في الجهود والأعمال التي قام بها "الشيخ محمد عبده" وغيره من المصلحين في العالم الإسلامي؛ وتلك التيارات الفكرية ما زالت تعاني من معوقات كثيرة في تنفيذها مما جعلها بحق تمثل إشكالية تؤثر وتتأثر بإشكالية التعليم في العالم الإسلامي ومن أهم تلك الإشكاليات ما يلي:

اشكالية المناداة بإسلامية المعرفة

إن من أهم شروط تحقيق الفاعلية والتأثير في أي نشاط إسلامي، فهم المسلم المخاطب لمحتوى الخطاب الموجه إليه وطبيعته فهما دقيقا: بمعنى وضوح فكرة الخطاب لديه بمنطلقاتها وأهدافها، وتفهمه لمدى قابليتها للتنفيذ، واستشعاره المسؤولية أمام الله وأمام المجتمع حين سريان روح الخطاب فيه، وإدراكه للتناقض البارز بين واقعه المشهود وأمله الحضاري المنشود، وما يمليه بلوغ ذلك الأمل من دفع للتحديات واجتياز للعقبات.

وإدراك الخطاب وفهمه يقتضي تحقيق أمور أساسية أهمها:

ـ فهم المخاطِب لطبيعة المخاطَب، وإدراكه لبنيات المجتمع النفسية والاجتماعية والتاريخية، التي تكون المناخ الذي يعيش فيه المخاطَب، ودراسته لأبعاد شخصية المخاطَب ومداخلها، وتحديده لنوع الخطاب المؤثر فيها.

ـ خلو الخطاب من التعقيد والانزلاق في متاهات الاختزال أو التعميم، وتميزه بيسر الفهم، وسلاسة التعبير، وسلامة التركيب، وبساطة العرض، وسهولة التناول.

ـ وعي المخاطب بدوره في العمل الذي يتضمنه ويدعو له الخطاب حياة وبناء وعيا كاملا، ومعرفته تفاصيل ذلك الدور وغاياته ووسائله ومعوقاته وتحدياته، وموقعه في برنامج العمل، ومرتبته في سلم الأولويات.

وإذا كان ذلك مطلوبا لإيصال أي خطاب يقصد إلى حفز المخاطب لعمل ما، فإنه يتأكد حينما يكون المقصد إيصال أبعاد الخطاب الإسلامي ومضامينه، وحيا وفكرا ودعوة لعامة الناس، مع تعدد ألسنتهم وأعرافهم ومداركهم. ويزداد تأكيدا حين لا يقتصر الخطاب على فرد أو جيل ، بل يشمل بالاهتمام الأمم جميعها بأجيالها الحاضرة والمقبلة، ويحتضن بالرعاية والتوجيه حاضرها الآني ومستقبلها الآتي.

وإصلاح مناهج الفكر، والعمل على إسلامية المعرفة، يشكلان القضية المحورية التي اضطلع «المعهد العالمي للفكر الإسلامي» بتحمّل مسئوليتها والتبشير بها، معتقدا أنها قضية تطرح اليوم نفسها بقوة، ومؤمنا بكونها من أهم قواعد المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر المتكامل، المقترح بديلا عن المشروع الحضاري الغربي؛ ذلك المشروع الذي أصاب أمتنا عنت شديد في سائر وجوه التعامل معه لمجافاته لعقيدة الأمة، وتجاهله معادلتها النفسية والاجتماعية، وتجاوزه شخصيتها الحضارية التاريخية.

إننا نرى أن قضية إصلاح مناهج الفكر، إسلامية المعرفة، لم تحظ بالاهتمام المطلوب، ولم تبلغ مستوى الانشغال بها في حياة المسلمين على الرغم من أهميتها وخطورتها. كما أننا نرى أن أسباب القصور في حصول ذلك الاهتمام، لم تدرس

بعناية لتحديد مواطن الخلل وتقويم خطوات العلم، وإن كانت الساحة لم تخل باستمرار من محاولات جادة هنا وهناك، لكنها لم تتجاوز الجهود الفردية إلى الجهود المؤسسية، وبقيت دون تحقيق البعد المطلوب على الرغم من مساهمتها نوعا ما في استمرار التواصل في محاولات الإصلاح الثقافي.

ولصياغة المشروع الحضاري الإسلامي المنشود على الوجه المطلوب يحتاج الخطاب الإسلامي المعاصر إلى وضع قضية إصلاح مناهج الفكر وإسلامية المعرفة موضعها الملائم، وإبلائها الأولوية وإعطائها الأسبقية، واعتبارها القضية المفتاح لكثير من جوانب الأزمة، والمشعل الضروري لجلاء ظلام الفتنة الفكرية والعلمية، التي ظل يتخبط فيها الواقع الإسلامي منذ ما يزيد على قرن من الزمان، إن الحركة الإسلامية الإصلاحية في القرن الماضي وفي النصف الأول من هذا القرن، قد بذلت جهودا كبيرة وتضحيات هائلة ولا شك، وحققت إنجازات عدة، لكن هذه الإنجازات عند التدقيق لا ترقى إلى مستوى تلك التضحيات.

كما أنّ «النقلة النوعية» التي عليها يتوقف تجاوز المسلمين لحالتهم لم تتحقق على الرغم من كل تلك الجهود، وهذا يفرض مراجعة دقيقة لكل تلك الجهود، لتزويد المحاولات الإصلاحية الجديدة بما يجنبها النتائج الفاشلة، ولتأخذ بالمضمون التجديدي الصحيح.

إنّ السبب الأهم ـ في نظرنا ـ في تخلف إنجازات الإصلاح عن مستوى التضحيات، هو أن محاولات الإصلاح والتجديد والتغيير التي سلكتها الأمة في أثناء الفترة المشار إليها قد عالجت أمورا وفاتتها أمور أخرى، وأن التجديد والإصلاح لم يأخذا مداهما الشامل ليحيطا بأسباب الأزمة المختلفة، ويهيئا الأمة للخروج التام منها. فانشغلت معظم حركات الإصلاح بمعالجة مظاهر الأزمة وما تنعكس عليه من آثار يومية ومباشرة، أما جذورها ومنابعها فلم تأخذ حظها من البحث والدراسة ثم المعالجة، وذلك لا يعيب تلك المحاولات ولا يقلل من شأن ما قدمته للأمة من خدمات ومكاسب، في مقدمتها المحافظة على هوية الأمة وانتمائها[1]،

[1] جمال الدين الأفغاني: سلسلة الأعمال المجهولة، ص ٩١ـ ٩٩، تحقيق وتقديم: الدكتور

ولكنّه يبرز الحاجة واضحة إلى محاولة إصلاحية معرفية منهجية، تستطيع رصد سائر أسباب الأزمة ومنابعها، إضافة إلى آثارها وانعكاساتها، وتحاول أن تقدم للأمة منهاجا سليما لإعادة البناء قائما على الدعائم الأولى ذاتها التي عليها قام بناء حضارة الإسلام في دورته الحضارية الأولى، ألا وهي: بعض إنسانية الإنسان بوصفه إنسانا مجردا عن كل وصف لاحق لإنسانيته، مدعوما للاشتراك مع كل إنسان في بناء مجتمع تترابط عناصره برباط العقد الاجتماعي المفتوح ليتعاقد الناس كلهم، تعاقدا بريئا من العنصريات والطبقات والإقليميات، ليجعلوا السبيل إلى الاتفاق بينهم فيما افترقت فيه الأمم، الشعور أولا بأن الإنسان كفء للإنسان، يستطيع أن يتوصل إليها بمداركه المتعددة المتدرجة، المستندة بعضها إلى بعض في غير تنافر ولا تدابر ولا تناشز. فالمدركات العقلية تؤدي إلى المقدمات المفضية إلى تلقّي المدركات الغيبية الآتية من طريق الوحي، وإلى التسليم بها، والإذعان لها، فتوجيه هذه الدعوة على الشكل الذي وجهت به إلى الإنسان في مطلق إنسانيته، هو الكفيل بأن يبرز الطاقة الإنسانية في أتم استعداداتها، وأن يمكن لها التصرف في قواها بدون تحديد.

وأساس الإدراك الذي شيدت عليه، أن يذود عن كل طريق من طرق الإدراك ما عسى أن يحصل بينه وبين طريق آخر من التعاكس أو التعاضل، حتى تنبعث كلها طلقا إلى الغاية التي تحتمها قابليتها، لا تتعثر في طريق الوصول إليها، وهكذا يحدث في الإنسان نوع من الأمن الداخلي والاستقرار الذاتي، يجعله يطمئن إلى معالم إنسانيته ـ كلها ـ على نسبة واحدة: فعقله وعقيدته وحسه المادي، وعواطفه الغريزية كلها متجانسة متعاونة لا يخشى بعضها بعضا، ولا يقطع أحدها سبيل الآخر. وكل ذلك لا يتأتى من تخطيط بشري أو فكر بشري نسبي، بل ينبثق من عقدية موحاة من الله العليم الحكيم، السميع البصير. وهكذا يوجد الإنسان الفاعل القادر على القيام بمهمات الاستخلاف وأداء أمانة الابتلاء.

علي شلش، طبع دار رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٨٧م.

فالمسلمون ليسوا بحاجة، لكي يستعيدوا فاعليتهم، إلى تكوين الدين من جديد أو تجديد الدين ذاته، لكنهم في حاجة إلى الوعي المعرفي والمنهجي، الذي يمكنهم من توليد الإرادة والقدرة والعزيمة والفاعلية لتجديد مناهج الفهم وفقه التدين وإلى قدرة على تقويم مسيرة حياتهم العملية والسلوكية بأفكار قائمة على القاعدة العقيدية ومصادر التدين.

فالانطلاقة التجديدية الحقيقية والاستجابة الصادقة لدواعي الإصلاح والتجديد، لابد من أن تبدأ بتحقيق إنسانية الإنسان وبناء الأمن الداخلي في ضمير الفرد المسلم، لتأتلف فيها مداركه الإنسانية كلها، ويتجاوز الإنسان بذلك ويلات الحيرة والاضطراب، وتنازع الأفكار والمعتقدات والعواطف، ويسود السلام بين المعقولات والعقائد المنقولات، ويتحقق الانسجام الواعي بين الروحانيات والماديات، وتنطلق قوة النظر لتسير في الأرض، وتقرأ في الكون بانطلاق تام، فإذا أوشكت أن تحتار وتضطرب في حقيقة المقصد، أو طبيعة الطريق جاء الوحي يسدد ويرشد، ودعي الإنسان إلى قراءته ليصلح ويهتدي، فيجمع الإنسان ذاته، آنذاك بين القراءتين: قراءة الوحي وقراءة الكون، ويكون الوحي المعين والمثبت للإنسان، والهادي الأمين له في قراءته في الكون. وبذلك يستعيد الإنسان، قدرته وفاعليته ويحقق انطلاقة، ويجد الإنسان نفسه قادرا على تحقيق شروط الإنجاز الحضاري دون أن يستبد به الشعور بمطلقه الذاتي.

إن محاولات التجديد التي حدثت في أثناء الفترة المشار إليها، انطلقت معظمها من مسلمات كان عليها أن تراجعها بدقة، فقد ظنت بعض حركات التجديد والإصلاح أن تراثنا على مستوى الفكر والمنهج والعقيدة والشريعة والمعرفة كامل، وأنها تحتاج إلى مراجعة شيء منه، ويكفيها أن تضع أيدي الأمة على تراثها، وتنبهها إلى كنوزه وجواهره، فتجد فيه كل ما تريد، باعتبار أن الأمة كانت بخير في فترات إنتاج ذلك التراث وتناوله، ولم تكن حالتها بالشكل الذي هي عليه الآن، وإذن فكل ما يلزم الأمة هو أن تنقل الصناعات والتقنيات المادية التي تحتاجها من القرب، وتتشبث بتراثها كما هو، لتحقق النقلة الحضارية المطلوبة.

وبعض تلك الحركات ظنت أن المطلوب هو القيام ببعض المراجعات التراثية، وتجديد بعض أنواع ذلك التراث، وإعادة إنتاجه، وتعليمه بلغة العصر، وإيجاد الوعي به ليتحقق المطلوب. وبعضها قد اعتبر مهمة التجديد والإصلاح ميسرة إذا ما تم التمكن من القيام بتفسير كثير من أطروحات التراث أو تأويلها، بحيث يقارب بها الفكر المعاصر أو يقارنه، فإذا تم هذا فإن عجلة التغيير ستدور بالاتجاه المنشود.

ومع أن الجميع يرددون مقولة الإمام مالك الشهيرة : «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» ؛ ومع ظهور هذا الذي صلح به أولها، غير أن الرجوع إلى منهجية القراءة وإعادة بناء المدارك الإنسانية بقراءة الوحي والكون، لم يأخذ حظه اللائق به من حركات الإصلاح والتجديد، والذين تنبهوا إلى وجوب انطلاق حركات التجديد من إعادة قراءة القرآن الكريم واجهتهم جملة من المشكلات: مثل علاقة القرآن المجيد ببيئة الخطاب الأول والتنزيل، وعلاقته بالعلوم التي صيغت حول النص، وعرفت بعلوم القرآن مثل علم الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه وأسباب النزول والتفسير وغيرها: فإن هناك فهما فكريا تاريخيا ومركبا ثقافيا قد أسقط نفسه على نصوص الكتاب الكريم بذلك الفهم التاريخي، وجعلت أي فهم مغاير لذلك الفهم موضع شبهة واتهام ، بأنه فهم تأويلي أو فردي أو لا يحتج به.

وبذلك لم يعد بمقدور حركات التحديد أن تدرك بأن عليها منذ البدء أن تصل إلى معرفة منهج لقراءة القرآن المجيد، كما لو أنه لم ينزل إلا عليها وفي عصرها، بحيث تتمكن من التعامل مع المتغيرات النوعية والجذرية في الفكر والمنهج والمعرفة والحياة تعاملا ينطلق من القرآن ذاته، وإلى مرجعيته يعود. إن هذه الأسئلة والتحديات التي تطرحها الحضارة العالمية الراهنة لا يمكن الإجابة عن جلها باجتهاد بشري، لا مستند له إلا القياس على أقوال الماضين، والتخريج على مذاهبهم، بل لابد للإجابة عنها من الرجوع إلى القرآن المجيد ـ ذاته ـ فهو ـ وحده ـ الكفيل بتقديم ذلك النوع من الأجوبة الكنية والحلول الشافية المعجزة.

وليس المطلوب قراءة جديدة للقرآن الكريم تعتمد على المقاربة أو المقارنة أو التأويل، بل لا بد من تلاوة تستنطق القرآن ذاته إجاباته الشافية وحلوله لتحديات كل عصر وجيل وأسئلته، باعتباره الكتاب المنزل تبيانا لكل شيء إلى يوم القيامة، وحفظه وعصمته من التبديل والتغيير وكماله وتمامه، وإطلاقه أهم مسوقات ختم النبوة وتوقف النبوات.

إنه لا يعتبر تجديدا للدين أن تجدد تراث أسلافنا، الذي يمثل خلاصة فهمهم وفكرهم في الدين، كما لا يعتبر تحديثا تقليد الغرب ومتابعته في خطواته. بل يستمد التجديد حقيقته من إعادة تشكيل العقل المسلم، ووصل ما انقطع بينه وبين كتاب الله، باعتباره المصدر المنشئ الوحيد مع الكون للفكر والمعرفة والعقيدة والشريعة والمنهاج. وكذلك وصل ما انقطع بينه وبين سنة رسول الله _صلى الله عليه وعلى آله وسلم_ مع سائر معطيات عصر التنزيل والنبوة، باعتبار السنة والسيرة هي المصدر الوحيد المبين والمفسر ـ على سبيل الإلزام ـ للكتاب الكريم.

ومن هنا كانت إسلامية المعرفة قاعدة من أهم قواعد تجديد الدين، وإعادة بناء الأمة القطب، وإنتاج المشروع الحضاري الإسلامي المعاصر؛ أن إسلامية المعرفة تمثل البعد الغائب عن مشاريع التجديد، أو البعد الذي لم ينل من عناية مشاريع التجديد والإصلاح ما يستحقه. فإذا كرس المعهد نفسه للوقوف على هذه الثغرة، والعمل على استحضار هذا البعد الضروري، فليس في ذلك افتئات على أي أحد فردا أو جماعة أو حركة، بل هو مرابطة على ثغرة يتوقف على حمايتها والمرابطة عليها، سلامة سائر الثغور الأخرى.

وإذا كانت الحركات والمؤسسات الأخرى والتيارات الإسلامية الموازية قد شغلتها همومها اليومية وتحدياتها ـ وهي كثيرة ـ فيفترض فيها أن تحمد الله _تعالى_ أن قيض لهذا الفريضة من يقف عليها، فعليها أن تعين وتعزز وتبارك وتسدد وترشد لتستفيد بالجهد المبذول، وتستثمر النتائج المرتقبة ولو بعد حين.

لقد فشل مشروع الحداثة أو التحديث في إطار التبعية للغرب، وكاد يسلم الراية بنفسه لفصائل الصحوة الإسلامية كما أطلقت عليها الدوائر الغربية في مستهل الثمانينات. ولكن الصحوة ظلت في معظم الأنحاء مشغولة بالامتداد والانتشار الأفقي. وفي بعض الأماكن اعتمدت على تراث الإصلاحيين التجديدي حتى استهلكته، ثم تلفتت يمنة ويسرة فإذا بعوائق التراث لا تقل خطورة عن عقبات المعاصرة، وها هي الصحوة قد بدأت مسيرة الفتور في معظم الأماكن، بل لقد بدأت مرحلة تراجع في أماكن أخرى، وذلك على خلاف سنة الله في رسالات الرسل، التي لا تتراجع بعد فترة اندفاعها الأول حتى تبلغ أهدافها. في ظل التراجع بدأت عمليات تلميع ونفض غبار عن مشاريع الحداثة خاصة اللادينية منها، وفجأة وجد الغرب نفسه حليفا من جديد لأيتام الماركسية واللينينية وأمثالهم، فصار ينفخ فيهم، ويمنحهم أسباب الحياة ليواجه بهم الصحوة أو المد الإسلامي، وبدأت الدراسات تتوالى عن مشروع الحداثة وأسباب فشله، تمهيدا لقذف الأمة من جديد ولو على سبيل إشغالها، وتدمير ما قد يكون بقي لها من فاعلية وواقعية.

إنهم يحاولون أن يقنعوا الأمة المغلوبة على أمرها بأن مشروع التغريب التحديثي قد فشل لأسباب ينبغي العمل على استئصالها أهمها سببان:

السبب الأول: طبيعة العقلية المسلمة نفسها: فهذه العقلية بتكوينها وبنيتها، هي المسؤول الأول عن فشل المشروع الحضاري التغريبي في العالم الإسلامي... فالعقلية الإسلامية، بمكوناتها التراثية، لم تفهمه، أو أنها فهمته فهما خاطئا فرفضته ولم تحسن استقباله، ولم تتقن تلقيه عن أهله، أو لم تتفاعل معه تفاعل الإنسان الغربي، أو غير ذلك من المعاذير، وإلا فهو ـ في نظر هؤلاء ـ من حيث طبيعته مشروع ناجح في ذاته لا مرية في ذلك، ونجاحه في أي زمان ومكان حتمية علمية؛ لأنه مشروع علمي وعالمي، يؤكد ذلك نجاحه في اليابان، وكوريا، والهند، وسواها من بلدان العالم!

أما جريمة فشله أو إفشاله فهي مسؤولية العقل المسلم والثقافة الإسلامية التاريخية! فالتكوين العقلي للإنسان المسلم، وبنيته العقلية، وتركيبه النفسي، وتراثه الإسلامي، وتاريخية فكره، ولغويته، كل هذا ساهم في جريمة إفشال المشروع الحضاري التغريبي، ولذلك ينبغي أن يوضع العقل الملم على طاولة التشريح الغربي لكشف علله واستئصال بعض أجزائه، وليبدأ بإعادة تشكيله من جديد. وهذا يقتضي قراءة ما يتصل به من ثقافة ومعرفة ومصادر ونظم وتراث وتاريخ ولغة، وانتقاء المداخل التي يمكن من خلالها طرح الفكر الغربي والتحضير لقبوله، وذلك بإسقاط الأجزاء التي حالت دون قبول المشروع التغريبي، وأحبطت فاعليته وتأثيره، فلم يؤت في المشرق الإسلامي ما آتاه من ثمار في الغرب النصراني، فلعل هذه المحاولة تنجح هذه المرة، ويستأنف المشروع التغريبي دورة تغريبية ناجحة في العالم الإسلامي... ولذلك تفرغ كثير من الدارسين والباحثين الغربيين، ومن يدور في إطارهم الثقافي من المسلمين، إلى البحث في المداخل التي يمكن من خلالها التسلل إلى الفكر الإسلامي، والاستشهاد من الفكر الإسلامي نفسه ـ بخاصة في مجالات الأدب والتاريخ والعلوم الإنسانية بعامة ـ على سلامة الفكر الغربي وصحته.

وهؤلاء يظنون أن المستشرقين لم ينجحوا النجاح المطلوب فيما يحاولون هم النجاح فيه، فهم يعتبرون أن المستشرقين وقيادات الحملات التغريبية الأولى لم يحسنوا قراءة التراث الإسلامي، وأن آلياتهم ووسائلهم لم تكن من التقدم، بحيث تمكنهم من التحليل التكويني للعقل المسلم، ولا التحليل البنيوي له، ولذلك امتلأت الأسواق بكتابات عن التراث والمعاصرة، وتكوين العقل العربي، وبنية العقل العربي واغتيال العقل العربي، وتكوين الفكر الإسلامي، وتاريخية الفكر الإسلامي، ونحو ذلك من كتابات وبحوث في هذا المجال. وفي اعتقادنا أن المستشرقين نجحوا ـإلى حد بعيد ـ في إيجاد مناهج تفكير ومناخ ثقافي في الجامعات والمعاهد والمدارس، أنتج مثل هذا الاتجاه ورواده الذين يتابعون الرحلة من داخل العالم الإسلامي.

السبب الثاني: وقد يعتبر مكملا للأول ـ عندهم ـ هو عدم التفات المستشرقين إلى أهمية توظيف المصطلحات الإسلامية والتراثية التوظيف المناسب، وإيجاد المداخل المطلوبة لنقل المفاهيم التغريبية إلى المسلمين. فإذا قدمت الاشتراكية مثلا إلى الإنسان المسلم على أنها نظريات ماركس وإنجلز وأمثالهما، تردد العقل المسلم، بحكم تكوينه وبتأثير بنيته وميراثه الثقافي، في قبولها، ولكن يوم تقدم له النظرية نفسها بكل توابعها، وبسائر ما فيها على أنها لم تخرج عن فكر أبي ذر الغفاري ـرضي الله عنهـ وعلي بن أبي طالب ـكرم الله وجههـ وأطروحات ابن خلدون، أو يمكن أن تندرج تحت فقه الإمام فلان أو فلان، فسوف يسارع المسلم إلى قبولها وتبنيها.

ويوم تطرح له فكرة الانضمام إلى الحركة الاشتراكية العالمية مثلا، على أنها نضال وجهاد لمصلحة الفقراء البائسين والمحرومين ضد المستغلين والمستعمرين فسوف يقبلها، بخاصة إذا أكدوا له أن جذور هذه الدعوة التاريخية بدأت في الإسلام، وأن هناك حركات وأفكار رفعت الشعارات نفسها، وبذلك تعاد قراءة حركات الرفض والخروج، كحركة القرامطة والزنج من جديد، لتعطي بعدا مقصودا في التاريخ الإسلامي، ولتلقي مجالا للقبول، وكذلك عرض الديمقراطية على أنها الشورى والجمهورية على أنها الخلافة... إلى آخر ذلك.

وعندما تدخل الأمة في هذا الضياع وتخرج عن نسقها الثقافي الإسلامي، ويمارس عليها التضليل الثقافي، ويقدم الفكر الغربي بكل جذوره الإغريقية الشركية والصليبية، ومدارسه الداروينية والفرويدية والماركسية والسارترية والاشتراكية والليبرالية، على أنه فكر الغزالي وابن رشد وابن سينا وابن خلدون، فسوف تجد مثل هذه الأطروحات القبول عند العقل المسلم.

لذلك، نجد اليوم فريقا من هؤلاء قد انصرف إلى الدراسات المتعمقة والمتخصصة في التاريخ والتراث الإسلاميين، وبدأت عمليات ربط كثير من الطروحات الفكرية ـ التي قد لا يجاوز عمر بعضها قرنا واحدا من الزمان ـ بمصادر إسلامية، وبدأت تغزو الساحة الإسلامية مصطلحات ملفقة مثل: يسار إسلامي، ويمين إسلامي

وبدأ فرز الصحابة والتابعين إلى ليبراليين، وديموقراطيين، واشتراكيين... ونحو ذلك. وبدأت عملية إسقاط مفاهيم تراثية على بعض الأطروحات والأفكار الغربية الحديثة، للحصول لها على المشروعية التي يحملها المصطلح، فتقدم مثل هذه الآراء على أنها اجتهاد! ويعتبر الخروج والرفض تجديدا! وقد يلبس التبذل ثياب الفن.

وقضية المفهومات والأفكار تعتبر القضية ذات الخطورة، وتستحق البحث وحدها.

فماذا فعل المشروع الاسلامي؟

إن المشروع الإسلامي ـ بصورته التي قدم بها ـ لم يعط البعد الفكري الاهتمام الذي يستحقه، وذلك من أسباب عجزه عن بلوغ الهدف واستمرار الأمراض الفكرية الفتاكة في الساحة، مثل، تحكم عقلية التقليد الجماعي، والغفلة عن السنن، والتغافل عن عالمية الإسلام أو إساءة فهمها، كان أن المواجهة مع الخارج الإسلامي التي فرضت على القائمين على المشروع الإسلامي ، لم تدع لهم مجالا لإعطاء القضية الفكرية المساحة المطلوبة من الاهتمام، وبعد أن تركت تلك المواجهة رصيدا مهما من الفقه الميداني، وكشفت عن خطورة القضية الفكرية وأهميتها، ومن خلال النظر أيضا في أسباب فشل أطروحات المشروع التغريبي، تظهر الضرورة الإسلامية الملحة لهذه الفروض، والضروريات الحضارية التي تستوجب طرح قضية: إصلاح مناهج الفكر وإسلامية المعرفة، في محاولة لاستدراك المشروع الإسلامي المطروح لأسباب ضعفه واستكماله لأسباب القوة الفكرية. إن المشروع الفكري الثقافي، يحاول معالجة الأسباب الذاتية التي أدت إلى إصابة المشروعات السابقة وإفقادها قدراتها على بلوغ الأبعاد المطلوبة، حيث أنه يأخذ بعين الاعتبار المطلقات الإسلامية الأساسية، والنظرة الشمولية وتحقيق التوازن والوسطية، وضبط النسب بين الأبعاد المختلة... وهذه القضايا بقدر ما هي ميزة للمشروع الفكري الثقافي المطروح، فإنها مسؤولية ضخمة؛ لأننا نزعم أن هذا المشروع الوسط يتوقف عليه مصير نهضة أمتنا وتقدمها في محاولتها

لردم فجوة التخلف، واستئنافها دورة حضارية عالمية، لا تقف عند إنقاذ الأمة الإسلامية نفسها وإعادة بنائها واستئناف حياتها الإسلامية، بل تتجاوز ذلك إلى إنقاذ الإنسانية المعذبة المهددة بالفناء، واتخاذ الأمة موقع الشهود الحضاري الذي هو جوهر رسالتها، وهذا لا يعني بحال من الأحوال الاستغناء أو العدول أو القفز فوق رصيد المشروعات الفكرية والإصلاحية السابقة، بل لا بد من تقويمها للإفادة من الجوانب الإيجابية فيها، والإفادة أيضا من التجارب الميدانية للمشروعات الإسلامية النهضوية المتنوعة.

ما الذي تستطيع إسلامية المعرفة أن تقدمه للصحوة وللأمة وللعالم؟

إذن هذا التساؤل تساؤل مشروع، وهو مهم يستحق الإجابة، إن إسلامية المعرفة تحاول أن تقدم للصحوة وللأمة وللعالم القرآن الكريم المجيد، باعتباره الكتاب الوحيد الذي يملك إنقاذ البشرية اليوم كلها، لا أمتنا ـ وحدها ـ

فالقرآن العظيم ـ وحده ـ الذي يملك التصور المنهجي والمعرفي البديل على مستوى كوني، غير أن حملة القرآن لم يعانوا بعد هذا المأزق المنهجي المعرفي، ولم يدركوا خطورته، فالواقع الاقتصادي والاجتماعي والفكري أو مجمل الواقع الحضاري في الوسط من العالم ما بين المحيطين الأطلسي غربا والهادي شرقا، ما زال يعيش في تراثه الفكري، وتسيطر عليه عقدة الثنائيات المتقابلة. وتخلفه الفكري والمعرفي يحولان بينه وبين القلق النفسي أو الفكري أن يخامراه، أو يجعلاه يحسب بالحاجة إلى المنهجية أو المعرفية، والوسائط الكثيرة من تراثه في التفسير وعلوم القرآن وسواها تشكل مراجع ميسرة، لا تسمح له بالإحساس بالحاجة إلى المنهجية المعرفية في فهم القرآن أو التعامل معه.

وأما أولئك المتعاملون مع الفكر والثقافة المعاصرة، فإن طبيعة الفكر الغربي والثقافة الغربية قد علمتهم بأنها ـ وحدها ـ التي تفرز أزماتها وتصنع بدائلها ، فلا تسمح بالاستيراد من خارج النسق الفكري والثقافي الغربيين.

وهنا يمكن أن نشير إلى سبب آخر من أسباب فشل بعض الداعين إلى الحداثة والمعاصرة، انطلاقا من اتجاهات تيار المنظور الحضاري، ولو في إطار التجديد

الإسلامي نفسه، وهو أن بنية واقعنا الإسلامي لم تتطور أو تتغير نوعيا، ولذلك فإن مظاهر الحداثة في عالمنا الإسلامي بقيت أشكالا مستوردة ، كالأفكار تماما، وليست نابعة من ذات التجربة التاريخية والحضارية لهذا البلدان؛ فالخطاب الفكري والإسلامي والاجتماعي السائد لا تعوزه صفة المعاصرة، وإن انطلق من التراث أو استدعاه، فهو معاصر في إطاره وشكله، تراثي في مضمونه، ينبه إلى أن الذهن الصائغ لهذا الخطاب ما زال يعيش حالة التراث ومتلبسا بها، منفصلا عن المستوى الفكري والمعرفي والمنهجي لعصره الذي ينتمي إليه في جسمه وأشيائه فحسب، ولأن صياغة هذا الخطاب لم يعانوا ما عاناه الآخرون في صناعة الحضارة العالمية الراهنة، فإنهم يظنون أن بالإمكان الفصل بين الفكرة والآلة؛ لأنهم لم يرافقوا ولادات الحضارة العسيرة في أثناء فترات معاناة صناعها التوليد من الآلة البخارية إلى الثورة الصناعية إلى التكنولوجية إلى الاتصالية، وكيف كانت عقولهم وأفكارهم تعاد صياغتها في كل مرحلة صياغة متجددة، بحيث يسير التدرج العقلي جنبا إلى جنب مع التطور الحضاري، فإذا بلغ السقف المعرفي للحضارة المعاصرة حالة المنهجية والمعرفية، فإن أصحاب المعاناة في صناعة هذه الحضارة يستطيعون بسهولة ويسر أن يدركوا معنى المنهجية والمعرفية وضرورتهما، ومدى إمكان تأثيرهما في عمليات التجديد الفكري والمعرفي.

ولنتبين صدق هذه الدعوى، نستطيع أن ننظر في تأريخ العلوم المعاصرة طبيعية أو إنسانية أو اجتماعية، وفلسفتها، بخاصة فلسفة العلوم الطبيعية، لنتبين كيف كانت عمليات إعادة التشكيل العقلي والمعرفي تسير مع التشكيل الحضاري، وكيف كان التأثير المتبادل يجري بينهما حتى المأزق الأخير الذي دخلته الحضارة المعاصرة، حتى يكاد المراقب أن يشعر أنهما، أي الحضارة المعاصرة، وسقفها الفكري والمعرفي، دخلا المأزق معا. ولذلك تتعالى أصوات الاستغاثة التي تعلن فشل فكر الحداثة وما أدى إليه من تفكيك، وعجز فكر ما بعد الحداثة عن إحداث التراكيب، بل انضمامه إلى فكر التفكيك كذلك، فإذا كان فكر الحداثة قد فكك الدين والكون والطبيعة، فإن فكر ما بعد الحداثة قد فكك الإنسان ذاته، ولا تزال

عملية التفكيك مستمرة وهنا يبدو واضحا عمق الأزمة وعمق الإحساس بها، والبحث عن بديل منهجي كوني ليساعد الإنسان على تركيب ما فكك.

ونحن في مدرسة إسلامية المعرفة ندرك أن الأزمة عالمية، وندرك أنه لا مخرج منها إلا كتاب الله الخالد المطلق، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو ـ وحده ـ الذي يحمل في ثنايا سوره وآياته المنهجية الكونية، القادرة على إعادة الصياغة الفلسفية لحضارة الإنسان المعاصرة. لكننا في الوقت ذاته ندرك أن القرآن الكريم بين أيدي الأمة، التي لم تواكب العالم وهو يصنع الحضارة المعاصرة للأسف. ولذلك فإنها لا تعاني من أزمة المأزق الحضاري إلا بمقدار ما ينعكس عليها من معاناة الآخرين، لكنها تعاني من أزمة التخلف المزدوج؛ الفكري المعرفي والحضاري كذلك، لذلك فهي لا تستطيع أن تدرك عظمة القرآن المجيد على مستوى عصرها، كما لا تستطيع أن تكتشف الإمكانات الكامنة فيه، ولا تستطيع القيام بحسن تقديمه إلى عالم اليوم وفي مستوى السقف المعرفي والحضاري لهذا العالم. ولذلك فهي تستعيد الوعي التراثي عليه.

والذين يدركون الأزمة ـ من الغربيين ـ ويبحثون لها عن حل لا يستطيعون أن يكتشفوا ما في القرآن من منهجية كونية، وحين يقاربون القرآن الكريم فإنهم يقاربونه باعتباره كتابا دينيا، وهم قد فككوا الدين منذ وقت طويل، ومنعوا أي اتصال بينه وبين العلم والمعرفة والمنهج، ولذلك فإنهم يبحثون عن المنهجية المعرفية الكونية البلدية، سالكين كل السبل الفلسفية المعروفة لديهم، منقبين في تراث الإنسانية ـ كلها ـ إلا الإسلام، فإنهم لا يقاربونه إلا كما يقاربون أي خصم أو عدو أو غريم قديم.

إن الأمر يكاد يشبه ما انطوت عليه أراضينا من كنوز طبيعية، فإن المعادن التي طوت أراضينا عليها رمالها، لم نكتشفها بأنفسنا لتخلفنا، وبقيت كامنة حتى اكتشفها الآخرون بعد أن تقدموا وأدركوا ضرورتها لحضارتهم، وما تزال مقدراتنا بأيديهم لم نستطع أن نتجاوز أزمتنا الحضارية، أو نتحول بما اكتشف في أراضينا إلى شريك حضاري مع الآخرين، بل لقد زادت تبعيتنا، وتراكم تراجعنا

وتخلفنا. ومنهجية القرآن، المعرفية الكونية كامنة فيه، لا يسمح سقفنا المعرفي والحضاري لنا باكتشافها، وما نكتشفه منها سرعان ما يصادره علينا تراث هائل متراكم عبر القرون من التفسير وعلوم القرآن التراثية، ليعيد إنتاجه تراثا يحسبه الظمآن ماءً حتى إذ جاءه لم يجده شيئا فاعلا أو متألقا، بحيث يوجد دافعية حضارية، أو يحقق فاعلية، والآخرون يحول بينهم وبين القرآن المجيد إرث تاريخي متنوع، مشتمل على إسرائيليات الماضي والحاضر، ومخزون الذاكرة التاريخية المعادي لكل ما يمت إلى الإسلام بصلة، كما أن فترات الاستعمار والاستكبار والتعالي بالمركزية الأوروبية أو الغربية أو البيضاء، تركت كما هائلا من المشكلات جددت كل عوامل التدابر والتعادي والصراع بينهم وبين أهل القرآن، لتضع مزيدا من الحجب بين الغرب المأزوم والقرآن الشافي، بل ها هو الغرب ممثلا بقاعدته في قلب الوطن العربي: إسرائيل وأجهزة النظام الدولي الجديد ووسائله، تنظر إلى الإسلام والمسلمين في كل مكان ـ والقرآن ليس ببعيد عن هذه النظرة ـ أنهم المهددون للحضارة الإنسانية المعاصرة، وصار القرآن يقرن بالإرهاب والتطرف والتهديد، في الوقت الذي يسحقون حملته في كل مكان، وتطأ الدبابات رقابهم، ويحرض العالم ـ كله ـ على استئصالهم، بل إن تطبيع العلاقات في إطار الشرق أوسطية، لا يمكن أن يتم ـ في نظرهم ـ إلا بعد استبعاد آيات معينة من القرآن الكريم عن التداول، يتقن الذين ألفوا تحريف الكلم عن مواضعه اختيارها ورصدها، لتفريغ ما في القرآن من قدرة وفاعلية، ودفع المسلمين إلى قراءته عضين؛ أعضاء مفرقة وأجزاء بحيث لا تكتشف منهجيته، ولا سنن نظمه ولا قواعد أسلوبه، ليبقى المسلمون في تخلفهم، ويبقى القرآن المجيد كتابا لأمواتهم لا لأحيائهم، ولأخرتهم لا لدنياهم.

ولو أدرك هؤلاء حجم الجريمة التي يمارسونها في حق البشرية، وهم يمارسون عمليات حرمانها وحجبها عن القرآن الكريم، وتأخير البشرية عن اكتشافه، ومعالجة أمراضها به ـ لقتلوا أنفسهم ـ فذلك خير لهم وأجدى على البشرية؛ لأنه قد يقلل شيئا من الحواجز بين القرآن المجيد والبشرية المعذبة.

إن إسلامية المعرفة تحاول أن تقوم بمهمة مزدوجة في غاية الثقل والتعقيد، فهي تعمل على القضاء على حالة هجر المسلمين للقرآن الكريم، وإيجاد الوعي لدى الأمة المسلمة بخصائصه المنهجية والمعرفية، لتتعلم كيف تقرؤه على مستوى عصرها، وكيف تجمع بين قراءته وقراءة الكون لتحافظ على نفسها وكيانها من عمليات التذويب التي تمارسها المركزية الغربية وهي تحاول أن تعيد تقصي العالم وبناءه من جديد على مستوى رؤيتها وقبضتها، لأن إسلامية المعرفة تدرك أن من غير الممكن المحافظة على أمة القرآن بمنطق ماضوي سكوني أمام محاولات استحواذ المركز الدولي الغربي المهيمن، الذي يرى في النسق المعرفي الإسلامي أو بقاياه نقيضا لنسق التطور الحضاري الوضعي القائم على تركيز فائض القيمة لدى الطبقات المهيمنة، والهيمنة على قوة عمل الآخرين ومواردهم وتسخيرها لصالح المركز. ولذلك فهو يحاول بكل قواه محاصرة الإسلام وتذويبه ـ لو استطاع فأية محاولة لتطبيق الشريعة تمثل ـ في نظره ـ عدوانا على الحضارة الإنسانية المعاصرة يجب أن تمنع بكل الوسائل بما فيها الانقلابات العسكرية والثورات المسلحة. وكل مؤازرة للعمل الإسلامي بأي وجه من الوجوه تعتبر تعزيزا للإرهاب ومؤازرة للتطرف ولذلك فلا بد من تجفيف منابع العمل الإسلامي، وسد أي منفذ من المنافذ التي يمكن للإسلام ـ بأي معنى وبأي وجه ـ أن يتنفس منه!

وفي ظل هذه الهجمة الظالمة لم يعد أولئك قادرون على التفريق بين متطرف ومعتدل، مستقيم أو منحرف. فالمعركة تدور حتى على مستوى الاسم والشكل والصورة، فكل ما يمت إلى الإسلام بصلة يجب أن يباد ويدمر، فهو يضرب من يسميه بالمتطرف، فإذا انتصر له، أو احتج على ما جرى له من وصفه بنفسه بالمعتدل صار ذلك المعتدل متطرفا، كذلك يستحق أن يبطش به، لأن الهدف البعيد ألا يبقى على ظهرها من المسلمين ديّار، وأن لا تبقى للإسلام آية آثار.

وإسلامية المعرفة إذ تخوض معركتها في الداخل الإسلامي لتحقيق ما أشرنا إليه، تحاول ـ في الوقت ذاته ـ أن تعمل على صياغة خطاب الإسلام العالمي، وتحاول أن

تساعد العالم المأزوم على اكتشاف علاجه ودوائه وشفائه بالقرآن الكريم ومنهجيته المعرفية، وأن تعمل على فك الارتباط بين الإنجاز العلمي الحضاري البشري وخلفياته الفلسفية الوضعية، لتتمكن البشرية من إعادة الاتصال بين العلوم والمعرفة والقيم، وتوظيف العلوم والمعارف، التي بلغتها البشرية في منهجية معرفية إسلامية تؤدي إلى أسلمة الإحالات الفلسفية للنظريات العلمية، نافية عنها البعد الوضعي، معيدة صياغتها في إطار بعدها الكوني الذي يشتمل على الغائية الإلهية في الكون والحياة والحركة.

هنا تبدو واضحة أهمية إسلامية المعرفة وضرورتها لا على المستوى الإسلامي ـ وحده ـ بل على المستوى العالمي كله. وهذا يوضح لم قامت هذه القضية المنهجية المعرفية على دعائمها الستة وهي:

١) بناء النظام المعرفي الإسلامي المعاصر.

٢) إعادة تشكيل وبناء المنهجية المعرفية القرآنية.

٣) بناء مناهج التعامل مع القرآن الكريم بوصفه مصدرا للفكر والمعرفة والحضارة.

٤) بناء مناهج التعامل مع السنة النبوية المطهرة بوصفها مصدرا للفكر والمعرفة والحضارة.

٥) بناء مناهج التعامل مع التراث الإسلامي لتجاوز فترات التقليد والانقطاع فيه.

٦) بناء مناهج التعامل مع التراث الإنساني المعاصر للتواصل مع الفكر والحضارة الإنسانيتين، وتجاوز أسباب قصورهما وأزماتهما.

إن أهمية هذه القضية، بل ضرورتها تجعل الأساتذة والعلماء والمفكرين وطلاب الدراسات العليا بخاصة، أمام واجباتهم الرسالية وفي مواجهة الدور الخطير الذي عليهم أن يضطلعوا به، وتجعل من البحث العلمي والمعرفي رسالة، وتجعل من الجامعات والمعاهد ومراكز البحث العلمي قواعد ومنطلقات نهضة حقيقية قرآنية، تستطيع أن تخرج عالم اليوم بالقرآن من الظلمات إلى النور، وتضع

البشرية من جديد على صراط العزيز الحميد ﴿الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكفرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة ويصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد﴾ (ابراهيم ٢ـ ٣).

ويجدر ذكر ما تقوم به السعودية في مجال "إسلامية المعرفة" من مجهودات حيث خصصت لجنة للبحث في مجال "التأصيل الإسلامي للعلوم" في مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لتلقّي بحوث الأساتذة كل في مجال تخصصه لغرض توضيح فكرة التأصيل الإسلامي للعلوم في كافة جوانبها وفروعها، وكان للباحث – كاتب تلك الدراسة – شرف المشاركة في ذلك الجهد العلمي حيث قام بالتأصيل الإسلامي لمجال "طرق التدريس وأساليبه" بدراسة بحثية قدمت لتلك اللجنة بعنوان :"فنون التعليم والتعلم عند بعض مفكّري التربية الإسلامية"(١٩)

إشكالية العقل والنقل ودورها في الإحياء الديني:

يحظى "العقل" بأهمية مركزية في مشروع الشيخ عبده الإصلاحي، فقد عدّ النظر العقلي، الأصل الأول للإسلام "فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي..."٥٦، وذهب في الأصل الثاني "تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض" إلى أنه "إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل وبقي في النقل طريقان: طريق التسليم بصحة المنقول، مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، وتفويض الأمر إلى الله في علمه، والطريق الثانية: تأويل النقل، مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل" (٥٧.) وما هذا الرأي إلا تكييفا واستعارة لرأي الفلاسفة داخل المجالين الكلامي والشرعي (الفقهي)، وهذا الرأي لا يخرج عن أنفاس ابن سينا (٥٨) وابن رشد، وكلاهما ممن منح العقل سلطة إشرافية على الشريعة، وجعلا من الأخيرة تابعا للعقل، تدور في مداره. يقول ابن رشد (٥٢٠ ـ ٥٩٥هـ): "وعلى العلماء أن يجمعوا بين الحكمة والشريعة وأن يعملوا من الشريعة ما يوافق الحكمة وأن يتأوّلوا من الشريعة ما لا يوافق الحكمة حتى يكون عملهم في كل شيء موافقا

للحكمة"٥٩).

ما يهمنا هنا، وبدرجة أساس، تحديد ماهية العقل في وعي الشيخ عبده، وما هي حدوده، وما هي طبيعة الموضوعات التي تمتد إليها آفاق العقل؟ تثير قراءة فكر الشيخ عبده أسئلة جوهرية دقيقة حول "العقل"، وهذه الأسئلة تسري على الفكر الإسلامي عموما، إذ تُظهر القراءة تلك غموضا في تعريف العقل، حيث يتجه التعريف إلى مصاديقه الخارجية، أي التعويض عن تعريف العقل بالمعقول، والانتقال من السبب إلى الأثر، وهذا ينسحب أيضا إلى تعريفات متصلة بمفاهيم كبرى، مثل العلم وتعويضه بالمعلوم والوجود بالموجود والعلة بالمعلول ... وهكذا.

فهناك ثمة إدغام وتطابق تام بين مفهومي "العقل" و"العلم" في فكر عبده، وكلاهما يؤول إلى نفس الدور والنتيجة، فمهمة كل منهما هو "الكشف" و"البيان"، فالعلم هو الكشف عن الأمر الحقيقي، ويأخذ معنى التبصر٦٠، كما يعرّف العقل بمقصده الأعلى وهو "استكشاف أسرار الوجود، وإبراز ما استتر من عالم الشهود..."٦١ ، وهذا يرتد بنا الى تراث أبرز الملهمين للشيخ عبده، فمن خلال مطالعة تعريف الإمام أبي حامد الغزالي للعقل، يظهر اندماجه وتداخله مع مفهوم العلم وتارة المعلوم٦٢.

لقد نجح هشام شرابي في توضيح هذا الإبهام، حيث توصّل إلى أن ما يعرف في فكر الإصلاح بـالعقل العلمي ليس الا المكافئ الاصطلاحي والمفهومي لـ (العلم). أثار ليونارد بندر وهشام شرابي، سؤالا استفهاميا لا يخلو من استنكار أحاط بفكر الشيخ عبده، بل وبمشروعه الإصلاحي العقلاني، وقد وفَّق بندر في الوقوف على مفصل هام في فكر الشيخ عبده، وبخاصة ما اشتمل على مفاهيم اكتسبت طابعا تحديثيا.

فقد كتب ليونارد بندر "يستعمل عبده عدة مصطلحات مثل العلم، والعقل، والفلسفة، دونما تمييز واضح بينهم"٦٣. تثير طريقة معالجة الشيخ عبده لهذه المفاهيم جدلا حقيقيا، فثمة سوء فهم يحصل في التوسل بـ "العقل"، مع لفت

الانتباه إلى تباين المرجعيات الثقافية التي ينطلق منها المستنكرون لطريقة الشيخ عبده في التعاطي مع العقل، وكأنهم يتجهون إلى مَوْضَعة العقل في السياق العلماني، والذي يفضي إلى وضع الدين أمام اختبار العقل، أي: استخدام العقل النقدي عوضا عن العقل النقلي، وتاليا إجراء عملية تفكيك للإسلام، وهذا الأمر، مهما بلغت اتجاهات التحليل لفكر عبده، ليس غرضا من أغراض الإصلاحية الإسلامية، لسبب بسيط أن مفهوم الشيخ عبده للعقل يخضع لقراءة خاطئة، فهو يُقرأ في ضوء مرجعية ثقافية عصرية وأيضا علمانية، ولذلك يلزم تكثيف الإضاءة على الأسئلة التي طرحها هشام شرابي: كيف تُعرِّف الإصلاحية الإسلامية "العقل"؟ ومما يتكون العقلاني؟٦٤. في الواقع، تحيلنا هذه الأسئلة إلى الغموض الذي صاحب مفهوم العقل في تراث الفكر الإسلامي، فقد بقي السؤال حول العقل بكامل حمولته معلقا ومثيرا للجدل وسط المدارس الفكرية داخل الإسلام، وكان هناك جدل واسع حول العقل: هل العقل دليل مستقل بذاته؟ أم أن العقل تابع للشرع؟ وقد انزاح هذا الجدل في سياق الجدل الكبير التاريخي حول التحسين والتقبيح العقليين، وهل أن العقل قادر على الكشف عن الحسن والقبح دون تدخل من الشرع، أو أن العقل يحسّن ويقبّح ما حسّنه وقبّحه الشرع، ثم ما هي العلاقة بين العقل والشرع في مرحلة لاحقة؟ تظهر "رسالة التوحيد" وكتابات أخرى، أن الشيخ عبده يرجّح الموقف المعتزلي في إعطاء العقل قدرة مستقلة في التمييز بين الحسن والقبيح دون تدخل من الشرع٦٥، يقول الشيخ عبده: "وقلما يختلف تمييز الإنسان للحسن والقبيح من الأفعال..."٦٦. ولذلك ذهب أيضا إلى إفراد هامش من المناورة للعقل يتموضع فيها مستقلا عن الشرع، يقول: "فللأعمال الاختيارية حسن وقبح في نفسها، أو باعتبار أثرها في الخاصة أو في العامة، والحس أو العقل قادر على تمييز ما حسن منها وما قبح (..) بدون توقف على مسمع"٦٧.

ولكن الشيخ عبده، يستبق أية انطباعات متوقعة من هذا الزخم التحفيزي في تعريف العقل والذي ـ بلا شك ـ يكتسي حلة ليبرالية، فما يلبث الشيخ عبده يعود

على الفور إلى النطاق التقليدي، لعقد تلك الموازنة المفترضة، وهي موازنة توفيقية معتزلية ـ أشعرية، يصوغها على هذا النحو "إن العقل وحده لا يستقل بالوصول إلى ما فيه سعادة الأمم بدون مرشد الهي كما لا يستقل الحيوان في إدراك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها بل لا بد معها من السمع لإدراك المسموعات مثلا كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يتشبه على العقل من وسائل السعادات..."٦٨ .

ولكن لا بد من القول، يظل العقل في فكر الإصلاحية الإسلامية هو "صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة وتصريفها فيما منحت لأجله، والإذعان لما تكشف من معتقدات وحدود أعمال كيف ينكر على العقل ذلك وهو الذي ينظر في أدلتها ليصل منها إلى معرفتها، وإنها آتية من قبل الله".

لقد درأ الشيخ عبده عن العقل ما يحول دون إطلاق صلاحيته حتى داخل الدائرة الدينية، فهو هنا يملك صلاحية بلورة المعتقدات والطقوس، وأيضا التحقيق في الأدلة وفق معايير عقلية وصولا إلى المعرفة الصلبة، ولذلك فإن عملية التأليف التي ينجزها الشيخ عبده بين ذروتي الدين والعلم ما هي إلا جوهر العقلانية الإصلاحية المؤسَّسة على تمييز واضح بين وظيفة كل منهما، والمجال الحيوي الذي يتحرك فيه كل منهما في الفضاء الاجتماعي، وإن أي تعارض بينهما عائد إلى عملية طمس معالم أحدهما في الآخر. كتب الشيخ عبده يقول: "ليس من وظائف الرسل ما هو من عمل المدرسين ومعلمي الصناعات، فليس مما جاءوا له تعليم التاريخ ولا تفصيل ما يحويه عالم الكواكب ولا بيان ما اختلف من حركاتها ولا ما استكن من طبقات الأرض ولا مقادير الطول فيها والعرض ولا ما تحتاج إليه النباتات في نموها ولا ما تفتقر إليه الحيوانات في بقاء أشخاصها وأنواعها وغير ذلك مما وضعت له العلوم وتسابقت في الوصول إلى دقائقه الأذهان، فإن ذلك من وسائل الكسب وتحصيل طرق الراحة هدى الله إليه البشر بما أودع فيهم من الإدراك..."٦٩.

ولذلك أنكر الشيخ عبده، إقامة حاجز "بين الأرواح وبين ما ميزها الله به من

الاستعداد للعلم بحقائق الكائنات الممكنة بقدر الإمكان، بل يجب أن يكون الدين باعثا لها على طلب العرفان، مطالبا لها باحترام البرهان"٧٠. وهكذا يفتح الشيخ عبده حقل تفكير جديد في الفكر الإسلامي يحاول إجهاض سجالية الديني والدنيوي، وتقرير التآلف بينهما على أساس التباين الوظيفي، بل أفاد من هذا ما يعضد ذاك وبالعكس، فكان يرى بأن الدين حاثّ على العلم، والعلم حاثّ على الدين، فالدين يضيء للأمم مساراتها الكبرى ويرشدها إلى خالقها، ويستحثها على استباق الخيرات، ويحفّزها على الكشف عن الأسرار العظمى المودعة في الكون، واتباع السنن الإلهية في تقدم الأمم والمجتمعات. ولا ننسى الإشارة إلى أن هذه الرؤية يصيغها الشيخ عبده بوحي من الرؤية الخلدونية في العصبية والاجتماع العمراني، والتي تكاد تسكن المساحة العظمى من الإصلاحية الإسلامية كما يبشّر بها الشيخ عبده ، ففي تصوره حول قوانين تطور الأمم وتصاعدها، يتبطن الشيخ عبده مبدأ الصراع الدائم في/ وبين الأمم "إذا سبرنا أخبار الأمم، نعلم يقينا أن الهيئة الاجتماعية البشرية ما وصلت إلى درجة من درجات التمدن والحضارة في وقت من الأوقات دفعة، بل لا بد ـ كما يشهد العيان ـ أن تسبق أمة من الأمم إلى غاية في المدنية، فإذا نظرت إلى جارتها وقد بقيت في مركزها متأخرة عنها... فتقف تلك وقفة الحائر المتفكر، إلى أن يرشدها التأمل إلى أن هذه ما وصلت إلى ما وصلت إلا بالعلم والعمل، المتوقفين على الكد والاجتهاد، فتندفع وراء الجد بحكم الاضطرار، حتى تصل إلى ما وصلت إليه أو تكاد... فلا تراهم يقفون لدى نقطة، بل متى وصلوا إلى حد ما من حدود التقدم، فلا يمضي زمن طويل حتى يقال أن أمة كذا انتهزت فرصة عظيمة، وفتحت بابا من أبواب التقدم، عاد عليها بالنماء في الأموال والأنفس والثمرات، وبأن مجاوريها يخشون بأسها، ويرقبون حركاتها، فتضطرب الهيئة الاجتماعية البشرية من هذا النازل الذي لم يكن في الحسبان، ولا تسكن خواطر بقية الأمم والممالك حتى ينساقوا إلى هذه الخطوة التي خطاها غيرهم على غفلة منهم وهم كارهون..."٧١.، بالتأكيد، تمثل هذه الرؤية وبخاصة لأولئك المنتمين

للمذهب العلماني نقطة إشكالية، فقد احتج نداف سافران أحد الاتباع المخلصين لهذا المذهب، في تحليله لنظرة الشيخ عبده لقانون التقدم، بأنه رغم إيمانه بالتغيير كسنة إلهية في التاريخ، ولكن في نفس الوقت "يتبنى النظرة التقليدية لرسالة النبي وعصره باعتباره ذروة الكمال"٧٢، ولرفع هذا اللبس، يجب القول بأن رؤية الشيخ عبده حول النبوة، تسترعي التأكيد على أنه لا يؤسس رؤيته في النبوة على التأمل الفلسفي أو العلماني المؤنسن المتشكّل حديثا، وإنما يلتصق بالطريقة الميثولوجية التقليدية، بما تحمل من رؤية فاصلة، هي مورد إجماع المسلمين قاطبة، لا إحداث قطيعة جذرية مع الوحي والماضي لحساب العقل والحداثة.

ولكن الطريقة التي يجب أن نقرأ بها فكر الشيخ عبده، وخصوصا ما يوحي منها بالإستبطانات العلمانية والإشارات الليبرالية، يجب أن تحصرنا ضمن سياق الإصلاحية الإسلامية، وآليات عملها، لا الشرود بعيدا إلى حيث تحميل بعض عبارات الشيخ عبده وتصوراته ما لا تحتمل، بحيث ينتهي إلى طمس البعد الإصلاحي، هذا البعد الذي يمثّل المحور وحجر الزاوية في حركة الشيخ عبده. إن إفراد المساحات المستقلة لكل من الدين والعلم، ليس مسعى لإقامة المجابهة والخصام بينهما ولا الفصل التام بينهما، كمجالين متنافرين، أو خطين يستحيل التقائهما، وإنما عملية الإفراد تلك استهدفت إعادة تشكيل العلاقة بينهما على أسس جديدة من جهة، ومن جهة ثانية إشاعة جو من الانسجام والتناغم بينهما، فقد دشّن عبده حركته الإصلاحية على أساس التوفيق بين العلم والدين، وأن نجاح هذه العملية يعتبر المدخل الرئيسي لكل الإصلاحات العملية الأخرى، ولذلك فإن الإصلاح مؤسس على الحرب ضد كل محاولات الفصل وقطع الآصرة بين العلم والدين، التي تستهدف طمس المعيار الواقعي لحركته الإصلاحية وتقويض مشروعيتها٧٣.

ومما سبق، تتضح بالدقة مهمة العقل، كما شرحها هشام شرابي بما نصه: "إن العقل في أبرز تموضع عملي له ـ كمصدر للرأي والحكم ـ لوحظ في مزاولة

الاحتكام العقلاني، في التفريق بين الصحيح والخطأ، والحق والباطل، وبالنظر إلى الشؤون الدينية، فإن الشكل الأعلى للعقلانية، ما يصطلح عليه بالاجتهاد"٧٤. إن مزيدا من التمعّن في أعمال الشيخ عبده، تسترد بنا إلى حقيقة الانفتاح الكثيف على تراث المدارس الفكرية في الإسلام، والاستيعاب التام والدقيق لموضوعات الخلاف الملتهبة، ونقاط التفجر في الجدل الكلامي في تراثات هذه المدارس، ولربما أمكن الوقوف على الهاجس الكبير، الذي راود الشيخ عبده في هضمه لكل التراث الكلامي المتنوع، بكل سجالاته، والتهاباته، فقد حاول أن يدرأ عن نفسه تهمة الانتماء إلى إحدى الفرق الكلامية في التاريخ الإسلامي، فحاول أن يمحو انتماءه، بالتلبّس بهم جميعا، عن طريق الرجوع إلى منجزَات هذه الفرق واستيعابها داخل منهجه الفكري الإصلاحي. ففي سؤال شيخ الأزهر، الشيخ عليش للشيخ محمد عبده ـ وكان طالبا بالأزهر حينذاك ـ :"بلغني أنك رجّحت مذهب المعتزل على مذهب الأشعرية؟ فرد الشيخ محمد عبده: إذا كنت أترك تقليد الأشعري فلماذا أقلد المعتزلي؟ إذن أترك تقليد الجميع وآخذ الدليل"٧٥. وكونه تنبّه للإشكالية الحسّاسة التي يثيرها الانتماء لمدرسة الاعتزال بوصفها المدرسة الكلامية العقلية، المثيرة للجدل، فإنه "تفادى بحذر أن يحسب نفسه على المعتزلة، وكفّ عن ترك الإيحاءات الملازمة لأي استنتاجات منطقية مستندة للمنهج المعتزلي..."٧٦، بل وحتى يتفادى المواجهة مع السؤال العويص، على حد نداف سافران حول العلم الإلهي المطلق والبشري، لم يلجأ إلى مبدأ القانون الطبيعي، كما فعل المعتزلة "وعوضا عن ذلك رجّح المصطلحات العربية مثل الجميل والقبيح بدلا عن الحسن والقبيح، التي تعبّر في اللغة عن القيمة، وأيضا عن أحكام جمالية (كما تعرفها علم الجمال في الفلسفة) في سبيل تنشئة نظرية المنفعة للتعاليم المؤسَّسة على الجماليات المشتركة"٧٧، وهناك رأي مماثل لـزكي بدوي يقول فيه :"حاول ـ الشيخ عبده ـ معالجة مشكلة القانون الأخلاقي في أعقاب المدارس الإسلامية المبكرة... عالجها كجزء من السؤال العام ـ الكبير حول القيمة، ولذلك استعمل مصطلح الجميل ليعني به الخير واستعمل القبيح ليعني

به الشر"٧٨.

وتبرز ذات الملاحظة ـ الإشكالية، في محاولة الشيخ عبده تحاشي المصطلحات المستعملة في تراث الجدل الكلامي بين المعتزلة والأشاعرة حول أفعال العباد والإرادة والاختيار، فعوضا عن استخدام عبارة أن أفعال العباد مخلوقة من قبل العباد، يحاذر من استخدام كلمة (خالق) ويستعمل بدلا منها كلمة (مختار) حيث يظهر عبده في هذه الرأي كما يرى مالكوم كير "مخلصا لبعض الصياغات الأشعرية الأصلية: وفي هذه الحالة، تنزيه الله وحده لا شريك ، بوصفه خالق كل شيء"٧٩، مع الالتفات إلى أن الشيخ عبده لا يتبنّى هنا الرأي الأشعري بالكامل، بل يمزج بين الموقفين: الأشعري والمعتزلي سعيا الى إجهاض أي انطباع من هذا القبيل كالذي تركه عند كير هنا. وفي واقع الأمر، يميل الشيخ عبده عقليا للمعتزلة والماتريدية وإيمانيا للأشاعرة، وهذه الثنائية انعكست في منهجه الفكري وأدائه الإصلاحي أيضا، وحسب زكي بدوي: "في ضوء تحليل نفسي، كان عبده قادرا على إعطاء دعم قوي لوجهة النظر المعتزلية، وباللحظ السيوسيولوجي (الاجتماعي) لاختلافات لا حد لها... يؤول إلى الموقف الاشعري..."٨٠.

إشكالية الأصالة والمعاصرة في الثقافة الإسلامية (٨١)

إن المتأمل لإشكالية الصراع أو كما يقال الصدام أو الصراع بين الثقافات (٨٢) خاصة فيما بين الثقافة الإسلامية والثقافات الأخرى غير الإسلامية يستطيع أن يتوصل لنتيجة هامة ومؤكدة هي: أن الثقافة الإسلامية مستهدفة من قبل أعدائها باعتبارها أحد تلك الثقافات التي قد يحدث بينها وبين الثقافات غير الإسلامية صدام أو صراع في الوقت الحاضر.(٨٣) وقد يكون تابعا لتلك النتيجة أن يسعى المجتمع الإسلامي في الحفاظ على هوية ثقافته الاسلامية بالحفاظ عليها من الاندثار إذا ما دخلت في صراع مع الثقافات الاخرى الأمر الذى يدعو إلى ضرورة العودة إلى أصول تلك الثقافة "أي الاصالة" وقد يدعو البعض إلى نبذ الثقافات المعاصرة خوفا من تلوث أصول الثقافة الإسلامية بمفردات تلك

الثقافات المعاصرة غير الإسلامية بمعنى تجنب الثقافات المعاصرة حفاظا على أصالة الثقافة الإسلامية، وفي ضوء ذلك يتضح جليا أن هناك إشكالية كبرى في العالم الإسلامي – في الوقت الحاضر – هي إشكالية "الأصالة والمعاصرة" في الثقافة الإسلامية وقد يكون لتلك الاشكالية أثر قوي وهام على إشكالية التعليم في العالم الإسلامي

إشكالية "ثقافة العولمة" في العصر الحاضر:(٨٤)

١) البعد الثقافي للعولمة.

منذ نهاية الصراع بين الشرق والغرب، نشهد عولمة الاتصالات والمال من جهة وبلقنة سياسية عبر النزاعات المتفجرة في العالم أجمع من جهة أخرى. حتى أنه يمكن الكلام عن "عرقنة" للعلاقات السياسية والاقتصادية الدولية. وتخسر الدول القومية المزيد من سيادتها بسبب تزايد الطابع الافتراضي للاقتصاد العالمي الذي لم يعد يتمتع بنقطة ارتكاز. تحدث كارل فريدريتش فون فيزاكر عن حق عن "سياسة داخلية عالمية."

وتدور هذه السياسة أكثر فأكثر حول إحدى مسائل أرخميدس: العلاقة مع الآخر والعلاقة بين تصور الأنا والآخر. فالهويات الحديثة أصبحت أكثر تفسخّا وفي النهاية أكثر تبعثّرا. وتتزايد النزعات العالمية التي تنشب لأسباب ثقافية ودينية حيث أن المواجهة بين الشرق والغرب لم تعد تحدد الهويات. فالعولمة الثقافية باتت تندرج في إطار التناقض بين الدول القومية من جهة والمسارات الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية المافوق قومية من جهة أخرى. الحقيقة أن التناسق والاختلاف يتقدمان جنبا إلى جنب. لكن أي شكل يتخذه التلاقي بين التقاليد الثقافية والتحديث التكنولوجي؟

يمارس الأطراف الفاعلون الكبار في الغرب على صعيدي السياسة والاقتصاد الدوليين ضغوطا كبيرة على سائر العالم من أجل فرض التحديث كما يتصورونه. لكن المجتمعات والثقافات التي تتلقى هذه الضغوط تدخل في نزاع مع نفسها. أما الثقافات المستهدفة فهي خصوصا ثقافات الإسلام التقليدي في القوقاز

والثقافات الأفريقية القديمة أو ثقافات بعض بلدان أميركا اللاتينية أو آسيا. ونشهد اليوم نزاعا سياسيا واقتصاديا حادا حول طبيعة النظام والهوية العامين. وتؤدي الثورة ضد الحداثة الغربية كما يؤدي الاستغلال السياسي لمفهوم الهوية إلى نزاعات أصولية كما في الجزائر وأفغانستان والسودان والهند وباكستان. فالنزاعات الأصولية هي في جوهرها معادية للحداثة. بيد أن إدراك الفروقات الثقافية يمكن أن يؤدي إلى المطالبة بحوار ثقافي متبادل يشكل قاعدة لأي نظام سياسي جديد. فكل شيء بات خارج الرقابة.

كيف يمكن للعالم أن يتأقلم مع هذا التكاثر في الهويات؟ حتى الساعة، وبدل الوصول إلى "توحيد ثقافي"، أدّت العولمة إلى نمطية تقنية وتناسق دون وحدة حقيقية. فالثقافة الراهنة لم تعد ثقافة مكان بل ثقافة اللحظة.

وتدل الأزمة البنيوية التي تجتازها الدول النامية مدى الصعوبة الأليمة التي تكتنف العبور نحو الحداثة. نعيش زمن تسييس الفروقات الثقافية باعتبارها الشكل الأقصى للنزاعات الأصولية. ويتحول وعي الثقافة إلى رافعة للنزاعات السياسية يرافقها بحث فردي حثيث عن الهوية تنتصر فيه الحركات الأكثر تطرفا. فقدت الحضارة العالمية قطبها الكوني المتماسك فحلت محله كونيات متعددة تتصارع من أجل السيطرة.

٢) الشروط الثقافية-التاريخية للاقتصاد العالمي.

لم ينتج عن الأزمات الاقتصادية في السنوات الأخيرة-خصوصا في العامين ١٩٩٧ و١٩٩٨ في آسيا والبرازيل وروسيا- أي نقد ذاتي جدي في أوساط اللاعبين العالميين في أسواق الأسهم كما لم تجرِ بالطبع أي إعادة نظر عميقة في النظام. مع ذلك فإن أمرا بديهيا صار بارزا للعيان وهو أنه لم يعد جائزا اعتبار الليبرالية في الاقتصاد العالمي عقيدة لا تخطئ ولا يمكن بعد الآن نقلها إلى جميع الأنظمة الاقتصادية في العالم دون دراسة التاريخ الثقافي والديني لكل بلد من البلدان. فالقيم الثقافية اتخذت فجأة أهمية قصوى بالنسبة لحركة الرساميل العالمية. ويجب الاستنتاج بصورة واقعية أنه يجب احتساب العناصر الحاسمة في

الاقتصاد والسياسة عند دراسة عوامل المجازفة وبلورة الاستراتيجيات الأمنية وهذه العناصر الحاسمة هي الثقافة والدين. فالمطروح اليوم بلورة نظام انذار دفع الرئيس الألماني السابق رومان هرتزوغ للتحدث من "فرض واجب سياسي أمني".

علينا أن نطرح إذن سؤالا أوليا: لماذا يكون هذا النمط من النمو ممكنا في أوروبا أو أميركا الشمالية وغير ممكن في كينيا والسعودية أو البرازيل؟ وتسهيلا للإجابة علينا أن ندرك العوامل التي تساهم في نمو الدولة واقتصادها بشكل ينطلق من الخاص الى العام. لا بد أن تتأثر التحليلات المالية بهذا الإدراك. ويتبين أن لا غنى عن التاريخ الثقافي الذي لم تقدره السياسة الواقعية حتى الآن حق قدره، من أجل فهم المنطق الفعلي وراء التفكير والنشاط في المجتمع والاقتصاد والحركة الداخلية الخاصة بهما. فمن المثير للدهشة والمثير للمخاطر في آن واحد رؤية المضاربين العالميين لا يستخلصون العبر من الأزمات. فبدل تغيير بنية النظام وأخذ العوامل الثقافية والدينية في الحسبان لم تتم سوى بعض الترتيبات السطحية.

لماذا علينا تغيير المعايير عند انشغالنا بالسياسة والاقتصاد؟ أية توضيحات نحصل عليها من جراء أخذ البعد الثقافي والأنثروبولوجي للسياسة والاقتصاد في عين الاعتبار؟ من خصوصيات الحياة البشرية أنها تتجلى في أشكال مختلفة ومن المتفق عليه في علم الاناسة إطلاق تسمية "ثقافة" على تنوع أنماط الحياة هذا.

يفترض إنجاح السياسة الاقتصادية للتنمية الطويلة الأمد الإمساك بالمعايير الثقافية السائدة واستخلاص "عناصر التخطيط" العملاني منها. ويدرك أصحاب القرار السياسي والاقتصادي أكثر فأكثر أن المشاريع "الصائبة" تقنيا في سياسات التنمية لا تحقق جميع أهدافها أو أنها تبقى دون فعالية تذكر. وحدها الدراسات الهادفة للبيئة الثقافية قادرة على ضمان نجاح مشاريع التنمية الاقتصادية. فالمطلوب فهم مختلف الثقافات عبر قيمها الخاصة وعلى الخبراء الاقتصاديين اعتبار كل واقع على أنه واقع ثقافي يترجم في الأفكار والأفعال بما

فيها النشاطات الاقتصادية. وقد اضطر الاقتصاديون الغربيون للاستنتاج أنه بعد سنوات من زرع اقتصاد السوق الرأسمالي في روسيا لم يكن هذا البلد جاهز بعد لتلقي علاج الصدمة هذا، خصوصا بسبب وزن التقاليد المحلية. فهناك علاقة سبب ونتيجة بين الثقافة ومستوى التنمية الاقتصادية.

إذا كان الاقتصاد نتيجة تقاليد ثقافية ودينية فلا إمكانية بالتالي لعقلانية كونية. ويصح ذلك أيضا على قياس المخاطر الخاصة بكل بلد وعلى قرارات الاستثمار. من هنا يأتي عطاء علم الاناسة. لماذا معدل الادخار يبلغ ٥٠ بالمئة في سنغافورة و٩ بالمئة فقط في مكسيكو؟ ما هو تأثير التقليد الآسيوي الكونفوشيوسي بالنسبة للثقافة الكاثوليكية؟ إن منطق الفكر والعمل مرتبط بخصوصية المكان والزمان. فمن أجل توقع حقيقة المخاطر على الاستثمارات الدولية من الأفضل التزود بأطلس جغرافي-ثقافي. فمن توجه الثقافة إلى التأمل أو على العكس إلى النشاط تأتي قدرتها على الخلق ونزعتها إلى الإنشاء والتوظيف أو مهاراتها التكنولوجية. أنه لأمر حاسم أن نعرف مدى تطابق التكنولوجيا مع الثقافة والدين وإذا كان يجب إدخال التقنيات الجديدة إلى أميركا اللاتينية المحملة بثقافة استعلائية بدأت بالفلسفة الكلامية الكاثوليكية في القرن السادس عشر وأخلاقيات العمل المرتبطة بها، أو إدخالها إلى الهند مع إيمانها بالتقمص وانعكاس هذا الايمان على تنظيم العمل، أو إلى اليابان وتقاليده الشنتوية ومبدأ التوافق في اتخاذ القرارات أو إلى الثقافة الأميركية الشمالية الكالفينية مع ميراثها البروتستانتي حول "المصير الجلي" أي النجاح المادي على الأرض والمكافأة في السماء.

ذلك أن تاريخ الفكر يعكس نظام القيم داخل الثقافة التي تمد تأثيرها على المجتمع بأكمله. فلكل نظام اقتصادي "رأسمال ثقافي" خاص به. وليست سياسة التنمية مجرد نقل للتكنولوجيا إذ يؤدي تطبيق معايير المجتمعات الصناعية في البلدان الناشئة إلى أخطاء في أغلب الأحيان. فالمطلوب أخذ العوامل الثقافية الرئيسية في الحسبان: البنى الدينية، تشخيص الله، الميتولوجيات، التعبد

للأقدمين في أفريقيا (من نيجيريا الى مدغشقر)، علاقة الانسان بالطبيعة والماوراء والموت، الموقف من البيئة كشرط للسلوك الإيكولوجي، العلاقة بالوقت والارض والملكية، الاعتراف بالسلطة والحكم، النزعة إلى الربح والنمو والإنجازات، الموقف من كل ما هو جديد، معنى المستقبل، القدرة على تشكيل النخب وأشكال اتخاذ القرارات.

فالثقافة ليست فولكلورا أو زينة بل تمثّل قوة حاسمة على صعيد التنمية. وبما أن التكنولوجيا ليست محايدة فيجب أن تتأقلم منعا لإلحاق الدمار بالهوية الثقافية وحتى بمؤسسات الدولة إذ يصل الأمر بالتناسق التقني إلى تنميط وتوحيد كافة مجالات الحياة مهددا تنوع الثقافات النابعة من التاريخ.

بمناسبة العيد الخمسين بعد المئة للمؤسسة الملكية للأنثروبولوجيا في لندن، قال عالم الاناسة البريطاني أرنست غلنر عن حق: "حيث لا يتمكن علماء السياسة والاقتصاد من تحقيق التقدم في تحليلاتهم المطلوب من علماء الاناسة توفير الأجوبة للمشاكل الملحّة. ويفترض ذلك بالطبع أن تقوم الأنثروبولوجيا بدراسة الإنسانية في مجملها وليس فقط إنسانية "الثقافات الاخرى".

٣) التداخل الثقافي أداة لضمان السلام

يتيح لنا المستوى الحالي للمعارف فهم الكائن البشري على أنه نتيجة تطور وراثي وثقافي في آن واحد مما يظهر تعارضا جليا: فإذا كانت الثقافة نتيجة للنشاط الإنساني فإنه من الصحيح أيضا أن النشاط الإنساني ناتج عن الثقافة. وإذا كانت الجينات تحدد القدرات العقلية فإن هذه القدرات توجه المكتسبات الثقافية. فإن التاريخ الثقافي للكائن البشري كما يعبر عن نفسه في السلوك الرمزي كاللغة والقدرة على الإبداع التقني والعلاقات المتبادلة بين الجماعات، يرجع إلى ما بين ٢٠ إلى ٢٥ ألف سنة، مع ترسّخ العصر الحجري الأعلى. كانت تلك مرحلة انتشار متسارع واختراعات سريعة وإنجازات فنية كبيرة حيث أدّى العامل الثقافي بدوره إلى تعزيز التطور الجيني البحت.

هناك درس يفرض نفسه على القرن الحادي والعشرين: يجب أن يسبق التحالفات السياسية والتعاون الاقتصادي حوار بين الثقافات والاديان. وقد سبق وتقدم بهذه التوصية الضامنة للسلام محللين بعيدي النظر من أمثال جورج دوميزيل وكلود ليفي-ستروس أو أيضا عالمة الاقتصاد أماريتا سين [1] . وتلك مهمة تبدو أصعب من أي وقت مضى، وعلى الغرب المساهمة فيها لأنه لا يمكن حصر القرار بدولة واحدة.

هكذا يصبح الحوار بين الثقافات أو داخل الثقافات المشكلة الوجودية للسياسة الواقعية المستقبلية. فلا مفر من إعادة التفكير في العلاقات السائدة داخل عالم متعدد الثقافات ولا يكفي الوصول إلى توازن مبني فقط على الاستراتيجية العسكرية من أجل تأمين السلام الدائم. المطلوب أيضا نزع سلاح الثقافات. فخلال تاريخ تطوره الطويل لم يصبح الكائن البشري جزءاً لا يتجزأ من الدولة فقط بل هو ينتمي قبل كل شيء إلى ثقافة وديانة محددتين. وهنا يكمن المفتاح لأي حل دائم لتواصل الثقافات المتعددة.

من الواضح أن العولمة الاقتصادية والمادية لا تقود مطلقا إلى الوحدة الإنسانية السلمية كما حاول البعض إقناعنا بل إلى تجانس خطير. علينا تغيير الوجهة فالصفة الكونية للثقافة لا تعبر عن نفسها من خلال البحث عن المطلق بل عبر الانفتاح على العالم. فإن ثقافتي متواجهة على الدوام مع ثقافة الآخرين والآخر هو أنا أيضا.

يشكل التعبير المتزامن الذي نشهده لجميع ثقافات ودول العالم ظاهرة غير مسبوقة في تاريخ البشرية ويفترض أخذها في الحسبان داخل النظام العالمي. ولا يجب أن تتخذ حضارة القرن الحادي والعشرين العالمية طابعا دوغماتيا بل عليها أن تنزع إلى الحوار. لا يجب أن تكون مركزية بل أن تتسم بالتداخل الثقافي في جميع ميادين الحياة.

في نهاية المطاف تطرح مسألة العلاقة بين الوحدة والتنوع داخل الحضارة الكونية المستقبلية، فالأمم المتحدة لا تضم فقط ١٨٠ دولة بل أيضا وبصورة

خاصة الآلاف من التقاليد الثقافية والدينية. ولا نجاح بعيد المدى للأممية الاقتصادية دون مواجهة للتاريخ ضمن إطار هذه "الآنية المطلقة" التي لا تتمركز في مكان محدد بل في الزمن الذي يلتهمنا جميعا.

سوف يبرهن القرن الآتي إذا ما كنا على مستوى هذه المهمة السياسية وإذا كنا قادرين على الترجمة بالأفعال للفكرة القائلة بأن لا تفتّح للخصوصية الثقافية بدون الالتقاء مع الثقافات الأخرى. وقد نشهد بداية هذا التداخل الثقافي لضمان للسلام ولاستمرار الكائن البشري. فالتقاء الثقافات والأديان كما العلاقة بين التكنولوجيا والثقافة ليست بالظاهرة الجديدة. لكنها تفرض نفسها في حضارة القرن الحادي والعشرين العالمية كإجراء سياسي طارئ في كافة أرجاء الكرة الأرضية ذات الاهمية الجيوستراتيجية.

ينفتح تاريخ التطور على احتمال مستقبلي لأن العناصر المشتركة بين الكائنات البشرية تختبئ في نهاية المطاف خلف جميع ديانات وثقافات العالم .

إشكالية كبت العلم وغروبه في العالم الإسلامي

ظهرت الحركة العلمية مع الاتجاه الفكري لتحكيم العقل ومنحه الولاية في الحكم على الأشياء، وقد ظهرت هذه الحركة في البصرة في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة (النصف الأول من القرن الثامن للميلاد)، وأخذ بها يومئذ اثنان من أحرار الفكر هما عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، وخالفهما أستاذهما الحسن البصري فاعتزلاه مع أصحابهما فعرفوا بالمعتزلة. والحجة الفاصلة بين الفريقين أن الحسن البصري ومن ذهب مذهبه من الفقهاء يرون أن الله _تعالى_ هو خالق أفعال الإنسان، وأن الإنسان مجبَر عليها ولا خيار له فيها، فعرفوا من أجل ذلك بالجبرية، وأن الآخرين ذهبوا إلى أن الإنسان قادر على خلق أفعاله بقدرة أودعها الله فيه هي العقل، فهو يستطيع به أن يميز بين الخير والشر فعرفوا من أجل ذلك بالقدرية - من القدرة لا من القدر - وعرفوا أيضا بالمتكلمين (أهل الكلام) أي: الآخذين بالجدل العقلاني المتأثر بالفلسفة اليونانية.

وقد نصر الخليفة المأمون مذهبهم وأسس منشأة علمية دعاها (بيت الحكمة) لترجمة الكتب التي جمعت فيها من اليونانية والهندية والسريانية إلى اللغة العربية، تلك الكتب التي جمعت علوم الأوائل في الطب والرياضة والفلك والأدب والفلسفة.

وقد آتى بيت الحكمة ثماره يانعة فأخرج أول فوج من علماء الفلك والرياضة والكيمياء والميكانيك (الحيل) ومن طلائعهم جابر بن حيان والخوارزمي والدينوري والكندي والرازي والبتاني، وتوالى من بعدهم أفواج من العلماء في المشرق والمغرب، حتى إذا أطل القرن الرابع للهجرة أخذت الحركة العلمية تفتر بفقد النصير الذي كان يرعاها، وأخذ من كان يتربص بها على التصدي لها وأعانهم على ذلك ظروف سياسية واجتماعية، حتى غربت شمسها عن بلاد الإسلام لتشرق في بلاد الغرب، تحمل إليه إرث اليونان الذي حضنته وأحيته وعملت على نمائه بما أضافت إليه من علم وأدب وفن.

إشكالية الفكر والثقافة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة:(٨٥)

يتميز الواقع الفكري المعاصر في عموم البلاد الإسلامية بحالة من الجمود والركود وغياب عناصر الإبداع والخلق والتجديد في هذا الجانب المهم مما يجعل حركة المجتمعات في هذه البلدان تتراوح في مكانها لا تتقدم بل أحيانا نلاحظ تراجعا إلى الوراء. ويتضح هذا الأمر جليا في النواحي الثقافية والحضارية وانعكاساتهما على التطورات الاجتماعية والتركيبات السياسية والفعالية الاقتصادية والإنتاجات العلمية ويجعل الهوة تكبر ولا تصغر مع الدول المتقدمة التي تسير حثيثا نحو الأمام. فهناك تفاوت واضح مع المجتمعات المتطورة في درجة الإبداع والابتكار والتي تمكنها من الإنتاج الفكري المتواصل والضروري لفعالياتها المختلفة وفي عالم سريع الحركة ومتجدد الفكر. مجتمعاتنا لا تنتج فكرا ولا تعيش حالة في الواقع الحال التجديد المتوقعة والمتناغمة مع متغيرات الوقت ومتطلبات العصر، ومعظم انتاجاتها الفكرية الزاخرة والمتنوعة تحققت في فترة معينة. ولا نجد اليوم تغيرا كبيرا أو انعطافا جديا في الجانب الفكري لأحداث

النقلة النوعية المطلوبة. والذي نلمسه هو ترقيعات أو تحسينات تمس القشرة الخارجية إذا صح التعبير ولا تتوغل إلى العمق في تحقيق التغيير الجوهري في قلب عملية التفكير وهو العقل وانعكاساته على الأبعاد الواسعة للذهنية. العقل هو العمق الداخلي للإنسان ومحور الذهنية وقوّة الدفع الأساسية لعملية التفكير وإنتاج الأفكار بالطريقة البناءة والمرجوة والتفاعل إيجابيا مع محيطه الخارجي. السبات العقلي والذي يميز حال شعوبنا اليوم يغلق الذهنية ويقوقع التصورات والآفاق ولا يسخر عملية التفكير بطبيعتها اليقظة والنافعة.

التفكير وعمليته المعقدة هو الصفة الأساسية التي ترقي الإنسان عن باقي الحيوانات والمخلوقات، كما أنها عملية غير مرئية أو مسموعة وإنما تتجلى من خلال انعكاساتها على الأنشطة البشرية.

عملية التفكير معقدة وغامضة وحتى الآن لم يفهم ميكانيكيتها أو آلياتها في العمل وهناك كثير من النظريات والتفاسير لشرح ما يسمى بالعقل. أعطى العقل الإنسان القابلية على تمييز الأمور ومكّنه من الإدراك والسعة في فهم القضايا وممارسة التعليل والمنطق والأسباب وأنضجه كثيرا في جوانب المعرفة والعلم والذي أدى إلى ارتفاعه عاليا وفي خط تصاعدي منذ بداية مسيرته جاعلا منه السيد على هذه الأرض. هذا معناه أن التفكير وإفراز الأفكار عملية ذهنية تتطور عند الجهد والممارسة الصحيحة وتعطي ثمار كبيرة في إنتاج أفكار عالية تغير الواقع وتتحدى الخيال. وقد تكون أحد الأسباب التي ميزت العظماء والفلاسفة عن باقي الناس خلال التاريخ هو الاهتمام بعملية التفكير وإدراكهم بأن الأفكار الكبيرة لا تأتي إلا من المعاناة والجهد وعن طريق كثرة الأسئلة واعتبار وتقييم الأجوبة التي تمكّن هذه العملية في نهاية المطاف من فرز الإيجابيات عن السلبيات.

كما أن عملية التفكير وإفراز الأفكار هي تأكيد لذات الإنسان وفي حالة وقوفها أو غيابها معناها إلغاء وجود الإنسان. وهذا هو الذي جعل ديكارت الفيلسوف والرياضي الفرنسي في القرن السابع عشر في استنتاج مقولته المشهورة «أنا أفكر

أنا إذن موجود». أي أكد له الشك وجوده. والفكر حاجة ضرورية للإنسان ومجتمعه وعند إشباع هذه الحاجة فإنها تمثل تحدي لنشأة الواقع أو كما يضعها توينبي الفيلسوف والمفكر البريطاني «الفكر استجابة وتحدي». ثم إن الأفكار وانعكاساتها أنتجت الحضارات الكبرى وأفرزت مواقع جديدة وتطور هائل وخبرة عميقة للحضارة الإنسانيّة. يقول الكاتب نورمان كزنس «إن الفكر هو الطاقة الأساسية لتاريخ الإنسان وتم بناء الحضارات والمدنيات بالأفكار وليس بالمكائن والآلات».

يركز كتاب الله القرآن الحكيم على أهمية الفكر والتفكير وهبة الله _عز وجل_ العقل للإنسان، وبهذا نرى أن آياته تكثر من ذكر (أفلا تتفكرون). (أفلا تعقلون) والأهم من ذلك يذكرها بصفة الجمع (هل يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون). لأن الأفكار لا تنمو ولا تنضج إلا من خلال التلاقح والتفاعل مع بعضها البعض. وهذا يعني أن الفكر مسؤولية المجتمع بكامله وأن حاله لا يتجدد إلا إذا كان العقل يقظا والمجتمع في حركة متواصلة ومستمرة.

حركة المجتمع:

الإنسان نواة المجتمع وإذا اصاب خلل أو نجاح لهذا الإنسان فإنه سينعكس على مجتمعه (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وأول آثار الخلل أو النجاح تكون ملموسة على عملية التفكير وطبيعتها. تراجع أو تقدم الإنسان في عملية التفكير وطبيعته تؤثر على وضعه الخارجي أي بيئته أو محيطه الصغير الذي يعيش فيه. هذ البيئات الصغيرة أو الشبكات الاجتماعية هي الوحدات الصغيرة المؤلفة لنسيج المجتمع العام، والترابط والتفاعل بين هذه الوحدات هي التي تخلق الحركة المطلوبة في المجتمع للتجاوب مع متطلبات الواقع ومتغيرات الوقت وتخلق المحفزات الضرورية للشعور بالحاجة الماسة للفكر. كما أن الممارسة والتجديد تمثل قوّة الشد والربط بين وحدات النسيج الاجتماعي وعامل ديناميكي لحركة المجتمع وتطوره.

أحدث المسلمون في بناء صرحهم الحضاري هذه الحركة المطلوبة في المجتمع والتي مكنتهم من فرز فكر متميز نابع من ديناميكية ذاتية قابلة للإبداع والتجديد والاستمرارية لفترة من الوقت. كما أدت هذه الحركة إلى إفراز حضارة ثقافية وعلمية كبرى وترجمة كثيرة من المصادر الإغريقية وتداخل وتشابك الموارد المعرفية الذاتية مع الخارجية في تحقيق أصالة جديدة ومرحلة كبيرة في الحضارة الإنسانيّة.

طوّر المسلمون الأرقام الحسابية المستخدمة اليوم في الغرب ثم اكتشفوا الصفر هذا العمل الرياضي الجبار ولا يمكن تخيّل عمل حاسـوب (Computor) اليوم بـدون صفـر في ميكانيكيته (Hadware) أو برمجـته (Software). والنظام المعقد والمتقدم المستخدم اليوم في علم الحاسبات (Algorithm) يعود في أصله وقواعده إلى العالم المسلم الخوارزمي. كما تم تشخيص اعراض الجدري والحصبة من قبل العالم والطبيب ابن سينا واكتشاف الدورة الدموية في الجسم الإنساني من قبل العالم ابن الخليل بالرغم من ادعاء الغرب لعكس ذلك عدا القلة من باحثيه المنصفين. ثم أدخل المسلمون مصطلحات تجارية تستخدم اليوم في اللغة التجارية كالتعريفة (Tariff) والمخازن (Magazine). وبدايات علم الاجتماع وظهوره علما متخصصا بحد ذاته ظهر عند العرب والمسلمين وأبرز علمائه المشهورين ابن خلدون. وهذه أمثلة قليلة جدا من وفر غزير يوضح المعرفة والحضارة التي كانت تميز المسلمين أثناء مراحل التجديد الفكري والحضاري.

خزائن هذه المعرفة وجدت طريقه إلى أوروبا الغربية وهيأت الظروف الموضوعية لعصر النهضة هناك وأثرّت أي تأثير في الحضارة الغربية الحديثة.

أدى هذا التلاحم الحضاري والقرب الجغرافي إلى إفادة الأوربيين من هذه المعرفة كما خلقت حركة ترجمة كبيرة لكل المصادر العربية إلى اللاتينية. وحتى عند النظر إلى المصادر الإغريقية في أوروبا كان يرجع أولا إلى نصها أو ترجمتها العربية. هذه الحركة ساعدت إلى إحداث النقلة الحقيقية للانفجار المعرفي في

عصر النهضة. كما ساعدت هذه النهضة على تقدير قيمة العقل وطبيعة التفكير الديناميكي الذي كان موجودا عند المسلمين لتحدي الواقع الفكري الجامد وإفراز إنتاج فكري جديد. الواقع المتحرك للفكر نمّى الملاحظة الموضوعية وأثار عملية الانتباه والتي كانت العنصر الاساسي في خلق الثورة الصناعية الأولى (عصر الماكنة) في القرن الثامن عشر ثم تطورها في هذا القرن لأحداث الثورة الصناعية الثانية والمتمثلة بتكنولوجيا المعلومات (أو ثورة الذهن). كان هناك احتجاج ومعارضة عامة من قبل المجتمع الأوروبي على حالة الحركة والتغير المستمر الذي شهدها خاصة في بدايات هذا القرن (عصر الكهرباء) والتي اعتبرت عملية سلبية يؤدي إلى الانحدار التراثي وزحزحة للأحلام الداخلية. والحقيقة أن الإبداع الفكري والثقافي والتكنولوجي ساعد على حياكة وحدات نسيج المجتمع وخلقت الذهنية المتفتحة والأساسية لطبيعة التفكير الحيوي. هذا الأمر هو الذي طوّر التقنية والتنمية الاقتصادية والاستقرار السياسي والأنظمة الديمقراطية.

اليابان (وبعدها دول جنوب شرقي آسيا) وبفترة زمنية تعتبر قياسية هي الأخرى استطاعت أن تتفاعل مع الجانب الفكري بشكل إيجابي لتحدي واقع الهزيمة بعد الحرب العالمية الثانية. إضافة إلى طبيعة المجتمع الياباني في العمل الجماعي (ومعظم شعوب الجنس الأصفر) في إيجاد المحفزات الضرورية لحركة المجتمع والانفتاح على أعمال الآخرين (الغرب خصوصا) في إحداث حركة تقنية كبيرة أثمرت في أساليب تنظيمية وإدارية معقدة ومتقدمة حتى عن الغرب. وهذا معكوس على الجوانب الاقتصادية والمالية وموقعها المرموق في عالم اليوم.

أحدثت الهند ثورة (خضراء) زراعية أشبعت عدد نفوسها الهائل بعد أن كانت تعيش المجاعات ثم بدأت بتصدير الفائض في هذه المنتوجات والحصول على العملة الصعبة لتوظيفها في الجوانب العلمية والتقنية. ومتوقع للهند أن تكون الدولة الثانية في العالم بعد أمريكا في ارتياد الفضاء في السنين القليلة القادمة مع تقنيات متطورة في مجالات الذرة والحاسبات. استطاعت الهند إحداث كل هذا في العقدين أو الثلاث الماضية من خلال استخدام وسائل العمل وطرق التنظيم

والأساليب المتطورة (والمأخوذة من الشرق والغرب) والمتسقة مع الواقع الهندي وتطوير الفكر النظري ونزوله لواقع التجربة والممارسة. الصين كذلك متطورة في جوانب كثيرة ومتوقع لها مع الهند أن تكون من القوى الفاعلة في القرن القادم.

وهنا يمكن إثارة الأسئلة عن واقعنا المأساوي:

كيف وصلنا إلى هذا الحال؟

لماذا تخلفنا وتقدم الآخرين؟

لماذا نلاقي صعوبة بالغة في تحريك مجتمعاتنا وتطوير واقعنا وعصرنة أمورنا؟

أين تكمن المشكلة الحقيقية في هذا التأخر والانحطاط؟

قبل الإجابة على هذه الأسئلة علينا أولا دراسة العامل التاريخي. فقسم من المحللين والمفكرين من يرى أسباب التخلف والانحدار تعود إلى الفترة التي أعقبت سقوط بغداد عام ١٢٥٨م على أيدي المغول وتحطيم المكتبات ودور العلم والمعرفة. والقسم الآخر من يعزوه إلى الفترة المظلمة التي عاشتها المجتمعات الإسلامية أثناء الخلافة العثمانية في القرون الثلاثة أو الأربعة الماضية والانعزال التام عن التغيرات الخارجية في معظم تلك الفترة بعد أن عاشت التلاحم والاحتدام الإيجابي مع الخارج في فترة الصراع الحضاري الزاخر. وتعقدت هذه الحالة الجامدة في المجتمع نتيجة الانفتاح على الغرب والذي تركز في هذا القرن. مثّلت فترة الظلام انهيار حضاري واضح ومعكوس على أهم جانب لمكونات أو مركبات الحضارة وهو الجانب الفكري والمعرفي. فبعد أن كان الإنسان في زمن الحضارة الإسلامية

والعربية يتحرك ويبدع وينتج ويمثّل هو ومعلوماته (معرفة) حلقة وصل بين فترات التطور والرقي. أي شهد الإنسان حركة ونهضة عقلية قصيرة نسبياً كان انعكاسها ملموس على المجتمع ومكنتّه من البحث في حقائق الحياة ومحاولة فهم أسرار الكون والطبيعة. أصبح الإنسان في الفترة المظلمة يميل إلى الركود والراحة ويأبى المعاناة والجهد في التغيير والتجديد. أي أن الخلل أصاب الإنسان نواة المجتمع وانتشار آثاره على الشبكات أو الوحدات الاجتماعية وبالتالي بروزها

كظاهرة اجتماعية. صار الفكر يمثل البحث فقط في الجانب التراثي وإهمال كبير وملموس للجوانب الاخرى. والأهم أن نظم البحث كانت تتم بنفس الطرق والأساليب والأدوات لتلك المستخدمة في القرون السابقة والطويلة والنظر لأمور البحث من ذات الزاوية وبمعيار ثابت لم يتغير طوال هذه القرون. إن البحث في أمور التراث والعقيدة ضروري وأساسي لكن يجب ألّا يطغى على الجوانب الاخرى التي تهم الإنسان وحاجاته وحياته المتغيرة مع الزمن. أي يكون هناك توازن كما في قول الامام علي _عليه السلام_: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا». والشيء الآخر أن التجديد والعمق الفكري يعبّر عن يقظة العقل وجعله في حركة وفعالية مستمرة ومعطياته في مفاهيم ورؤى جديدة لأمور العقيدة تكون أكثر معرفة وتطورا من السابق. وهذا بدوره يؤدي إلى سمو الإنسان وعلو الإيمان عند تعامله مع الجانب العقيدي. وبنفس الوقت تكون العقيدة في تفاعل وتبادل معرفي مع جوانب البحث في الكون والطبيعة ليسيران (العقيدة والعلم) سوية في خط تصاعدي واحد.

الذي حدث هو اهتمام بالطقوس الذ يطلق عليه البعض "الإسلام الطقوسي" الذي يربط المسلمين ببعض الطقوس وبعض العادات وبعض التقاليد التي حولتهم إلى وضع متجمد أمام هذه الموروثات». هذا الواقع أثّر على عملية التفكير وطبيعته ونوعيته وقدرته على إفراز أفكار جديدة وتحسين الأساليب والأدوات لملائمة الواقع المعاش. أي أصبح جمود في الواقع أو نظرة للوراء فقط دون التفاعل مع المرحلة الآنية لإمكانية الدفع للأمام ورسم المستقبل. هذا الركود الفكري نفى الحاجة إلى وجود التجربة والتي هي عنصر أساسي لحركة الفكر وتطوره. أي أن الأفكار النظرية لم تتحول إلى تجربة تطبيقية والتي هي أمر في غاية الأهمية؛ لأن التجارب ترشد الوعي وتنضج المعرفة وترهف الحس الاجتماعي وانعكاساته على الفعاليات الاخرى للمجتمع. كما أن الإبداع والابتكار لا يزدهر ويتطور إلا في ظل تراكم الخبرات التي تتواصل وتتشابك بين شبكات المجتمع وتحدث المناخ الصحي لتراكم النشاط الفكري أو حالة التجديد والتواصل

الحضاري واستمرار الصلة العضوية بين الماضي والحاضر. كما أن عدم وجود حركة فكرية تنفي الحاجة إلى عوامل المحفزات والتشجيع والتي تدفع أبناء المجتمع وشبكاته إلى العمل والفعالية. ثم الانفتاح على الغرب خاصة في هذا القرن خلق حالة من الارتباك والتذبذب في المجتمع. فتجد هناك من يريد أخذ التجربة بكاملها، وقسم آخر من يرفضها بالكامل، ومعطيات هذه التجربة حركة ناقصة بل متعثرة ومشوهة وواقعة تحت تأثير الضغط الخارجي (غزو) من جانب والانهيار الداخلي من جانب آخر. وهذا الوضع المتأرجح خلق حساسية شديدة من موضوع العصرنة والتحديث ومواكبة التغيرات ومحاولة المجتمع استيعاب إنتاجات وإفرازات الغرب لقرنين من الزمان وبفترة قصيرة نسبيا. ثم خلق صعوبة في التميز بين الجيد والسيء في عملية الانفتاح، وكيفية التفاعل؟ وكمية وماهية الهضم؟ كما أن تقليد التجربة العلمية والتقنية زاد في الطين بلة؛ لأنها تمت بدون وضع الأسس الصحيحة لاستيعاب التجربة بما يناسب الواقع في بيئته وجغرافية منطقته وتراثه وحتى طقسه (كما حدث في اليابان أو الهند مثلا؟) وبالرغم من صيحات ما يسمى بالنهضة القومية والسياسية خاصة في فترات بعد التحرر من الاستعمار فإن الحالة ازدادت تذبذبا وتأرجحا مما جعل هذه المجتمعات تعيش حالة من الصراع بين الفخر والاعتزاز بماضيهم من جانب والحساسية الشديدة لتخلفهم المعاصر مع الشعوب الأخرى من جانب آخر. اعتزاز بماضٍ عظيم لعب دورا كبيرا في ارتقاء الحضارة الإنسانيّة وحساسية شديدة للوضع الحالي الذي يتبع ولا يُتبع والانبهار التام بالحضارة الغربية. حيث تعيش هذه الشعوب حالة من الارتباك القيمي والسيكولوجي (النفسي) نتيجة تخلف العالم الإسلامي لعدم امتلاكه لتكنولوجيته المتولدة في بيئته وظروفه وفرز مفاهيم وقيم متجددة للمجتمع وإفراز حضارة تحدد هويته. أي أن هناك تعريب للمصطلحات اللغوية ولا يوجد إنتاج لمصطلحاتها الخاصة وهناك استيراد للقيم وعدم توافق القيم المستوردة مع بيئة المجتمع وحضارته وطبيعة تاريخه. وهذا خلق تناقضا كبيرا بين الموجود والمستورد الكبير في العادات والمفاهيم والقيم من

الغرب بشكل رئيسي وفي الوقت الحاضر أو المستقبل القريب سنجد صراعا وتناقضا مع قيم وعادات سكان آسيا أو دول جنوب شرق آسيا واليابان لتطور التكنولوجية في هذه البلدان والتي قد تكون بديلة للغرب ومعها تأتي القيم والعادات الآسيوية لتخلق صراعا وتناقضا مع الحضارة والثقافة العربية والإسلامية. أنتجت هذه التناقضات اجتماعية حقيقية وأثرت بشكل سلبي على عدم تكامل البنى الاجتماعية في العالم الإسلامي وخلقت مشكلة الهوية، أي: هوية المجتمع. والتي هي اليوم مشكلة كبيرة ولا يكتمل معالمها إلا برفض الآخر (غزو، غرب... إلخ)، أي: النظر للأمور بمعيار الأسود والأبيض فقط وغياب البعد الثالث (المنطقة الرمادية) الذي كثير ما تكون سمة الأمور في عالم اليوم المعقد. تعمقت هذه المشكلة اليوم وتعقدت الأزمة بسبب تكنولوجيا المعلومات وعصر الأقمار الصناعية مما يجعل العالم العربي مهددا ليس فقط في سياسته واقتصاده، وإنما بحضارته وثقافته وقيمه، والآثار السلبية البالغة التي قد تفرز عن الهيمنة التكنولوجية. بالإضافة إلى ما يواجهه من ضربات لعامل الترابط والتكامل الاساسي بين الأقطار العربية وهو اللغة والثقافة والحضارة، وأن هناك عاملين مترابطين للتبعية الثقافية العربية واندماجها في إطار النظام العالمي للقيم الغربية وهما:(١) أموال البترول والتركيز على المواد الاستهلاكية(٢) العمالة المهاجرة من جنوب شرق آسيا».

هذا التخلف الشديد والواقع المؤلف زاد من مرض المجتمع وعلته وأصبح لا يستطيع تشخيص الداء وهو أمر طبيعي؛ لأن المجتمع لو كان يتمتع بعافيته وما تزال أسباب الحركة موجودة فسيعمل على محاصرة التخلف والتراجع وينفض غبار التأخر ويستعد للحركة أماما مرة ثانية.

يؤثر الواقع الفكري الجامد على الجانب الأعم والأكبر، الثقافي، ويخلق أزمة مثقفين وانعكاساتها على الرؤية الجماعية والمصلحة العامة مما يخلق فاصلة ثقافية بين وعي القلة وتخلف الكثرة. وتتوسع هذه الفجوة عند غياب دور المثقف بالمبادرة والإبداع وإرساء القواعد الأساسية لإثراء الحياة الاجتماعية

وإحداث الحال الثقافية العامة في المجتمع. ونظرة سريعة إلى الكتب والمنشورات الموجودة في الوطن العربي تعطي صورة واضحة عن الواقع الثقافي الحالي وتمثل مرآة لأداء الإنسان الاجتماعية. كما أن قلة من هذه الكتب والأبحاث وخاصة العملية التي تعني بالواقع وتحدياته الكبيرة. ثم غياب أو شبه غياب للندوات الثقافية وما لها من فائدة جمة في ترشيد الحالة العامة للمجتمع. وندرة المؤسسات المتخصصة ذات الآثار البالغة في المجاميع المثقفة وبالتالي ترك بصماتها على المجتمع.

انعكاسات الواقع الفكري والثقافي حيوي وجوهري على الفعاليات والمجالات الإنسانيّة الأخرى والتي عموما تكون متداخلة ومترابطة ومتفاعلة الواحدة بالأخرى، ولكن لأجل الفائدة ولتوضيح آثار العامل الفكري في جوانب الحياة المختلفة يمكن بيانها كما يلي:

أولا: الجانب السياسي:

يمثل هذا الجانب أهم بل أخطر انعكاس للواقع الفكري وعلاقة الأخير بحركة المجتمع في إفراز قادة أكْفاء وبمستوى الحكم والأحداث.

لم يفرز المجتمع العربي الحديث قيادات كفؤة وحيوية أو متسمة بالعقلية المتطورة وبعد نظر لآفاق المستقبل والسبب بسيط لأن هذه القيادات نابعة من المجتمعات المتأخرة ومتأثرة بالبيئات المتخلفة وفكرها كثير ما يجسد ثقافة المجتمع العربي الجاهل ويعكس بحقيقة الحال هزيمة العقل العربي. لهذا لم ينته المجتمع العربي من إنتاج نخب حاكمة تتبنى نظام الأقلية (حزب واحد، رجل واحد... الخ) وتكون غير منتخبة أو ممثلة من قبل الشعب. كما لم تسع هذه القيادات إلى تجديد الاطر أو الهياكل السياسية منذ فترة التحرر من الاستعمار كما حاصل في معظم البلدان المتقدمة نتيجة تغير الوقت والمتطلبات والظروف. وخلقت جوّا تكاد تنعدم فيه الحرية ويكون التعبير عن الرأي ظاهرة نادرة. ثم أفرزت هذه القيادات حالة من القلق الاجتماعي وجعل غاية المواطن هو تأمين طعامه وأمن عائلته. كما أن الإرهاب وجو المراقبة قتلت روح المبادرة

والإبداع وطغيان أفكار من نمط واحد وانعكاساتها على حال التماثل وفقدان الروح النقدية في الكتب والمنشورات.

كما أدى الارهاب والعنف إلى عنف مضاد وهذه الأزمة العميقة هو واقع اللغة السياسية المستخدمة بين الأنظمة الحاكمة (السبب الرئيسي لهذه المشكلة) ومعارضيها من الشعوب والمتميزة بالصدام المسلح وليس لغة الحوار والنقاش كما هو موجود في الشعوب المتقدمة أو كما يقول القرآن (ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن). ثم تيارات المعارضة والتي تمتلك أحيانا حركات سياسية متنورة تراها تستعمل الأساليب والأدوات المستخدمة لسنين طويلة أو تطرح مفاهيم أو شعارات لا توازي متطلبات العصر أو تناغم التحولات الكبرى في العالم. هذا التخلف السياسي الذي يصيب الطلائع الواعية في المجتمع (القيادات والمعارضة) وشرائحه المتقدمة هو أشد حدة في الشعوب نفسها. حيث تعيش الشعوب الإسلامية حالة من التعميم التجريدي ذي الصفة الاطلاعية وتنظر للقضايا من زاوية واحدة وعدم شموليتها مما يجعلها تجزم بالأمور. وهذا التخلف السياسي يوفر أرضا خصبة للإيمان بنظرية المؤامرة حيث تعتقد أن كل المشاكل والأمور السياسية في العالم الإسلامي من ترتيب القوى الخارجية والاستعمار وهو أمر غير واقعي أو حقيقي أحيانا. صحيح أن هناك تآمر أو تأثيرات خارجية لكن ليس في كل صغيرة أو كبيرة، والأهم تشخيص جانب الضعف الذي لولاه لما وصل الحال إلى هذا المنحدر أو نجح التآمر.

ثانيا: الجانب الحضاري:

يعتبر الفكر العنصر الأساسي لأي حضارة. ويساعد التجديد الفكري على النمو الحضاري للمجتمع واستمرارية العمق التاريخي، أي: العراقة الحضارية، والتي تشكل مع النمو حالة حضارية تكون أكثر نضجا وحكمة ورشدا. التفاعل مع الحضارات الأخرى أو الاحتدام الإيجابي هو نبض الحياة؛ لأنه تعلّم وعيش مع الآخرين. العيش مع الاخرين هو الولادة والولادة مرة أخرى في عالم بلا نهاية من ناحية التجديد والعصرنة والحركة. كما أن التعلم من الآخرين هو الذي ينضج

المجتمع وهويته الحضارية ويمكنه من تميز الجيد عن السيء ومعرفة ما يلائم الواقع والتراث والتقاليد والشعور بالثقة العالية بالذات الحضارية. أي: أنه انفتاح وتعلّم من الآخرين مع المحافظة على الوجود والتمييز ويستدرك بأن التنوع الحضاري ظاهرة حياتية كتنوع الألوان والغذاء. وهي سنة الله في الحياة كما يذكر القرآن (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات).

يقول غويا الشاعر الأسباني في القرن السادس عشر «اعمل كل ما تريد عمله لكن لا تهمل الآخر لأنه لا يوجد تحدي أكبر من الآخر».

عندما كنا ننتج ونجدد فكر بنينا صرحا حضاريا شامخا متميزا ومستندا إلى أرض صلدة ومؤثرة في الآخرين، أي تأثير وبنفس الوقت متفاعل ومنفتح إيجابيا على الآخر.

جمود الفكر وعدم فعالية المجتمع يؤدي إلى الانعزال ثم الاحتضار بل الموت الحضاري وأحيانا الانقراض كما حدث لأقوام آخرين. تخلفنا وتأخرنا الشديد اليوم لا يمكن حله أو معالجته من خلال الانعزال والتقوقع؛ لأننا نعيش في عصر الاتصالات الإلكترونية والتداخل العالمي أكبر من أي فترة مضت. وإن التحديث والعصرنة لا تعني الغربية وتجربة اليابان والهند خير دليل.

ثالثا: الجانب الاقتصادي:

يتأثر الجانب الاقتصادي بحركة الفكر إلى درجة كبيرة ويبدو أن الاثنين متداخلان وإفرازاتهما في مجال الفكر التطبيقي. هذا الفكر الذي يطوّر التكنولوجيا والصناعة وطرق التنظيم ويحسن أساليب وأدوات النشاط الاقتصادي وبالتالي الإنتاج وخلق الثروة. كما أن التقسيم في الاقتصاد الحديث ليس بين رأس المال والعمل كما كان الحال لقرون طويلة وإنما بين دائرة العاملين والفاعلين في تكنولوجيا المعلومات وأولئك الواقعين خارجها. علاقة تقنية المعلومات بالثورة الذهنية واضحة وانعكاس الاخيرة على الاقتصاد الحديث في إنتاج مواد صغيرة الحجم، سهلة النقل وزهيدة السعر. كما أن جانب التجارة والربح ليس هو كما

كان متعارف عليه من تبادل أو مقايضة البضائع بين الحكومات أو الاطراف. وإنما له أشكال أخرى، فمثلا في خدمات جانب البرمجة (Software) هناك كثير من الشبكات والافراد الذين ينتفعون من هذه الفعالية في عمل الأرباح.

يعطّل المجتمع الذي لا ينتج أو يجدد الفكر القدرة الإنتاجية ويجمّد النشاط والفعالية الاقتصادية. وهذا هو حال المجتمعات العربية والتي يتسم واقعها الاقتصادي في أغلب الأحيان بالصفة الريعية. أي أن الاقتصاد الريعي هو العيش من بيع مواد أولية (نفط، كبيريت، فوسفات... إلخ)، وإيرادات العمل الصعبة نادرة ما تكون خارج الجانب الريعي. وإذا تم تصدير مواد غير أولية فإنها تكون غير منافسة في الأسواق العالمية لنوعيتها أو كفاءتها الإنتاجية لغياب الفكر التطبيقي في البحث والتطوير.

رابعا: الجانب التعليمي:

تنعكس حركة التجديد الفكري بشكل حيوي على الجانب التعليمي وتوظيف عناصر الإبداع والخلق في هذا المجال المهم. أحد الأسباب التي مكنت اليابان في ردم الفجوة مع الغرب بل وتتقدم عليها هو الاهتمام بالقاعدة الواسعة للعلوم والرياضيات في المراحل الابتدائية والثانوية ومصاحبتها بالاختبارات المعقدة والشاملة. كما أن المرحلة الجامعية تتميز بجانب المعرفة والتجربة العلمية والاستنتاجية وتفاعل (الفكر النظري الجامعي) مع مؤسسات البحث والشركات (الفكر التطبيقي).

وبدأ حديثا في الجامعات الغربية اسلوب تعليم الطالب لنفسه (Student Centred Learning) في بعض الحقول الأكاديمية (العلمية بضمنها) ومحاولة الطالب للبحث عن المعرفة بنفسه وتدريبه على إيجاد الأجوبة ووضع الحلول وعدم حشو الدماغ بمعلومات كثيرة للغاية.

أساليب وطرق التعليم في العالم الإسلامي ما هي الا مرآة لواقعه المتأخر والمتخلف. فالطريقة الشائعة هو حفظ المعلومات وغياب الطريقة التطبيقية والتجريبية في الدراسة والمعرفة. كما يعتمد هذا الأسلوب على الأخذ دون العطاء

أي استسلام المعلومات بكاملها من قبل الطلاب وعدم قابلية هؤلاء في تقديم التحاليل أو الاستنتاجات. وهذا الأمر ينطبق كذلك على طريقة الامتحانات والتي تكون بطبيعتها ومعالجة الأسئلة فيها بنفس أسلوب التعليم. وتتركز هذه الوضعية في المرحلة الجامعية والتي يتوقع لهذه الفترة المهمة والحرجة في تدريب وتخريج الكوادر العلمية والمهنية وتوظيفها في المعامل والمصانع ومؤسسات البحث (غالبا ما تكون غائبة) ودفع دفة البلد للأمام. وتتعامل هذه الكوادر مع المشاكل الحادثة في عملها بعد المرحلة الجامعية بنفس الأسلوب أو الطريقة التي تعلمته في المدرسة أو الجامعة. أي توقّع الحلول الجاهزة وعدم المعاناة أو حتى المحاولة لاكتشاف الخطأ أو العطب لعدم اكتساب هذه الكوادر الثقة في تقديم الحلول عن طريق التجربة والاستنتاج وغياب البحث المنهجي والطريقة النظامية لعزل الأسباب والوصول إلى علة الامر.

الاستنتاج:

تعيش المجتمعات الإسلامية حالة من السبات الاجتماعي والذي يجعل تفكير الإنسان محصورا في قوالب معينة يصعب الخروج منها أو تغير المقاييس الثابتة للنظر للماضي بحركة وديناميكية يتناغم فيها مع أخلاقه وتراثه ومعتقداته ويتفاعل مع حاضره لأحداث حالة التطور والحركة للأمام. الموجود بيئة اجتماعية منغلقة وحالة من الركود وترتيبات جامدة تكون مرتعا للأوهام وأسبابا للتقليد والمحاكاة والترسبات وبالتالي الوقوف إذا لم نقل التراجع في وضعنا أو واقعنا. هذه البيئة هي التي توجه نمط وطبيعة تفكير الناس وتحدد الثقافة السائدة وتمنع التواصل الحضاري وحاجزا أمام تراكم الخبرات والصلة العضوية بين الماضي والحاضر.

المنطقة الإسلامية والعربية بالخصوص جسر طبيعي للقارات الثلاث آسيا وأفريقيا وأوروبا مما يوفر الاحتكاك والصلة مع الشعوب المختلفة (كما فعلت في الماضي)، بالإضافة للعوامل الأخرى كالعقول المسلمة وتطور البنى التحتية

والموارد المالية كل هذا يمكنّها ان تحدث حالة النهضة إذا تم إصلاح الأذهان أولا قبل تعمير البلاد والسماح لأفكار كبيرة تتحدى الواقع وتحدث النقلة النوعية المطلوبة.

وعلينا من أجل تغيير هذا الواقع، السماح لعقولنا بتقييم الحقائق وتقدير الظروف وتعليل الأحداث والنظر للأمور من زوايا مختلفة. المقارنة العملية والتي تؤدي إلى استنتاجات جديدة وأعمال جديدة والمباشرة بالأعمال الناشئة من هذه التغيرات لأحداث الحركة المطلوبة. هذه الحركة تعمّق نضوج المجتمع وتزيد من تناسق وحداته وشبكاته وتجاوبه مع المتغيرات الحاصلة وزحزحة حالة الرتابة والركود. هذه الحركة هي التي تحدث التطور والتقدم والدفع للأمام. وصدق الله حيث يقول في كتابه العزيز: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).

إشكاليات وقضايا في الفقه السياسي (توفيق السيف) (٨٦)

من بين التراث المغفل الذي خلفه العلامة النائيني، رسالته (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) (٨٧) التي كتبها في الدفاع عن الحركة الدستورية التي ظهرت في إيران في الربع الاول من القرن الرابع عشر ونجحت في تحجيم الاستبداد القاجاري لفترة من الزمن، حيث أقامت لأول مرة نظاما دستوريا انتخابيا، وفتحت أبواب الحرية لعامة الناس، كما أطاحت بنظام التراتب الطبقي الذي ساد البلاد قرونا طويلة، ووضعت أساسا مكينا للمساواة العامة بين أفراد الشعب، بغض النظر عن أصولهم الاجتماعية.

وقد عوقب النائيني على الآراء المثيرة التي عرضها في رسالته هذه، كما عوقب على مواقفه الشديدة الجرأة، فحرم من المرجعية الدينية، التي نالها زملاؤه وتلاميذه، كما أغفلت رسالته وآراؤه الواردة فيها، فلم يشر إليها أي فقيه ممن جاء بعده، بمن فيهم تلاميذه، خلافا لما جرت به العادة في الأبحاث الفقهية.

وتصنف رسالة (تنبيه الأمة) بحثا فقهيا في الدولة والسلطة، وقد حوت منظورات جديدة، كما اتبعت منهجية في البحث والاستدلال، مختلفة عما هو

سائد في الحوزة العلمية في النجف الأشرف يومئذ. حيث يتجلى فيها الاعتماد المكثف على الأدلة العقلية، رغم أنها لم تغفل الاستدلال بالنص، ويرجع هذا إلى موقف العلامة من مسألة الحسن والقبح العقليين، التي لا زالت موضع جدل بين الأصوليين، سيما في اعتبار التحسين والتقبيح العقلي أساسا لتقرير المصالح المعتد بها عند الشرع، حيث تدور الاحكام مع المصالح.

ويقرر النائيني ـ كما في تقريرات تلميذه الخوئي(٨٨) ـ أن الأفعال تحتوي بذاتها على مفاسد أو مصالح، وأن العقل قادر على اكتشاف هذه المصالح والمفاسد في الأفعال خلافا لرأي كثير من الأصوليين الذين ترددوا في تقرير ذاتية الحسن والقبح في الافعال، ثم ترددوا في تقرير الحدود التي يمكن أن يذهب إليها العقل في تحديد ما هو حسن وما هو قبيح، كما أن هذا مخالف ـ بطبيعة الحال ـ لرأي الأخباريين الذين ذهبوا الى إن المصالح والمفاسد لا توجد في الأفعال إلا إذا وصفها الشارع، فلا يسوغ للعقل وصف فعل بالقبح أو الحسن قبل وصفه في النص.

إشكالية المناهج التعليمية :

لعل ما سبق يوضح _ إلى حد ما _ ما قد تكون عليه المناهج التعليمية بمراحل التعليم العام بل والتعليم العالي خاصة في ضوء فصل العلوم الدينية عن العلوم الدنيوية وفى ضوء الاختلاف الواضح بين الفقهاء في كثير من المسائل الخلافية الدينية ، وكذلك في ضوء معوقات توجيه العلوم إسلاميا وفى ضوء قصور المناهج التعليمية في إبراز الذاتية الثقافية للعالم الإسلامي كما أوضحتها كثير من الدراسات ومنها على سبيل المثال دراسة : رشدي أحمد طعيمة عن: الذاتية الثقافية في مناهج اللغة العربية وكتبها، حيث أوضحت نتائج تلك الدراسة أن التوجه العام هو الغالب على كتب جميع المراحل التعليمية يليه التوجه المصري فالإسلامي ثم العربي فالعالمي مع وجود تقارب بين نسب التوجه المصري والإسلامي :(٩٠)-(٩١)-(٩٢)

هذا عن واقع المناهج في العالم الإسلامي أما عن المناهج التعليمية التي تدرس بالغرب فإنها تركز جل اهتمامها على إضعاف الثقافة والحضارة الإسلامية وتشكك فيها وتتعمد تشويه صورة الإسلام والمسلمين كما اتضح من نتائج كثير من الدراسات خاصة دراسة فلا تورى.

لعل ذلك الواقع الراهن للمناهج التعليمية سواء في العالم الإسلامي أم في غيره من المجتمعات غير الإسلامية يوضح بجلاء كيف أن المناهج التعليمية نفسها تعتبر من معوقات تقدم العالم الإسلامي ومن العوامل التي قد تسهم في التشكيك في الثقافة والحضارة الإسلامية مما قد يسهم في ضعف المسلمين مقارنة بغيرهم غير المسلمين.

إشكالية ضعف المسلمين والآخر وأثره في ضعف الحوار الثقافي:(٩٣)

وضع العالم الإسلامي يشكل بحد ذاته علامة استفهام ممتدة القامة بامتداد مساحات القارتين الآسيوية والأفريقية حيث أغلبية الدول الإسلامية.

إشكالية الضعف الذي تعانيه مجتمعاتنا المسلمة... ليست في جزئية معينة بل هي عامة... حيث تشمل جميع الأنظمة الاجتماعية الاقتصادية العسكرية، وإن كانت هناك دولة إسلامية تميزت بجدية مؤسساتها الحاكمة في تحديث دولتها وإدخالها قائمة الدول المتقدمة أو الدول النامية للخروج بجدية من الدول المختلفة إلا أن إشكالية الموقع الجغرافي كانت أحد العوامل التي أيضا شكلت ضغطا صعب التجاوز على بعض تلك الدول...

الخطورة في هذا الضعف أن تلك المجتمعات تعمقت لديها فكرة المؤامرة... وبالتالي الاعتقاد أن الضعف ليس إلا نتيجة مخططات خارجية غريبة تحديدا.

وفي حالة الاتفاق معهم على ذلك فإن الاعتقاد يشكل خطرا بحد ذاته ففيه تغييب لإرادة الإنسان المسلم وهي الإرادة التي شكلت الأساس الفعلي للمجتمع المتحضر الممتد في العصور الأولى للإسلام...

الحقيقة أن إشكالية المجتمعات الإسلامية تنبع من داخلها وتحديدا من بعض مؤسسات صناعة القرار والتي تسعى لتفريغ عقلية المواطن من عمليات

التفكير الايجابية وتحويلها إلى مجرد أفراد تنادي وتصرخ في الشوارع لاعنة الإمبريالية... ومهددة رأس الشيطان... بالموت والوبال... فيما هذه الشعوب لا تجد الطعام... لا تجد الدواء... لا تجد التعليم... بل لا تجد أدنى درجات الحياة الطبيعية المتمثل في سكن له سقف... ومع ذلك فهي لا تتعب من لعن رأس الشيطان أميركا... والمشكلة أن أميركا تبني نفسها ومؤسساتها وتخطط لحماية أجيالها حتى وإن استدعى ذلك أن تؤكد أنها فعلا رأس الشيطان... من خلال بنائها قاعدة عسكرية في قرب رأس التنين الصيني... والآن هذا المواطن هذا الإنسان المسلم مع تراكم السنين وتعدد وتباين المواقف التي صنعتها حكوماته ألم يدرك أن إصلاح الخلل لن يأتي على رأس صاروخ أو ظهر طائرة وألم يصل إدراكه إلى أن الإصلاح لابد أن يأتي من الداخل... داخل الإنسان وداخل المجتمع.

ألم تثبت الأيام أن خلل المجتمعات المسلمة هو في الاستسلام والاعتماد على أن الآخر هو المسئول عن تخلفنا. وأن الآخر هو المسئول عن إغلاق جامعة وافتتاح سجن وأن الآخر هو المسئول عن شلل أطفالنا وإعاقة رجالنا وظلم نسائنا هذا الآخر من هو؟ الهروب الجماعي الذي تقوم به المجتمعات الإسلامية تحتاج لزمن طويل لمعالجته ولكن ذلك لن يكون إلا إذا استطاع الإنسان المسلم أن يستوعب حقيقة الإسلام تلك الحقيقة التي لا تعادي الإنسانية ولا تعادي التقدم العلمي ولا تعادي لمجرد المعاداة...

لعل هذا يدفع الإعلام العربي والمسلم أن يعيد صياغة لغته بحيث يتحول إلى طرح إيجابي أكثر نحو المواطن... نحو المواطنة نحو الآخر... ونحو المؤسسة الوطنية والمواطن على وجه الخصوص لأن عملية البناء تتطلب الاستمرارية في معالجة الأخطاء الداخلية لا إلقاء المسئولية على الخارج. لأنه من الأسهل لوم الآخرين على مواجهة النفس وتقويمها... فهذا يتطلب جرأة وشفافية لا تملكها الكثير من المجتمعات الإسلامية ثم إن الاستمرارية في لوم الآخر هي بمثابة تكبيل وتحييد للقدرات الإيجابية والصالحة عند المسلمين والعرب بل وتعطيلها؛ لأن

الآخر يريد ذلك

نعم أميركا دولة تمارس العدل بكفة واحدة وميزانها ـ أعور ـ نعم هي لا تريد الخير للإسلام، وبالتالي المسلمين ولكن هذا لم يكن سببا كافيا لأن نعيش في مؤخرة العالم وأن تكون قوتنا النفسية بهذا الانحدار ومشاعرنا بهذه السلبية تجاه الآخرين؛ لأن الانهزامية التي يعيشها أغلبية المسلمين اليوم هي أخطر من السلاح الأمريكي الذي نقصف به هنا وهناك تحت مظلة القضاء على الإرهاب... نحن أحوج ما نكون لفهم الإسلام حقيقة، واستيعاب تشريعاته وأحكامه كما يجب، لا كما نريد ولا كما توجهنا أهواؤنا المعادية تارة والمنهزمة تارة أخرى؛ لأن هذا الفهم الواعي متى تحقق فإنه بداية دخولنا للعالم المتقدم وإعادة تشكيل عمق الحضارة الإنسانية وإعادة القيم الصحيحة وأولها قيمة إنسانية الإنسان مهما كان جنسه أو دينه أو لونه أو موقعه الجغرافي ولعل ضعف المسلمين اليوم لا يحقق لهم أسباب التقدم والتمكن في الأرض ويجعلهم أمة تابعة لا قائدة؛ لأن الحوار الثقافي بين المجتمعات يحتاج لقوة وتمكن لتلك الثقافة لكى تتحاور مع الثقافات الأخرى وتفرض نفسها على الثقافات الأخرى؛ وما أحوجنا ـ اليوم ـ لاستعادة قوتنا لكى نتمكن من إداء رسالتنا الإسلامية مصداقا لقول الحق ـسبحانه وتعالى ـ: "كنتم خير أمة أخرجت للناس" صدق الله العظيم .

والأمل سوف يتحقق لتحقيق ذلك الوعد الإلهي للأمة الإسلامية ولكى تصبح الثقافة الإسلامية هي الثقافة السائدة في العالم أجمع لأن الدين الإسلامي دين للبشرية جميعا ويتحقق بالتالي مفهوم "عولمة الثقافة الإسلامية" وسقوط المفهوم السائد اليوم حول عولمة الثقافة والذي يعنى هيمنة الثقافة الغربية على العالم.

النتائج العامة لواقع إشكالية التعليم في ضوء علاقتها بإشكاليات المجتمع الأخرى

١) إن الواقع الراهن للتعليم في العالم الإسلامي ليس واقعا مرغوبا فيه حيث إن التعليم يعاني ـ في الوقت الراهن ـ من ضعف وقصور في تحقيق أهدافه خاصة أن

المناهج التعليمية سواء مناهج التعليم بالمجتمعات الإسلامية أم في غيرها من مجتمعات غير إسلامية التي تمثل أداة التعليم في تحقيق أهدافه تسهم بشكل متعمد أم غير متعمد في تشويه الذاتية الثقافية للعالم الإسلامي كما قد تسهم في تشويه صورة الإسلام والمسلمين.

٢) إن طبيعة العصر الحاضر العلمية تفرض ثقافة العلم على العالم باعتباره قوة رئيسة لتقدم المجتمعات؛ والعالم الإسلامي اليوم في صراعه الدائم بين العلم والدين وفى ضوء ما يروج له الغرب من فصل العلم عن الدين حتى أضحى ذلك الفصل يمثل جفوة بين العلم والدين وبازدياد تلك الجفوة تزداد الفجوة وتتسع بين العلم والدين بالعالم الإسلامي مما قد يكون ذلك سببا رئيسيا في تخلف المجتمعات الإسلامية عن غيرهم من المجتمعات الأخرى في مجال العلم والتكنولوجيا وهى أسباب التمكن في الأرض؛ وذلك لظهور اتجاه كبت العلم في بعض المجتمعات الإسلامية.

٣) إن "إشكالية التعليم" بالعالم الإسلامي سوف تزداد حدة وخطورة في ضوء ما يواجهه العالم الإسلامي من تحديات في المستقبل.

٤) إن ذلك الواقع الراهن للتعليم بالعالم الإسلامي قد يكون ناشئا من عوامل عديدة متباينة ومتشابكة بل ومتفاعلة معا نظرا لطبيعة العلاقة بين إشكالية التعليم وكافة إشكاليات المجتمع الأخرى والتي يمكن تحديدها بعلاقة السبب والنتيجة. ويمكن تصنيف تلك العوامل في أبعاد: سياسية، اقتصادية، اجتماعية، علمية، تكنولوجيه، تربوية...إلخ، والشكل التالي يوضح علاقة السبب والنتيجة بين إشكالية التعليم وإشكاليات المجتمع المتنوعة. (ولعل ذلك الشكل يمثل ملخصا للباب الاول بالدراسة وتحليلا لإشكاليات التعليم في علافتها بعضها ببعض وفى علاقتها بالإشكاليات المجتمع الأخرى)

جدول (٣) علاقة السبب والنتيجة بين إشكالية التعليم وإشكاليات المجتمع الأخرى

أبعاد إشكالية	إشكاليات كسبب لإشكالية التعليم المدخلات (Inputs)	إشكاليات المجتمع كنتيجة لإشكالية التعليم المخرجات (Outputs)	تنفيذ عملية التعليم في ضوء إشكالية التعليم العملية (Process)
البعد السياسي	١) إشكالية السلطة ٢)إشكالية التعددية ٣)الشرعية الدستورية ٤) إشكالية الانقسام حول الرؤية الوطنية	١) الأمية السياسية ٢) ضعف النخب والأحزاب السياسية	تتأثر عملية التعليم والتعلم سواء داخل المدرسة أو خارجها بالمدخلات التي تمثل أسباب لإشكاليات التعلم في أبعادها المختلفة مما يجعلها قاصرة عن تحقيق أهدافها المرغوبة وتؤدي بالتبعية إلى مخرجات تزيد من حدة إشكاليات التعلم المعلم أثناء تنفيذ العملية التعليمية عندما يحدد مكونات العملية التعليمية وهي:
البعد الاقتصادي	١) ضعف الاقتصاد القومي ٢) إشكالية تمويل التعليم ٣) التبعية الاقتصادية	١) انفصال الفكر عن العمل ٢) عدم احترام العمل اليدوي ٣) إشكالية التشكك في بعض القيم الدينية	
البعد الاجتماعي	١) التفاوت في توزيع الثروة ٢) إشكالية الفقر ٣) إشكالية البطالة ٤) المسألة السكانية ٥) اجتماعية التربية	١) ازدياد العزلة الحضارية ٢) تحريف اللغة ٣) غياب القيم الاجتماعية الحاكمة وظهور عادات اجتماعية غير مرغوب فيها	

البعد الإعلامي	١) الغزو الفكري ٢) تكنولوجيا الاتصالات ٣) تشويه صورة الإسلام والمسلمين ٤) ضعف النخب الإعلامية ٥) فقدان آداب الحوار مع الآخر	١) تزايد تقديس الموروث الديني كرد فعل للغزو الفكري ٢) الاتجاه لتوجيه العلوم إسلاميا ٣) تزايد الفجوة بين العلم والدين ٤) رفض الحوار مع الآخر	الأهداف المحتوى التعليمي طرائق واساليب التعليم الوسائل التعليمية أوجه النشاط الصفية وغير الصفية وسائل واساليب تقويم المعلم والمتعلم ولعل تلك المكونات تتأثر في ضوء إشكاليات التعلم بما يلي: البنية التعليمية المتوافرة الإمكانات الفيزيقية التكنولوجيا التعليمية ضوابط ومعايير جودة التعليم ونوعيته
البعد الثقافي	١) صراع الثقافات ٢) ثقافة العولمة ٣) ثقافة المعلومات ٤) إشكالية نشر الثقافة العلمية في الوطن العربي ٥) إشكالية الأنا والآخر	١) إشكالية الأصالة والتجديد ٢) منهجية تجديد الفكر الإسلامي ٣) الأمية العقائدية ٤) تزايد الخلاف الفقهي بين المسلمين وغير المسلمين	

البعد العلمي التكنولوجي	١) إشكالية التخلف العلمي التكنولوجي ٢) إشكالية البحث العلمي والتربوي ٣) إشكالية تطويع التكنولوجيا ٤) إشكالية الفجوة بين العلم والدين ٥) إشكالية تجديد الفكر الإسلامي في عصر العلم ٦) إشكالية البحث العلمي والتكنولوجيا بالوطن العربي (٩٤)	١) الاتجاه لكبت العلم الطبيعي ٢) ازدياد التخلف العلمي والتكنولوجي ٣) ازدياد حدة إشكالية تطويع التكنولوجيا المنقولة ٤) تزايد الاختراق الثقافي من الدول المتقدمة	إدارة التعليم والتعلم الإدارة المدرسية البحوث التربوية التكاليف وتمويل التعليم المتابعة والتوجيه الفلسفة التربوية الموجهة لكل ما سبق. ولعل تأثر التعليم بعديد من إشكاليات التعليم يؤدى إلى إفراز العديد من الإشكاليات كنتيجة لإشكاليات التعليم

البعد التربوي	١) إشكالية إعداد وتطوير المناهج التعليمية ٢) جمود نظم التعليم الحالية ٣) تربوية المجتمع ٤) غياب الفلسفة التربوية الإسلامية ٥) إشكالية النظم الإدارية والإشراقية ٦) إشكالية السلطة في التربية العربية ٧) إشكالية السياسات التربوية (٩٥) ٨) إشكالية التطوير التربوي ٩) إشكالية الإنفاق على التعليم وتمويله ١٠) إشكالية جودة التعليم ونوعيته ١١) إشكالية نظم الامتحانات ١٢) إشكالية ازدواجية التعليم ١٣) إشكالية تعريب التعليم العالي ١٤) إشكالية التواصل في مجال التربية والتعليم ١٥) إشكالية النموذج في	١) ازدياد جمود النظم التعليمية وجمود المناهج ٢) ازدياد بطالة المتعلمين لعدم ربط التعليم باسواق العمل(١٠٧) ٣) التخلف فى الإدارة المدرسية والتعليمية ٤) ازدياد النظرة الإحادية للتخطيط التعليمى وغياب النظرة الشمولية للتخطيط.	المسببة لقصور التعليم وبتراكم تلك الإشكاليات المسببات والنواتج يؤدى لمزيد من التدهور التعليمى على مر الأيام بالإضافة لما يواجهة التعليم بالوطن العربى والإسلامى من تحديات بالمستقبل.

البعد الديني	١) إشكالية الفلسفات الوضعية والنهج الرباني(١٠٥) ٢) إشكالية الإرهاب (كوليد للنص القرآني أم الحكم الطغياني (١٠٦) ٣) إشكالية ترجمة القرآن	١) ازدياد التعصب الديني والإرهاب الفكري لكل صاحب رأي حر ينادي بالإصلاح للتعليم ٢) ازدياد الفجوة بين العلم والدين	

الباب الثاني

الدراسة التحليلية الثانية

إشكالية التعليم في العالم الإسلامي

وتحديات المستقبل

الفصل الخامس: التحديات التي يفرضهاالتعليم الإلكتروني باستخدام خدمات الإنترنت بفاعلية في التعليم التقليدي

مقدمة:

مع التقدم التكنولوجي المعلوماتي وتطوير استخدام خدمات الإنترنت بفاعلية في التعليم ظهرت العديد من الدراسات التي أوضحت نتائجها فاعلية استخدام الكومبيوتر بصفة عامة في التعليم وفاعلية استخدام خدمات الإنترنت بصفة خاصة بفاعلية في التعليم مما قد يحدث ثورة في بنية العملية التعليمية كلها في المستقبل القريب أو البعيد بحيث يصبح استخدام خدمات الإنترنت شائع

الاستخدام في التعليم الرسمي وغير الرسمي على السواء باستخدام المكتبة الكبرى الإلكترونية وكذا الكتب الإلكترونية المتوافرة بكثرة في كثير من مواقع الإنترنت في الوقت الحاضر والتي سوف تزداد وبكثرة في كل مجالات المعرفة في المستقبل مما يجعل استخدام خدمات الإنترنت ليس سهلا فقط بل وميسرا للجميع مما يحقق مبدأ "التعليم للجميع" دون حاجة للمدارس بشكلها التقليدي بل سوف تصبح المنازل مصدرا من مصادر التعلم وذلك لانتشار أجهزة الكومبيوتر بحيث قد تصبح في المستقبل متوافرة في كل منزل مثلها في ذلك مثل المذياع أو التلفزيون أو غير ذلك من الأجهزة المنزلية التي لا غنى لكل منزل منها، وقد يصبح لزاما علينا في المستقبل إعادة تصميم منازلنا لتصبح بالفعل مصدرا من مصادر التعلم لأنه قد تختفى أو يتقلص دور المدرسة بشكلها التقليدي ويكون بالإمكان لكل فرد أن يحصل على درجاته العلمية من خلال "التعلم عن بعد" باستخدام خدمات الإنترنت التي أثبتت نتائج كثير من الدراسات فاعليتها في التعليم والتعلم.(١٠٨)

تطور استخدام خدمات الإنترنت في التعليم :

تعاقبت الأحداث خلال الخمسين سنة الماضية بصورة مذهلة في مجال الحاسب الآلي وتطبيقاته، حيث ظهر الحاسب الآلي في البداية ثم دعمت إمكانياته. وما إن حلت الثمانينات من القرن العشرين حتى كان الحاسب الشخصي يحتل مكان الصدارة في الصناعات العسكرية والمدنية وشهدت الأعوام التالية تطورات بدأت مع زيادة قدرات الأجهزة وربطها مع بعضها البعض لِتكوّن شبكة تستطيع فيها الأجهزة أن تتبادل الملفات والتقارير والبرامج والتطبيقات والبيانات والمعلومات وساعدت وسائل الاتصالات على زيادة رقعة الشبكة الصغيرة بين مجموعة من الأجهزة ليصبح الاتصال بين عدة شبكات واقعاً ملموساً في شبكة واسعة تسمى الإنترنت (nternet).

وفي بداية التسعينات بدأ استخدام هذه الشبكات كعنصر أولي وأساسي للأعمال التجارية، وأصبحت مصدرا من مصادر الحصول على المعلومات بوقت قياسي، وازداد عدد مستخدمي هذه الخدمة إلى أكثر من ٣٠٠ مليون مستخدم لهذه

الشبكة على وجه العموم، وأكثر من ٧٥ مليون مستخدم للبريد الإلكتروني فقط. وتجدر الإشارة إلى أن هناك أكثر من ١٦٠ مستخدم للبريد الإلكتروني فقط وبهذا يكون عدد المستخدمين حوالي ٤٦٠ مليون مستخدم في عام ٢٠٠٠م. وفي عام ٢٠٠٥ يُتوقع أن يبلغ عدد المستخدمين أ كثر من مليار مستخدم.

حَقا إن العالم يَمُر بحقبة جديدة في تطور سبل إيصال المعلومات. فتقنيات الاتصالات تتفجر يوما بعد يوم ولا يمكن التنبؤ لعالم الاتصالات في المستقبل حيث يقول سيتلر (Saettler)"ليس من السهل التنبؤ بمستقبل استخدام التقنية في مجالات الحياة، ولكن التنبؤ السهل الذي ينبغي أن يُبنى عليه المستقبل هو أن الأشياء التي تحصل عادة تكون أكبر مما تم توقعه".

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل أصبح تداول المعلومات عن طريق الحاسب الآلي باستخدام الإنترنت أمرا يدعوا للحيرة والقلق بنفس الوقت. وعندما تحدث Hively Will)) عن عصر (قرن) المعلومات قال: "إن الألياف البصرية سوف يكون لديها القدرة على إرسال مئات المحطات التلفزيونية وسوف تتيح الفرصة لكل بيت للدخول إلى مكتبات العالم بل سوف تكون لدى هذه الألياف القدرة على حمل أكثر من ١٠ ملايين رسالة في الثانية"

ثم علق على هذا جوردون وجينيتي Jordon and Jeannette)) بقولهما: "نحن بحاجة إلى إعادة تصميم منازلنا من حيث أنها سوف تكون مصدراً من مصادر التعلم في القرن القادم"، ثم إن تعلم الفرد على التعامل مع التقنية بجميع مفاهيمها يعتبر من المطالب والمقومات الأساسية لبناء المجتمعات في العصر القادم.

ونظرا للتغيرات الكبيرة التي يشهدها المجتمع العالمي مع دخول عصر المعلومات وثورة الاتصالات، فإن برامج المؤسسات التعليمية بحاجة إلى إعادة النظر والتطوير لتواكب هذه التغيرات في مجال الحاسب الآلي من أجل العيش في هذا الكوكب الأرضي. ولقد لمس التربويون في الآونة الأخيرة هذه الأهمية، ولذا فقد تعالت الصيحات من هنا وهناك لإعادة النظر في محتوى العملية التربوية

وأهدافها ووسائلها بما يُتيح للطالب اكتساب المعرفة المتصلة بالحاسب. يعلق على هذا فخرو بقوله: "... وقد اقتنعت العديد من الدول بضرورة إعادة النظر في النظام التعليمي برمته، وتكييفه ليتوافق مع عصر المعلومات وذلك على ضوء اعتبارين اثنين: الأول هو ضرورة أن يستغل النظام التعليمي مكتسبات علوم وتكنولوجيا المعلومات. والاعتبار الثاني هو الترياق الواقي الذي يتعين على نظام التعليم تقديمه ضد الأثر السلبي لتكنولوجيا المعلوماتية في الكائن البشري".

ونتيجة لهذه الأهمية قامت بعض الدول الصناعية بوضع خطط لبناء المجتمع المعلوماتي - إن صح التعبير- ففي سنة ١٩٧١ بدأ معهد تطوير استخدامات الحاسبات باليابان(Computer Usage Development Institute) بعمل دراسة لطبيعة المجتمع الياباني بعد عام ٢٠٠٠ وقد أوضحت الدراسة أنه بحلول عام ٢٠٠٠ سيعتمد الاقتصاد على المنتجات المعلوماتية وليس على الصناعات التقليدية، أما بريطانيا فقد نشرت خطتها الوطنية للمعلوماتية في عام ١٩٨٢ ضمن وثيقة بعنوان "منهج لتقنية معلوماتية متقدمة: تقرير عام ألفين" وقد أوضح التقرير أن بريطانيا قد بدأت تفقد موقع أقدامها في هذه الأسواق وأنها سوف تضطر إلى استيراد المنتجات المعلوماتية.

إن هدف إيجاد "المجتمع المعلوماتي" لا يمكن تحقيقه إلا بتكوين "الفكر المعلوماتي" بين أفراد المجتمع بمختلف المستويات ومن أهم المؤسسات التي يمكن الاستفادة منها في تكوين هذا المجتمع هي المدارس والجامعات. والمتتبع لواقع استخدام الحاسب الآلي في مجال التعليم في العالم يجد أن نسبة الاستخدام تزداد بسرعة منقطعة النظير متخطية بذلك العوائق والمشاكل والصعوبات ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

وفى محاضرة ألقاها عبد الله الموسى عن استخدام خدمات الانترنت بفاعلية في التعليم بإدارة التعليم بالرياض (المملكة العربية السعودية، أوضح المحاضر فيها بعض استخدامات الإنترنت في التعليم كما يلي: (١٠٩)

أولا: استخدامات الإنترنت في التعليم:

إن المتتبع للتغير المستمر في تقنيات تحديث قوة وسرعة الحاسب الآلي يستطيع أن يدرك أن ما كان بالأمس القريب الأفضل تقنيةً والأكثر شيوعا أصبح أداؤه محدودا، أو ربما أصبح غير ذي جدوى (Obsolete). وقياسا على هذا التسارع الكبير، والمخيف أحيانا، يؤكد (ثرو ١٩٩٨) أن "التأثير الحقيقي لثورة المعلومات والاتصالات يوجد أمامنا وليس خلفنا".

وتعتبر الإنترنت إحدى التقنيات التي يمكن استخدامها في التعليم العام بصفة عامة وقد عرفها كاتب (١٤١٧) بقوله: "... الإنترنت هي شبكة ضخمة من أجهزة الحاسب الآلي المرتبطة ببعضها البعض والمنتشرة حول العالم" (ص ٢٧). وقد أكد على هذه الأهمية (Ellsworth,١٩٩٤) حيث قال: "إنه من المفرح جدا للتربويين أن يستخدموا شبكة الإنترنت التي توفر العديد من الفرص للمعلمين وللطلاب على حد سواء بطريقة ممتعة" أما (Watson, ١٩٩٤) فقال: "تعتبر وسائل الاتصالات الحديثة من أهم الأدوات التي استخدمتها في التدريس".

هذا ويشير بعض الباحثين إلى أن الإنترنت سوف يلعب دورا كبيرا في تغيير الطريقة التعليمية المتعارف عليها في الوقت الحاضر، وبخاصة في مراحل التعليم الجامعي والعالي. فعن طريق الفيديو التفاعلي (Interactive Multimedia) لن يحتاج الأستاذ الجامعي مستقبلا أن يقف أمام الطلاب لإلقاء محاضرته، ولا يحتاج الطالب أن يذهب إلى الجامعة، بل ستحل طريقة التعليم عن بعد (Distance Learning) بواسطة مدرس إلكتروني وبالتالي توفر على الطالب عناء الحضور إلى الجامعة. ويضرب المؤلف مثالا حيا لدور خدمات الإنترنت في عملية التعليم، وبالتحديد في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT) الذي قدم _ولأول مرة_ برنامجا لنيل درجة الماجستير في "إدارة وتصميم الأنظمة" دون الحاجة لحضور الطلاب إلى الجامعة. وتعتبر أكاديمية جورجيا الطبية (Georgia State Academic and System Medical) من أكبر الشبكات العالمية في العالم حيث يوجد فيها أكثر من ٢٠٠ فصل دراسي في مختلف أنحاء العالم مرتبط بهذه الأكاديمية خلال

عام١٩٩٥، ومن خلال هذه الشبكة يستطيع الطلبة أخذ عدد من المواد والاختبار بها.

ويرى بعض الباحثين في هذا المجال أمثال (ثرو، ١٩٩٨)أن هذه الطريقة الإلكترونية في التعليم مقتصرة فقط على المناهج الدراسية التي يغلب على محتواها أساليب العروض التوضيحية وذات الطابع التخيلي، لكن الحقيقية أن هذه الطريقة يمكن تكييفها لكل الأقسام العلمية، ثم إن هذه التقنية التعليمية المستقبلية ستكون مناسبة لبعض الدول النامية التي تفتقر إلى عاملي الكم والكيف في كوادر المعلمين.

وقد علق على تطبيقات الإنترنت في التعليم بيل جيتس (١٩٩٨) مدير عام شركة مايكروسوفت العالمية بقوله: "...فإن طريق المعلومات السريع سوف يساعد على رفع المقاييس التعليمية لكل فرد في الأجيال القادمة، وسوف يتيح - الطريق- ظهور طرائق جديدة للتدريس ومجالا أوسع بكثير للاختيار... وسوف يمثل التعلم باستخدام الحاسوب نقطة الانطلاق نحو التعلم المستمر من الحاسوب... وسوف يقوم مدرسو المستقبل الجيدون بما هو أكثر من تعريف الطلاب بكيفية العثور على المعلومات عبر طريق المعلومات السريع، فسيظل مطلوبا منهم أن يدركوا متى يختبرون، ومتى يعلقون، أو ينبهون، أو يثيرون الاهتمام"

هذا وقد أكد (Jacobson, ١٩٩٣) أن المدرسين لديهم القناعة التامة أن استخدام التقنية يساعد في تعليم الطلاب وتحصيلهم، ثم خلُص إلى أن استخدام البريد الإلكتروني في البحث والاتصال يساعد على توفير الوقت لدى الطلاب، وأن معظم أساتذة الجامعات لا يرغبون تخصيص الوقت الكافي لاستخدام التقنية داخل الفصل الدراسي.

أما (Williams, ١٩٩٥) فقد ذكر أن هناك أربعة أسبابٍ رئيسية تجعلنا نستخدم الإنترنت في التعليم وهي:

الإنترنت مثال واقعي للقدرة على الحصول على المعلومات من مختلف أنحاء العالم.

تُساعد الإنترنت على التعلم التعاوني الجماعي، نظرا لكثرة المعلومات المتوفرة عبر الإنترنت فإنه يصعب على الطالب البحث في كل القوائم لذا يمكن استخدام طريقة العمل الجماعي بين الطلاب، حيث يقوم كل طالب بالبحث في قائمة معينة ثم يجتمع الطلاب لمناقشة ما تم التوصل إليه.

تساعد الإنترنت على الاتصال بالعالم بأسرع وقت وبأقل تكلفة.

تساعد الإنترنت على توفير أكثر من طريقة في التدريس ذلك أن الإنترنت هي بمثابة مكتبة كبيرة تتوفر فيها جميع الكتب سواءً كانت سهلة أو صعبة. كما أنه يوجد في الإنترنت بعض البرامج التعليمية باختلاف المستويات.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن التأثير المستقبلي للإنترنت والإنترانيت على التعليم سوف يتضمن بعدا إيجابيا ينعكس مباشرةً على مجالات التعليم للمرأة المسلمة والذي سوف يجنبها عناء التنقل داخل وخارج مجتمعها، وفي نفس الوقت سوف يوفر لها تنوعا أوسع في مجالات العلم المختلفة.

واستخدام الإنترنت كأداة أساسية في التعليم حقق الكثير من الإيجابيات. وقد ذكر كل من (Bates, ١٩٩٥ Eastmond, ١٩٩٥& ؛ Wulf, ١٩٩٦) الإيجابيات التالية:

المرونة في الوقت والمكان.

إمكانية الوصول إلى عدد أكبر من الجمهور والمتابعين في مختلف العالم.

عدم النظر إلى ضرورة تطابق أجهزة الحاسوب وأنظمة التشغيل المستخدمة من قبل المشاهدين مع الأجهزة المستخدمة في الإرسال.

سرعة تطوير البرامج مقارنة بأنظمة الفيديو والأقراص المدمجة (CD-Rom).

سهولة تطوير محتوى المناهج الموجودة عبر الإنترنت.

قلة التكلفة المادية مقارنة باستخدام الأقمار الصناعية ومحطات التلفزيون والراديو.

تغيير نظم وطرق التدريس التقليدية يساعد على إيجاد فصل مليء بالحيوية والنشاط.

إعطاء التعليم صبغة العالمية والخروج من الإطار المحلي.

سرعة التعليم وبمعنى آخر فإن الوقت المخصص للبحث عن موضوع معين باستخدام الإنترنت يكون قليلا مقارنة بالطرق التقليدية.

الحصول على آراء العلماء والمفكرين والباحثين المتخصصين في مختلف المجالات في أي قضية علمية.

سرعة الحصول على المعلومات.

وظيفة الأستاذ في الفصل الدراسي تصبح بمثابة الموجة والمرشد وليس الملقي والملقن.

مساعدة الطلاب على تكوين علاقات عالمية إن صح التعبير.

إيجاد فصل بدون حائط (Classroom without Walls).

تطوير مهارات الطلاب على استخدام الحاسوب.

عدم التقيد بالساعات الدراسية حيث يمكن وضع المادة العلمية عبر الإنترنت ويستطيع الطلاب الحصول عليها في أي مكان وفي أي وقت.

ونظرا لتشعّب الخدمات التي يمكن توظيف هذه التقنية فيها لذا سوف يقتصر الحديث عن استخدامات خدمات الاتصال في الإنترنت بفاعلية في التعليم ومن أهم الخدمات ما يلى :(١١٠)

ثانيا: استخدامات البريد الإلكتروني (Electronic Mail) في التعليم:

البريد الإلكتروني (Electronic Mail) هو تبادل الرسائل والوثائق باستخدام الحاسوب ويعتقد كثير من الباحثين أمثال كاتب (١٤١٧) أن البريد الإلكتروني من أكثر خدمات الإنترنت استخداما وذلك راجع إلى سهولة استخدامه. ويعزو (Eager, ١٩٩٤) نمو الإنترنت بهذا السرعة إلى البريد الإلكتروني ويقول: "لو لم يوجد البريد الإلكتروني لما وجدت الإنترنت"

بل ويذهب البعض أبعد من ذلك ويقول من أنه- البريد الإلكتروني- يعد السبب الأول لاشتراك كثير من الناس في الإنترنت. ويعد البريد الإلكتروني أفضل بديل عصري للرسائل البريدية الورقية ولأجهزة الفاكس. ولإرسال البريد الإلكتروني يجب أن تعرف عنوان المرسل إليه، وهذا العنوان يتركب من هوية المستخدم الذاتية، متبوعة بإشارة @ متبوعة بموقع حاسوب المرسل إليه.

ويعتبر تعليم طلاب التعليم على استخدام البريد الإلكتروني الخطوة الأولى في استخدام الإنترنت في التعليم وقد ذكر بعض الباحثين أن استخدام الإنترنت تساعد الأستاذ في التعليم على استخدام ما يسمى بالقوائم البريدية (Listserve) للفصل الدراسي الواحد حيث يتيح للطلبة الحوار وتبادل الرسائل والمعلومات فيما بينهم.

هذا وقد تساءل (Lue, & Leu ١٩٩٧) حول الوقت الذي يحتاجه الشخص لتعلم البريد الإلكتروني وعن علاقة الوقت الذي أمضاه المتعلم بالفوائد التي سوف يجنيها فقال: "...حقا كثير من الناس يستكثرون الوقت الذي يمضونه في التعلم [البريد الإلكتروني] لكنه استثمار حقيقي في الوقت والجهد والمال"

أما أهم تطبيقات البريد الإلكتروني في التعليم فهي:

استخدام البريد الإلكتروني (Electronic Mail) كوسيط بين المعلم والطالب لإرسال الرسائل لجميع الطلاب، إرسال جميع الأوراق المطلوبة في المواد، إرسال الواجبات المنزلية، الرد على الاستفسارات، وكوسيط للتغذية الراجعة(Feedback).

استخدام البريد الإلكتروني كوسيط لتسليم الواجب المنزلي حيث يقوم الأستاذ بتصحيح الإجابة ثم إرسالها مرة أخرى للطالب، وفي هذا العمل توفير للورق والوقت والجهد، حيث يمكن تسليم الواجب المنزلي في الليل أو في النهار دون الحاجة لمقابلة الأستاذ.

استخدام البريد الإلكتروني كوسيلة للاتصال بالمتخصصين من مختلف دول العالم والاستفادة من خبراتهم وأبحاثهم في شتى المجالات.

استخدام البريد الإلكتروني كوسيط للاتصال بين أعضاء هيئة التدريس والمدرسة أو الشئون الإدارية.

يساعد البريد الإلكتروني الطلاب على الاتصال بالمتخصصين في أي مكان بأقل تكلفة وتوفير للوقت والجهد للاستفادة منهم سواءً في تحرير الرسائل أو في الدراسات الخاصة أو في الاستشارات.

استخدام البريد الإلكتروني كوسيط للاتصال بين الجامعات السعودية في المستقبل يكون عبر البريد الإلكتروني كما تفعل الجامعات في البلاد الغربية فقد ذكر (Scott, ١٩٩٧) أن الجامعات في اليابان وأمريكا والصين وأوربا اعتمدت البريد الإلكتروني كوسيلة اتصال معتمدة.

استخدام البريد الإلكتروني كوسيلة اتصال بين الشؤون الإدارية بالوزارة والطلاب وذلك بإرسال التعاميم والأوراق المهمة والإعلانات للطلاب.

كما يمكن أيضا استخدام البريد الإلكتروني كوسيلة لإرسال اللوائح والتعاميم وما يستجد من أنظمة لأعضاء هيئة التدريس وغيرهم.

وبالجملة فإن هذه بعض التطبيقات في الوقت الحاضر لخدمة البريد الإلكتروني في التعليم في المملكة العربية السعودية، ولاشك أن الاستخدام سوف يولد استخدامات أخرى أكثر وأكثر مما ذكر.

أخيرا وكما سبقت الإشارة إلى أن البريد الإلكتروني (Electronic Mail) يعتبر من أكثر خدمات الإنترنت شعبية واستخداما وذلك راجع إلى الأمور التالية:

سرعة وصول الرسالة، حيث يمكن إرسال رسالة إلى أي مكان في العالم خلال لحظات.

أن قراءة الرسالة - من المستخدم- عادة ما تتم في وقت قد هيأ نفسه للقراءة والرد عليها أيضا.

لا يوجد وسيط بين المرسل والمستقبل (إلغاء جميع الحواجز الإدارية).

كلفة منخفضة للإرسال.

يتم الإرسال واستلام الرد خلال مدة وجيزة من الزمن .

يمكن ربط ملفات إضافية بالبريد الإلكتروني.
يستطيع المستفيد أن يحصل على الرسالة في الوقت الذي يناسبه.
يستطيع المستفيد إرسال عدة رسائل إلى جهات مختلفة في الوقت نفسه.

ثالثا: استخدامات القوائم البريدية (Mailing List) في التعليم:

القوائم البريدية تعرف اختصارا باسم القائمة (list) وهي تتكون من عناوين بريدية تحتوي في العادة على عنوان بريدي واحد يقوم بتحويل جميع الرسائل المرسلة إليه إلى كل عنوان في القائمة. وبمعنى آخر فإن اللوائح البريدية المسماة (مجموعة المناقشة إلكترونيا) هي لائحة من عناوين البريد الإلكتروني ويمكن الاشتراك (أو الانضمام) بلائحة بريدية ما من خلال الطلب من المسؤول عنها المسمى بمدير اللائحة. ورغم أن هناك بعض اللوائح تعمل كمجموعات مناقشة فإن بعضها الآخر يستعمل في المقام الأول كوسيلة لتوزيع المعلومات. مثلا قد تستعمل مؤسسة متطوعة لائحة بريدية ما لنشر مجلتها الشهرية. كما أن هناك قوائم بريدية عامة وأخرى خاصة(Steele, ١٩٩٧).

وتجدر الإشارة إلى أن هناك نوعين من اللوائح أو القوائم ، فهناك قوائم معدلة (Moderated mailing List) وهذا يعنى أن أي مقال يرسل يعرض على شخص يسمى (Moderator) يقوم بالاطلاع على المقال للتأكد من أن موضوعه مناسب لطبيعة القائمة ثم يقوم بنسخ وتعميم تلك المقالات المناسبة ، أما القوائم غير المعدلة (Unmoderated) فإن الرسالة المرسلة ترسل إلى جميع المستخدمين دون النظر إلى محتواها (Eager, ١٩٩٤).

والقوائم العامة تناقش عددا من المواضيع فمهما كان اهتمامك سوف تجد من يشاركك هذا الاهتمام على مستوى العالم، ولا يستطيع أحد حصر جميع القوائم البريدية في العالم؛ لأن بعضها غير معلن أصلا لكن يقدر أن هناك أكثر من ٢٥٠٠٠ قائمة تناقش عددا من الموضوعات.

وتعتبر خدمة القوائم البريدية (Mailing List) إحدى خدمات الاتصال المهمة في الإنترنت، ولكن كثير من الناس أخفقوا - على حد تعبير (Milam, ١٩٩٨) - في

معرفة توظيف هذه الخدمة في جميع المجالات في الحياة العامة. ومن هنا يمكن القول إن توظيف هذه الخدمة في التعليم يساعد على دعم العملية التربوية، ومن أهم مجالات التطبيق ما يلي:

تأسيس قائمة بأسماء الطلاب في الفصل الواحد (الشعبة) كوسيط للحوار بينهم ومن خلال استخدام هذه الخدمة يمكن جمع جميع الطلبة والطالبات المسجلين في مادة ما تحت هذه المجموعة لتبادل الآراء ووجهات النظر.

بالنسبة للأستاذ الجامعي يمكن أن يقوم بوضع قائمة خاصة به تشتمل على أسماء الطلاب والطالبات وعناوينهم بحيث يمكن إرسال الواجبات المنزلية ومتطلبات المادة عبر تلك القائمة، وهذا سوف يساعد على إزالة بعض عقبات الاتصال بين المعلم وطلابه وخاصة الطالبات.

توجيه الطلاب والمعلمين للتسجيل في القوائم العالمية العلمية (حسب التخصص) للاستفادة من المتخصصين ومعرفة الجديد، وكذلك الاستفادة من خبراتهم والسؤال عن ما أشكل عليهم.

يمكن تأسيس قوائم خاصة بجميع طلاب مدارس و جامعات وكليات المملكة المسجلين بمادة معينة لكي يتم التحاور فيما بينهم لتبادل الخبرات العلمية.

تأسيس قوائم خاصة بالمعلمين في المملكة حسب الاهتمام (علوم شرعية، علوم عربية، رياضيات...إلخ) وذلك لتبادل وجهات النظر فيما يخدم العملية التعليمية.

كذلك الأقسام العلمية يمكن أن تقوم بتأسيس قائمة بأسماء أعضاء هيئة التدريس المنتمين للقسم للاتصال بهم بأقل تكلفة تذكر.

الاتصال بالمهتمين بنفس التخصص حيث يمكن للطلاب أو الأساتذة الاتصال بزملاء لهم من مختلف أنحاء العالم ممن يشاركونهم الاهتمام في موضوعات معينة لبحث الجديد فيها وتبادل الخبرات وهذا بالطبع يتم باستخدام نظام القوائم (List Mailing).

تكوين قوائم بريدية للطلبة والطالبات في جميع مدارس وجامعات وكليات المملكة العربية السعودية المهتمين بشئون معينة، فمثلا يمكن أن تكون هناك جمعية مهتمة في التربية، وجمعية أخرى مهتمة في العلوم الهندسية وثالثة مهتمة في الطب ورابعة في التفصيل والخياطة...وهكذا، وهذه الخدمة تتيح الفرصة للطلاب لتبادل وجهات النظر مع أقرانهم المهتمين بنفس المجال في المملكة بغض النظر عن الموقع.

ربط (مد راء، وكلاء، عمداء، رؤساء الأقسام) في مدارس وزراة المعارف مثلا وهو معمول به حاليا في بعض الإدارات في قوائم متخصصة لتبادل وجهات النظر في تطوير العملية التربوية، أعني بذلك قائمة خاصة للمدراء ومثلها للعمداء وهكذا.

هذه بعض تطبيقات نظام القوائم البريدية العامة وما ذكر فهو على سبيل العد لا الحصر وإلا فهناك تطبيقات أخرى خاصة ببعض الأقسام، ثم إن هناك تطبيقات أخرى سترى النور في المستقبل القريب.

رابعا: استخدامات نظام مجموعات الأخبار (News groups, Usenet, news Net) في التعليم:

تعد شبكة الإخباريات أحد أكثر استخدامات الإنترنت شعبية، وقبل الحديث عن هذه المجموعات تنبغي الإشارة أن هذا النوع من الخدمة يأخذ مسميات عدة منها(Usenet, Net news, Network, News groups)، أما شبكة Compuserve فتطلق عليها اسم منتديات forums وتسميها شبكة مايكروسوفت نظم لوحات الإعلان System Bulletin Board. (هونيكوت، ١٩٩٦). لكن البعض يفرق بين هذه الأسماء ويرى أن Uesnet تختلف عن groups News، لكن كاتب (١٤١٧) قال: "بالنسبة لمصطلح Netnwes أو Network News فإنها تحمل نفس معنى Usenet وتشير إلى نظام الأخبار News system بشكل عام". كما تجدر الإشارة بأن هذه الشبكة مثلها مثل الإنترنت ليس لها إدارة مركزية أو هيكل تنظيمي.

ومهما يكن من أمر فإنه يمكن تعريف هذه الخدمة بأنها كل الأماكن التي يجتمع فيها الناس لتبادل الآراء والأفكار أو تعليق الإعلانات العامة أو البحث على المساعدة (Eager,, ١٩٩٤). وتجدر الإشارة إلى أن هناك الآلاف من مجموعات الأخبار، كل واحدة تركز على موضوع معين. ويقدر عدد هذه المجموعات بأكثر من ١٦٠٠٠ مجموعة. ومما يميز هذه المجموعات هو أنها مرتبة هرمياً لتسهيل العثور عليها وتنقسم كل هرمية -إن صح التعبير- إلى فروع ثانوية فمثلا:

Comp تعني كمبيوتر. وتحت هذه الهرمية فروع أخرى... وهكذا البقية.

Sci تعني علوم.

Rec تعني استراحة وترفيه.

Soc تعني مسائل اجتماعية.

News تعني مواضيع تتعلق بالأخبار... وهكذا...

كما أن مجموعات الأخبار تنقسم إلى قسمين -مثل القوائم البريدية- هناك مجموعة أخبار معدلة (Moderated) وأخرى غير معدله (Unmoderated)، ففي حالة استخدام المجموعات المعدلة تمر الرسالة قبل إرسالها إلى شخص يسمى (Moderator) يقوم بالاطلاع على الرسالة قبل تعميمها(Allen, 1994 & Proctor)).

و مستخدمي مجموعات الأخبار يختلفون في أنواعها من حيث الكيفية التي يتعاملون بها مع مواضيع النقاش الدائرة والمستخدمين الآخرين، ويمكن تقسيمهم إلى أربع فئات وهم:

المتخصصون (Wizards) وهم الأشخاص الذين لديهم خبرة واطلاع واسع بموضوع معين يتم مناقشته على إحدى مجموعات الأخبار ويقومون بالرد والمشاركة الإيجابية في هذا الموضوع المطروح للنقاش.

المتطوعون (Volunteers) وهم الأشخاص الذين يقومون بمساعدة المستخدمين عن طريق الإجابة عن استفساراتهم وأسئلتهم، وهذه الفئة تعتبر

مصدرا من مصادر مجموعات الأخبار لاسيما إذا كان هؤلاء من المتخصصين في الموضوع المطروح للنقاش.

المتوارين (Lurkers) وهم الأشخاص الذين لا يشاركون في الرد والحوار ويستفيدون من الحديث والحوار الدائر بين تلك المجموعة. وعادة ما يستخدم هذا النوع المشتركين المبتدئين.

المطهرون (Flamers) وهم الأشخاص الذين يقومون بالرد على المقالات والأسئلة التي لا تعجبهم مستخدمين في ذلك عبارات الشتيمة والتجريح.

أما عيوب مجموعات الأخبار فهي أنها ليست آنية أو مباشرة كما أنها بعيدة عن الخصوصية، كما أنها لا تعتمد على الصور. وعند الحديث عن مجموعات الأخبار قد يتبادر إلى الذهن أنها هي نفس القوائم البريدية لكن هذا ليس صحيح وقد ذكر بعض الباحثين أمثال (Steel,١٩٩٧؛ Ellsworth, ١٩٩٤؛ Eager, ١٩٩٤، كاتب ،١٤١٧؛ هونيكوت، ١٩٩٦) وغيرهم الفروق التالية:

أن مجموعات الأخبار تحتاج برنامج (software) اسمه قارئ الأخبار.

عند الرغبة في قراءة مجموعات الأخبار لابد أن تذهب إلى نفس المجموعة أما في القوائم البريدية فالرسالة تأتي إلى بريدك الإلكتروني تلقائيا.

يمكن استخدام الحوار المباشر (Chat Room) في مجموعات الأخبار أما في القوائم البريدية فهذا أمر متعذر.

عند استخدام مجموعات الأخبار لا تعرف كم عدد الذين سوف يقرؤون الرسالة أما في نظام القوائم البريدية فإنك تعرف من سيقرأ الرسالة تقريبا.

يمكن ضبط نظام المجموعات أكثر من نظام القوائم البريدية على حد تعبير

أما عن تطبيقات مجموعات الأخبار فهي مشابهة لتطبيقات نظام القوائم البريدية، وإضافة إلى ما سبق يمكن استخدامها في التعليم بما يلي:

تسجيل المعلمين والطلاب في مجموعات الأخبار العالمية المتخصصة للاستفادة من المتخصصين كل حسب تخصصه.

وضع منتديات عامة لطلاب التعليم لتبادل وجهات النظر وطرح سبل التعاون والاستفادة بينهم بما يحقق تطورهم.

بما أن مجموعات الأخبار تستخدم غرف الحوار (Chat Rooms) فإنه يمكن إجراء اتصال بين طلاب فصل ما مع مجموعة متخصصة على المستوى العالمي للاستفادة منهم في نفس الوقت.

كما يمكن إجراء حوار باستخدام نظام المجموعات بين طلاب ثانوية الملك عبدالعزيز وثانوية محمود الغزنوي مثلا حول موضوع معين لاسيما إذا كان المقرر متشابه.

وبالجملة فتعد مجموعات الأخبار مصادر معلومات ممتازة فهي تقدم المساعدة في المجالات العلمية كالكيمياء وتقنية المعلومات والطيران والتاريخ، كما تقدم المساعدة في مجالات أخرى، ويمكن أن تكون منبعاً للحوارات الحية وفرصة لاجتماع أشخاص مختلفين لديهم اهتمامات مشتركة.

خامسا: استخدامات برامج المحادثة (Internet Relay Chat) في التعليم.

المحادثة على الإنترنت (IRC) هو نظام يُمكّن مستخدمه من الحديث مع المستخدمين الآخرين في وقت حقيقي(Real time). وبتعريف آخر هو برنامج يشكل محطة خيالية في الإنترنت تجمع المستخدمين من أنحاء العالم للتحدث كتابة وصوتا، فمثلا باستطاعة الطلاب في جامعة الملك سعود وجامعة الملك فهد إجراء اجتماع مع طلاب جامعة هارفارد في أمريكا مثلا للنقاش في مسألة علمية. كما أنه بالإمكان أن ترى الصورة عن طريق استخدام كَاميرا فيديو. كما أن استخدام هذه الخدمة تحتاج استخدام برنامج معين مثل برنامج (CUSeeMe) أو غيرة من البرامج المماثلة.

كما تجدر الإشارة إلى أنه يمكن لأي شخص أن يشترك في أي قناة ضمن عدة مئات من القنوات المفتوحة التي يمكن تحويلها إلى قناة خاصة بحيث يمكن استخدامها لعدد معين من الأشخاص.

ويعتبر كثير من الباحثين أن هذه الخدمة تأتي في المرحلة الثانية من حيث كثرة الاستخدام بعد البريد الإلكتروني وذلك راجع إلى المميزات التالية:

خدمة (IRC) توفر إمكانية الوصول إلى جميع الأشخاص في جميع أنحاء العالم في وقت آني كما أنه يمكن استخدامها كنظام مؤتمرات زهيدة التكلفة.

إمكانية تكوين قناة وجعلها خاصة لعدد محدود ومعين من الطلاب والطالبات والأساتذة.

أنها مصدر من مصادر المعلومات من شتى أنحاء العالم.

أما أهمية استخدام هذه الخدمة في التعليم فهي كثيرة جدا، منها أن كثيرا من طلاب الجامعات يستخدمون (IRC) بديلا من إجراء مكالمات خارجية، لأنك عندما تكون متصلا بالإنترنت، يصبح (IRC) مجانا. وبالجملة فإن من أهم تطبيقات (IRC) في التعليم في المملكة العربية السعودية ما يلي:

استخدام نظام المحادثة كوسيلة لعقد الاجتماعات باستخدام الصوت والصورة بين أفراد المادة الواحدة مهما تباعدت المسافات بينهم في العالم وذلك باستخدام نظام (user Object Oriented-Multi) أو (Internet Relay Chat).

بث المحاضرات من مقر الجامعة أو الوزارة مثلا إلى أي مكان في العالم أو في أنحاء المملكة (جامعات أخرى، الفروع ، قسم الطالبات ...الخ) أي يمكن نقل وقائع محاضرة على الهواء مباشرة بدون تكلفة تذكر.

نقل المحاضرات المهمة لأصحاب المعالي الوزراء ومدراء الجامعات للعالم أو على الصعيد المحلي بدون تكلفة تُذكر.

استخدام هذه الخدمة في التعليم عن بعد (Distance Learning) وحيث يواجه التعليم في الوقت الحاضر أزمة القبول فإن استخدام هذه الخدمة بنقل المحاضرات من القاعات الدراسية لجميع الطلاب، ويمكن للطالب الاستماع إلى المحاضرة وهو في بيته وبتكلفة زهيدة.

يمكن استخدام هذه الخدمة لاستضافة عالم أو أستاذ من أي مكان في العالم لإلقاء محاضرة على طلاب الجامعة بنفس الوقت وبتكلفة زهيدة.

استخدام هذه الخدمة كحل لمشكلة نقص الأساتذة فمثلا إذا كان لدى قسم الفيزياء بالقصيم التابع لجامعة الملك سعود نقص يمكن تسجيل الطلاب واستقبال نفس المقرر من مقر الجامعة الأساسية بالرياض ويتم ترتيب الجدول بين القسمين.

استخدام هذه الخدمة لعقد الاجتماعات بين (المدراء، مشرفين...) على مستوى المملكة لتبادل وجهات النظر فيما يحقق تطوير العملية التربوية، وبالطبع دون الاضطرار للسفر إلى مكان الاجتماع.

عقد الدورات العلمية عبر الإنترنت، وبمعنى آخر يمكن للطالب أو معلم التعليم العام أو أي فرد متابعة هذه الدورة وهو في منزله ثم يمكن أن يحصل على شهادة في نهاية الدورة.

عقد اجتماعات باستخدام الفيديو حيث يستطيع الطلاب عقد اجتماعات مع زملائهم من مختلف أنحاء العالم لمناقشة مواضيع معينة أو لمناقشة كتاب أو فكرة جديدة في الميدان، أو مناقشة نتائج بحث ما وتبادل وجهات النظر فيما بينهم (Harris,, ١٩٩٤). كما بمكن استخدام هذه الخدمة لعرض بعض التجارب العلمية مثل العمليات الطبية وكذلك التجارب العلمية وخاصة إذا كانت التجربة مكلفة، إذ أن هذا الأمر يصل إلى أكبر عدد ممكن من المستفيدين من هذه التجربة.

الفصل السادس:

التحديات التي تفرضها طبيعة ونوعية المناهج التعليمية غير التقليدية (المنهج الإنترنتي) على المناهج التعليمية التقليدية السائدة

مقدمة:

اتجهت أنظار كثير من المجتمعات فى الوقت الحاضر إلى استخدام شبكات الإنترنت فى التعليم وإلغاء البنية التعليمية التقليدية من مدارس ومعلمين وغير ذلك وأصبح المتعلم يتعلم من خلال منهج إنترنت وقتما يشاء دون التقيد بالذهاب للمدرسة أو حضور حصص دراسية أو تقوية أو دروس خصوصية؛ ولعل ذلك النمط سوف يزداد في المستقبل بحيث يتم إلغاء المدارس تدريجيا ويحل الإنترنت والمنهج الإنترنت بديلا عنها؛ وفيما يلي عرض لمشروع مقترح لوضع مناهج التعليم العام بالمملكة العربية السعودية على الإنترنت (كدراسة حالة لبعض البلدان العربية):

خطة مقترحة لوضع مناهج التعليم العام في المملكة عبر الإنترنت: (دراسة تجربة المملكة العربية السعودية كمثال)

إن إدخال الإنترنت في الفصل الدراسي في التعليم العام في المملكة العربية السعودية أمر مهم جدا ينبغي أن يتم التفكير فيه على كافة الأصعدة والمستويات فقد بدأت معظم الدول بوضع خطة رسمية -خلال السنوات القادمة - تضمن إدخال الإنترنت لكل فصل دراسي وقد دعا الرئيس الأمريكي كلينتون ((Clinton عندما ألقى خطابا لاتحاد الولايات (States Union) في يناير ١٩٩٤ المكتبات في جميع الولايات المتحدة الأمريكية إلى ضرورة الارتباط في الإنترنت ووضَع عام

٢٠٠٠ كحد أقصى لهذه المكتبات. لكن الحقيقة التي يجب عدم إغفالها هي أن المجتمع السعودي بحاجة إلى تهيئة لهذا الأمر فلا زلنا نعاني من محو أمية الحاسب الآلي ولم نبدأ بعد بالإنترنت، ثمة عوامل أخرى تقف أمام التطبيق ومن أهمها اللغة التي تعتبر مهمة لكي تتم الاستفادة الكاملة من الإنترنت وكذلك عدم وجود خطة حكومية مشتركة بين وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات للعمل سويا، وإن كانت وزارة المعارف قد بدأت بوضع الأسس الأولية لبرنامج "المشروع الوطني لاستخدام الحاسب الآلي في التعليم" إلا أنني في هذه العجالة سوف أطرح فكرة إنشاء "المنهج الإنترنت" كمرحلة أولى لهذا المشروع لكي تتاح فرصة الاستفادة منه لمن هو مرتبط في الإنترنت أصلا.

١-فكرة المشروع:

تقوم فكرة المنهج الإنترنتي في شكلها النهائي على إيجاد موقع إلكتروني موحد يشتمل على جميع مناهج التعليم العام (المرحلة الابتدائية، المتوسطة، الثانوية) ويتم تحميل هذا الموقع على شبكة الإنترنت حيث تتاح لجميع الطلاب للدخول لذلك الموقع بدون مقابل، إضافة إلى ذلك لابد أن يكون هذا المنهج وفق الشروط العلمية والتي من أهمها أن يكون مبني على أساس فلسفي ونفسي وتكنولوجي، ولعلي أتناول هذه الأساس التكنولوجي بنوع من التفصيل.

٢- أهداف المنهج الإنترنتي:

تصميم المناهج الدراسية (المكتوبة) بطريقة الوحدات الدراسية ووضعها في موقع على الإنترنت.

إتاحة الفرصة للطلاب والطالبات الداخلين للموقع لاسترجاع ما درسوه في نفس اليوم أو على الأقل دراسته مرة أخرى بطريقة معينة.

حل مشكلة الغياب والمرض لدى بعض الطلاب بمتابعة المناهج من منازلهم.

وضع أنشطة مصاحبة للمناهج وكذلك أسئلة ومواقف معينة تساعد على الفهم والاستذكار.

وضع توصيلات (Link) للمواضيع المرتبطة ببعضها البعض مثل في مادة العلوم ربط المادة ببعض المواقع التي تساعد على الفهم ومثل ذلك المكتبات والكتب التي تناولت الموضوع بنوع من التفصيل في حالة رغبة الطالب بالرجوع للموقع.

حل مشاكل الدروس الخصوصية.

حل مشاكل طرق التدريس التقليدية، ذلك أن الطالب سوف يتعلم بطريقة مغايرة لما درسه.

ربط الطالب بالتعلم حتى وهو خارج المدرسة.

نشر ثقافة المعلوماتية لدى الطلاب.

إلى غير ذلك من الأهداف التي سوف تتحقق بطريقة مباشرة أم غير مباشرة بعد استخدام الطلاب لهذا النوع من التعليم.

٣-دواعي المشروع:

لا شك أن فكرة المشروع منطلقة من عدة مبررات أساسية ومن أهمها:

المبررات الداخلية: هناك دواعٍ داخلية للتطوير والمتمثلة بما يلي:

التغير الاجتماعي.

كثرة الملتحقين في التعليم.

زيادة الطلب على التعليم.

تلبية متطلبات سوق العمل.

الانفتاح العالمي.

المبررات العالمية: لا شك أننا جزءٌ من هذا العالم الذي ترابطت أطرافه وأصبح بمثابة القرية الواحدة وتتمثل هذه المبررات بما يلي:

ثورة الاتصالات.

الانفجار المعرفي.

العولمة وآثارها.

تقنية والمعلومات ومعلوماتها

المبررات العلمية والبحثية: تشير الدراسات والبحوث التي تمت في مجال تقنية المعلومات ومن أهم هذه المبررات ما يلي:

توصيات المنظمات التربوية العالمية.

نتائج البحوث والدراسات.

التجارب العالمية في تطوير المناهج عبر الإنترنت.

وبالجملة فإن من أهم دواعي التطوير هو ضرورة إعداد طلابنا لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين (عصر المعلوماتية). ثم إن استخدام هذه التقنية في المدارس سيكون ضرورة ولذا لابد من الإعداد لهذا الأمر.

٤- محتويات المنهج الإنترنتي:

لا شك أن الموقع ينبغي أن يحتوي على كم هائل من المحتويات الرئيسية والمساعدة في عملية التعليم والتعلم ومن أهم العناصر التي يجب تكون في الموقع هي:

محتويات المواد بكاملها (لغة عربية، علوم، علوم شرعية، علوم اجتماعية...إلخ).

الأنشطة المصاحبة لهذه المحتويات.

الكتب والمراجع التي يحتاجها الطالب عند الرغبة بالاستزادة عن موضوع معين.

المكتبات العلمية المتخصصة والتي تتناول الموضوع ووضع توصيلة (Link) للوصول لتلك المكتبات.

أسماء المعلمين المتخصصين في بعض المواد وعناوينهم وإمكانية الاستفادة منهم خارج الدوام الدراسي.

اللوائح وأنظمة الاختبارات المتعلقة بهذه المواد.

٥- متطلبات المشروع:

لا شك أن لكل مشروع جيد مقومات أساسية ينبغي أن توضع في الحسبان ومن أهم المقومات هي المقومات المادية والبشرية ولعلي أتحدث عن كل عنصر بنوع من الإيجاز.

أ- المقومات المادية:

المادة هي أساس كل عمل وبدون مادة لا يمكن العمل ولذا فإن المشروع يحتاج إلى تمويل مادي مكثف في البداية لكي يغطي النفقات التالية:

شراء الأجهزة الأساسية والبرامج للوزارة ولإدارات التعليم وللمدارس.

تصميم البرامج التربوية.

الدعم الفني والصيانة.

تدريب المعلمين والإداريين على الاستفادة من الموقع.

التوعية الإعلامية لهذا الأمر.

ب- المقومات البشرية:

وفي الحقيقية فإن المقومات البشرية هي أشد من المقومات المادية، والعالم العربي يعاني من قلة المتخصصين في مجال المعلوماتية، والذي أميل إليه هو ضرورة تدريب معلمين على بعض البرامج التي يمكن بواسطتها إنتاج المنهج الإنترنت مثل برنامج (Autherwere) وغيرها من البرامج التعليمية. ثم بعد ذلك يتم التطوير شيئا فشيئا.

٦-خطة المشروع:

لا شك أن وضع خطة رئيسية للمشروع يعتبر أمراً ضروريا للغاية ولكي ينجح المشروع لابد من تقسيمه إلى مراحل وهي كالتالي:

١ المرحلة الأولى:

تشكيل لجنة متخصصة في مجال المعلوماتية لدراسة الواقع التربوي وتجارب الدول الأخرى ووضع الأسس الفلسفية النفسية والتكنولوجية للمنهج الإنترنتي وسوف أتحدث عن هذا بنوع من التفصيل في نهاية هذه الورقة.

٢ المرحلة الثانية:

تفريغ عشرة معلمين من وزارة المعارف وعشر معلمات من الرئاسة العامة لتعليم البنات وتدريبهم على برنامج (Authorwere) ويفضل من يعرف اللغة الإنجليزية ولديه خلفية في الحاسب الآلي. على أن يكون هناك تنوع من المعلمين

(التخصصات مثلا علوم عربية وآخر علوم وثالث علوم شرعية وهكذا). وبعد ذلك يتم تصميم منهج معين ثم يتم اختباره من قبل الطلبة والطالبات والاستفادة من الملاحظات ثم بعد ذلك يبدأ العمل بعد وضع خطة مدروسة لجميع المناهج.

كما تجدر الإشارة إلى أنه يمكن البدء في هذا المشروع ولو لم يتم توفير الأجهزة في جميع المدارس لأن الإنترنت موجودة في معظم البيوت على أنه ينبغي عدم الربط بين دخول الإنترنت للمدارس وهذا المشروع.

٧-عوائق المشروع:

لا شك أن هذا المشروع يكتنفه بعض العقبات والتي من أهمها ما يلي:

أن البنية التحتية تحتاج إلى رأس مال ضخم في المرحلة الأولى.

بدراسة لواقع تقنية المعلومات في المملكة نجد أن البنية التحتية البشرية والتقنية قليلة جدا سواءً على مستوى الوزارة أو على مستوى إدارات التعليم أو على مستوى المدارس.

ضعف تأهيل المعلمين قبل الخدمة بالمهارات اللازمة لاستخدام الحاسب الآلي والإنترنت.

١٠) عدم وجود فنيي مختبرات لمعامل الحاسب الآلي أسوة بمختبرات العلوم الفيزياء.

١١) عدم توفر برامج تدريبية للمعلمين ومتخصصي المختبرات.

١٢) قلة المتخصصين حتى على مستوى الجامعات في مجال الإنترنت فعمر الإنترنت لا يتجاوز عشر سنوات ولذا فإن المتخصصين في تقنيات التعليم في الجامعات السعودية هم قلة قلية فأكثرهم تخرج قبل هذا التاريخ.

١٣) قلة البرامج التربوية المكتوبة في اللغة العربية لكي يمكن الاستفادة منها في هذا المجال. وفي الحقيقة فإن وضع خطة زمنية مدروسة قد تساهم في تذليل بعض هذه الصعوبات والعقبات، الأمر الذي يجعلنا نؤكد على ضرورة البداية في المشروع ولو بخطة بعيدة المدى.

سابعا: العوائق التي تقف أمام استخدام الإنترنت في التعليم.

إن المتتبع لهذه التقنية يجد أن الإنترنت كغيرها من الوسائل الحديثة لها بعض العوائق، وهذه العوائق إما أن تكون مادية أو بشرية. ثم إن المتتبع للعقبات التي تواجه الدول الأخرى يجد أن هناك توافق مع الواقع الحالي للتعليم العالي في المملكة العربية السعودية. وأهم العوائق هي:

أولا: التكلفة المادية:

التكلفة المادية المحتاجة لتوفير هذه الخدمة في مرحلة التأسيس أحد الأسباب الرئيسية من عدم استخدام الإنترنت في التعليم في المملكة العربية السعودية. ذلك أن تأسيس هذه الشبكة يحتاج لخطوط هاتف بمواصفات معينة، وحواسيب معينة. ونظرا لتطور البرامج والأجهزة فإن هذا يُضيف عبئا آخر على الجامعات. ولا شك أن بعض الجامعات لا تستطيع أن توفر هذا خلال سنوات قليلة ثم إن ملاحقة التطور مطلب أساسي من مطالب القرن ولهذا لابد من النظر إلى هذا بعين الاعتبار عند التأسيس.

ثانيا: المشاكل الفنية:

الانقطاع أثناء البحث والتصفح وإرسال الرسائل لسبب فني أو غيره مشكلة تواجهها الجامعات في الوقت الحاضر، مما يضطر المستخدم إلى الرجوع مرة أخرى إلى الشبكة وقد يفقد البيانات التي كتبها. وفي معظم الأحيان يكون من الصعوبة الدخول للشبكة أو الرجوع إلى مواقع البحث التي كان يتصفح فيها.

ثالثا: اتجاهات المعلمين نحو استخدام التقنية:

ليست العوائق المالية أو الفنية هي السبب الرئيسي من استخدام التقنية، بل إن العنصر البشري له دور كبير في ذلك، وقد ذكر (Michels,١٩٩٦) في دراسته لنيل درجة الدكتوراه التي تقدم بها لجامعة مينسوتا والتي كانت بعنوان (استخدام الكليات المتوسطة للإنترنت: دراسة استخدام الإنترنت من قبل أعضاء هيئة التدريس) أنه بالرغم من تطبيقات الإنترنت في المصانع والغرف التجارية والأعمال الإدارية إلا أن تطبيقات(استخدام) هذه الشبكة في التعليم أقل من

المتوقع ويسير ببطء شديد عند المقارنة بما ينبغي أن يكون. وشدد McNeilعلى "إن البحث في اتجاهات أعضاء هيئة التدريس نحو استخدام هذه التقنية وأهميتها في التعليم، أهم من معرفة تطبيقات هذه الشبكة في التعليم" (McNeil, ١٩٩٠، P.٢).

أما عن أسباب هذا العزوف من بعض أعضاء هيئة التدريس فهو راجع إلى عدم الوعي بأهمية هذه التقنية أولا، وعدم القدرة على الاستخدام ثانيا، وعدم استخدام الحاسوب ثالثا. والحل هو ضرورة وضع برامج تدريبية للمعلمين خاصة بكيفية استخدام الحاسب الآلي على وجه العموم أولا وباستخدام الإنترنت على وجهة الخصوص ثانيا، وعن كيفية استخدام هذه التقنية في التعليم ثالثا.

رابعا: اللغة:

نظرا لأن معظم البحوث المكتوبة في الإنترنت باللغة الإنجليزية؛ لذا فإن الاستفادة الكاملة من هذه الشبكة ستكون من نصيب من يتقن اللغة وهم قلة قليلة في الجامعات السعودية. ومن هنا يمكن القول لابد من إعادة النظر في ما يلي:

إعادة تأهيل أساتذة الجامعات في مجال اللغة.

ضرورة بناء قواعد بيانات باللغة العربية لكي يتسنى للباحثين الاستفادة من تلك الشبكة.

خامسا: الدخول إلى الأماكن الممنوعة:

إن الأمن الفكري والأخلاقي والاجتماعي والسياسي من أهم المبادئ التي تؤكد عليها المؤسسات التعليمية بجميع مراحلها التعليمية، بل أن من أهداف المدارس توفير هذه الحماية السابقة الذكر. ونظرا لأن الاشتراك في شبكة الإنترنت ليس محصورا على فئة معينة مثقفة وواعية للاستخدام، لذا فمن أهم العوائق التي تقف أمام استخدام هذه الشبكة هي الدخول إلى بعض المواقع التي تدعو إما إلى الرذيلة ونبذ القيم والدين والأخلاق أو أنها تدعو إلى التمرد والعصيان على ولاة أمر المسلمين وعلمائهم ومشايخهم، وكل هذا تحت اسم التحرر والتطور ونبذ الدين وحرية الرأي إلى غير ذلك من الشعارات الزائفة. وللحد من هذا قامت بعض

المؤسسات التعليمية بوضع برامج خاصة أو ما يسميه البعض بحاجز الحماية (Firewall) تمنع الدخول لتلك المواقع. لكن الحقيقة كما قال مادوكس Maddux من الصعوبة حصر هذه المواقع لكن التوعية بأضرار هذه المواقع هو النتيجة الفعالة.

سادسا: كثرة أدوات (مراكز) البحث (Engines Search) :

من المشكلات أو العوائق التي تقف أمام مستخدمي شبكة الإنترنت هي كثرة أدوات البحث أو كما يسميها البعض بمراكز البحث والتي من أهمها Yahoo, Lycos, Infoseek-Alta Vista, Excite, WebCrawler..... والإنترنت عبارة عن محيط عظيم الاتساع والانتشار وبالتالي فإن عملية البحث عن معلومة معينة أو موقع معين أو شخص معين سوف تكون في غاية الصعوبة ما لم تتوفر الأدوات المساعدة على عملية البحث (Search Engines). وهناك العديد من مراكز البحوث (أدوات البحث) في الإنترنت وهي (Gopher, Wais, FTP, Telnet) وقد أشرت إليها عند الحديث عن البحث في الإنترنت. إن السؤال الحقيقي هو ما الطريقة المثلى للبحث في الإنترنت؟ ان الإجابة على هذا السؤال ليست صعبة وليست سهلة في نفس الوقت على حد تعبير مالو. إن البحث في الإنترنت هو بمثابة البحث في مكتبة كبيرة، بل إن البعض يسمي الإنترنت "بالمكتبة الكبرى". ولهذا السبب - اتساع الإنترنت- يرى الباحث مالو (Maloy) في كتابة المعروف دليل الباحث في الإنترنت(The Internet Research Guide) أنه عند البحث في الإنترنت لابد من اتباع ما يلي:

ضرورة تحديد الكلمة (الكلمات) الأساسية في البحث.

حدد الفن (علوم، اجتماع...إلخ) الذي سوف تبحث فيه.

حدد المركز أو الموقع(Search Engine) الذي سوف تبحث فيه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض أدوات البحث بدأت تتخصص شيئا فشيئا، أعني بذلك أن بعض المواقع مثل Infoseek اهتمت في المعلومات الجغرافية والأطالس وغيرها أو على الأقل ركزت عليها أما Yahoo فقد ركز على الأمور

التربوية وهكذا. ويتوقع بعض الباحثين في هذه الشبكة نمو التخصص في الإنترنت في القريب العاجل. كما تجدر الإشارة إلى أن هناك برامج حديثة تقوم بالبحث في أكثر من أداة في آن واحد، وغالبا ما تجمع ما بين ١٠-٢٠ أداة فقط لكل مرة.

سابعا: الدقة والصراحة:

أشار قليستر (Gilster) إلى أن نتائج البحوث أشارت إلى أن الباحثين عندما يحصلون على المعلومة من الإنترنت يعتقدون بصوابها وصحتها وهذا خطأ في البحث العلمي ذلك أن هناك مواقع غير معروفة أو على الأقل مشبوهة. ولهذا فقد نَصح سكوت (Scott) الباحثين والمستخدمين للشبكة بأن يتحروا الدقة والصراحة والحكم على الموجود قبل اعتماده في البحث.

الفصل السابع

التحديات العامة التي تواجه العالم الإسلامي في ضوء ثقافة المعلومات وعولمة الثقافة

مقدمة

لعل تحديد طبيعة تحديات المستقبل التي قد تواجه التعليم في العالم الإسلامي لها أهميتها _ إلى حد ما _ في تصور طبيعة مدرسة المستقبل ويمكن _ تصنيف تلك التحديات المستقبلية فيما يلي:

١) التحديات التي تواجه ثوابت الأمة الإسلامية (الدين _ اللغة _ الهوية الثقافية الذاتية...إلخ)

٢) التحديات التي تواجه القيم والأخلاقيات الإسلامية.

٣) تحديات تواجه الأمة الإسلامية ناشئة من التخلف العلمي التكنولوجي بالعالم الإسلامي كدالة للتخلف في نمط التفكير السائد ومنهج البحث العلمي بالعالم الإسلامي.

٤) تحديات تتعلق بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالعالم الإسلامي.

٥) تحديات تتعلق بالمسألة السكانية والبيئية.

٦) تحديات تتعلق بالبنية التعليمية بالعالم الإسلامي.

٧) تحديات تواجه التعليم في ضوء الترويج لمفهوم ثقافة العولمة (سبق التحدث عنها في إشكاليات تتعلق بطبيعة الثقافة).

تلك التحديات المستقبلية وغيرها الكثير هي بالأصل تحديات نابعة من طبيعة إشكالية الثقافة في عصر العولمة فما المقصود بتلك الإشكالية وعلاقتها بإشكالية التعليم في الحاضر والمستقبل؟

إشكالية الثقافة (عولمة الثقافة) في عصر العولمة في الحاضر والمستقبل

مفهوم الثقافة بوجه عام ومفهوم عولمة الثقافة بوجه خاص

تمت الإشارة لمفهوم الثقافة بوجه عام في فصول سابقة واتضح أن هناك تعريفات متعددة للثقافة كلها قاصرة عن بيان معنى الثقافة. ولذا فقد انتقينا أحد التعاريف الشائعة، لاعتقادنا بأنه يشتمل على كافة المجالات التي يرتكز عليها بحثنا في هذا المجال، وهو تعريف للدكتور محمد علي حوات، يصف فيه الثقافة بأنها منظومة متكاملة، تضم النتاج التراكمي لمجمل موجات الإبداع والابتكار التي تتناقلها أجيال الشعب الواحد، وتشمل بذلك كل مجالات الإبداع في الفنون والآداب والعقائد والاقتصاد والعلاقات الإنسانية، وترسم الهوية المادية والروحية للأمة لتحديد خصائصها وقيمها وصورتها الحضارية، وتطلعاتها المستقبلية ومكانتها بين بقية الأمم.[١١١]

وبهذا فإن الثقافة إرث تاريخي يحمل الطابع المميز لكل أمة، فهي غير قابلة للعولمة، إذ أن محاولة عولمة أي ثقافة تعني في الحقيقة السعي إلى بسط هيمنتها على الثقافات الأخرى، إما بطمسها أو تحييدها في عدد من المجالات، وهذا ما سيتضح لنا خلال متابعتنا للسطور القادمة.

العولمة وثقافة الشركات متعدية الجنسيات ❋

لقد أصبحت الشركات متعدية الجنسيات اليوم جوهر النظام الرأسمالي الحديث، فهي اللاعب الرئيسي في صنع القرارات المتعلقة بنوعية الإنتاج وحجمه وكيفيته، وطرق توزيعه وقنوات نقله، وكل ما يتعلق بالإنتاج والتوزيع من حيث الزمان والمكان والتحركات والترابطات الأمامية والخلفية، بل إن هذه الشركات باتت هي المسؤولة عن تحديد حاجات المستهلك نفسه، فلم تعد في حاجة لتقصيها ثم العمل على إشباعها، خاصة وأن المستوى الحضاري الذي وصل إليه هذا المستهلك يضمن له إشباعا كليا أو شبه كلي لكافة حاجاته الأساسية والكمالية، وعليه فإن هذه الشركات باتت معنية اليوم بإقناعه بحاجته إلى منتجات جديدة قد لا يكون محتاجًا لها على الإطلاق، عبر وسائل الدعاية الرخيصة، ثم تقديمها له

بصورة استهلاكية غير نهائية، بمعنى أنها لا تصمم لإشباع الحاجات المطلوبة بشكل كامل، بل يتم ترك هامش واسع لخطط التطوير المستقبلية، والتي تكون في الكثير من الأحيان قد أعدت قبل سنوات عدة، وذلك لإحداث حاجات جديدة فيما بعد، تتم إثارتها، ثم الدعوة إليها من جديد، بوسائل إبهار جديدة، ومظاهر جذب وتسويق أكثر جدة.

إن هذا "النظام المتعدي للجنسيات" يستند في طبيعة وجوده وامتداد علاقاته على شبكة أخرى شديدة التعقيد، تبدأ من المؤسسات الدولية ذات الطابع الاقتصادي مثل منظمة التجارة العالمية، البنك وصندوق النقد الدوليين، ومنظمة التنمية والتعاون الدولية، مرورًا بمنظمات ثقافية دولية أخرى مثل اليونسكو، ووصولا إلى المنظمات والأحلاف السياسية والعسكرية، مثل: حلف الأطلسي والاتحاد الأوربي.

كما تلعب الجامعات ومراكز البحث والتدريب أيضا دورا لا يقل أهمية، بينما ترتبط كل من وكالات الأنباء الدولية وشركات الإعلان وشبكات التلفزة الأرضية والفضائية ومواقع شبكة الإنترنت غالبا مع الشركات متعدية الجنسيات بصلات أكثر وضوحا، إذ تحمل على عاتقها مهمة نشر السلوكيات والأفكار التي تضمن صهر أكبر عدد ممكن من ثقافات العالم في بوتقة الثقافة المعولمة، ذات الطابع الاستهلاكي الغربي الموحد.[١١٢]

والخطر الأكبر في هذه السياسة لا يقتصر على نشر الثقافة الاستهلاكية التي تسعى لبسط نفوذ الشركات متعدية الجنسيات فحسب، بل تتم أيضا محاولة عولمة السلوك المهني والوظيفي في العالم كله، وحتى توحيد المفاهيم العلمية، والسياسية، وكل ما يتعلق بالنشاط الإنساني، ثم اعتماد هذه المفاهيم الغربية المعولمة باعتبارها الحل العالمي الأفضل، والوحيد لكافة مشاكل البشرية. فعلى سبيل المثال، يرى فيرجوسون (١٩٩٢) أن مفهوم العولمة لا يخرج كثيرا عن تعبير أديولوجية الرأسمالية، و كذلك كل من بورديو وَ واكانت (١٩٩٩) في اعتبارهما أن للعولمة مهمة تتمثل في إغراق أعراض الإمبريالية ضمن دعاوى العالمية الثقافية و

الحتمية الاقتصادية [١١٣]، مما يوحي لشعوب العالم الثالث ـ على وجه الخصوص ـ بأن هذا التوسع الطاغي لأدوات العولمة يبدو وكأنه ذو طبيعة حديدية غير قابلة للكسر أو الالتواء، الأمر الذي يصفه الاقتصادي الدكتور جلال أمين، بأنه أشبه بالتعاليم الدينية المقدسة التي كان رجال الدين الأوربيون يقدمونها لشعوبهم، في القرون الوسطى، ثم يطالبونهم بالطاعة وهم عميان! ومع تصاعد وتيرة الليبرالية والدعوة إلى الحرية، لم يعد من السهل إيقاف هذا الضخ المسعور للقيم والأفكار الغربية عبر قنواتها الإعلامية على جميع شعوب العالم، حتى بات من الصعب –إن لم يكن مستحيلا- الوقوف في وجه هذا التيار الهائل، وإلا تعرضت شعوب العالم الثالث لحملة أكثر وحشية للانتقاد والقذف بكل صفات الانغلاق والتخلف والرجعية.

من جهة أخرى، نشرت مجلة "ريدرز دايجست" الشهيرة، في عددها الصادر في شهر أكتوبر لعام ١٩٩٥ موضوعا تحت عنوان (هوليود والأكاذيب الثلاث الكبرى)، أشارت من خلالها إلى السياسة الهوليودية في عرض الأفلام -أيا كان مضمونها ومستواها الثقافي والأخلاقي- عبر اعتمادها على مبررات ثلاث كبرى: أولها أن هذه الأفلام تهدف إلى التسلية فقط دون التأثير على أحد، والثانية أنها تعكس الحقيقة التي يمثلها المجتمع، وعليه فإن الناس هم الملامون على أي خطأ أو نقد يمكن أن يوجه إلى هذا الفيلم أو ذاك، وأما الثالثة، والتي تبدو أكثرها براءة وعفوية، فهي الادعاء بأن هوليود تعتمد على أذواق المشاهدين في انتقاء عروضها، وبالتالي فإنك عزيزي المشاهد -كما تضيف المجلة- لست مضطرا لمشاهدة الأفلام التي لا ترغب فيها، وبإمكانك أن تغير وجهتك نحو القناة التلفزيونية التي تحب بكبسة زر[١١٤]... إنها حقا قمة الديمقراطية! لعلك أخي القارئ تتفق معنا عند هذه النقطة بضرورة التساؤل حول صحة اعتماد هذه المبررات -أو لنقل الأكاذيب- لفتح فضائنا الإعلامي والثقافي، وبكل هذه البساطة، لكل ما يرد إلينا من الخارج بقضه وقضيضه. وحتى نصل إلى إجابة شافية فإننا - كما يبدو- سنظل نفاجأ كل يوم بكم هائل من البرامج

والأفلام التي باتت تقدم على أنها لكافة أفراد الأسرة، في حين أنها في الحقيقة ليست كذلك على الإطلاق، فهي غالبا ما تحتوي بشكل أو بآخر على جرعة لا بأس بها من المشاهد العاطفية -إن لم نقل الإباحية- أو مشاهد العنف الدموية. بل إن برامج الأطفال بحد ذاتها باتت ملأى بهذا الغثاء الذي قلما ينتبه إليه أولياء الأمور. وقد امتد هذا السرطان الخبيث بشكل سريع ومفاجئ، خلال السنوات القليلة الماضية، إلى ألعاب الفيديو و المجلات المصورة ومواقع الإنترنت المتاحة للجميع وبأسهل الطرق حول العالم، حتى لم يعد الجنس والعنف -اللذان يقدمان وللأسف الشديد بأبشع الصور- شيئا غريبا على الأطفال والمراهقين في الدول الغربية، كما لا يبدو، في المقابل، أن جيلنا الناشئ في مأمن من ذلك. إن الاعتماد على أذواق المشاهدين في تبرير المواد التي تقدم إلى عامة الناس، ويرغمون على دخولها إلى عقر ديارهم، أتاحت لمحطات التلفزة الأمريكية أن تعرض في مطلع التسعينات ١١٥ فيلما بوليسيا، تشتمل على ٤٠٦ من الجرائم الوحشية - كما أحصتها إحدى الدراسات- مما جعل الجرائم المقدمة على الشاشة تزيد بعشرين ضعفا على الجرائم التي تحدث على أرض الواقع، فيما يؤكد البعض أن كلا الرقمين مؤهلين للازدياد.[١١٥]

وهكذا بات الفن الذي كان ترجمانًا لعالم "المعنى"، مرآة لعالم "الصورة" -على حد تعبير د. غلام علي حداد عادل- وتحولت السينما التي سميت في بداياتها بالفن السابع، إلى مرآة للابتذال في أحط أنواعه، فيما قام المنتجون باستغلال الجنس الذي اكتشف بأنه السلعة الأكثر رواجا، وكأن عدساتهم ليس باستطاعتها التعبير إلا بلغة الأجساد المأجورة، لتقوم محطات التلفزة فيما بعد بمهمة نقل ما كان حكرا على دور العرض إلى المنازل كل ليلة، وتصبح مراقبة الفرد لصلاحية ما يعرض عليه وعلى أفراد أسرته شبه مستحيلة.[١١٦]

وعبر هذا التحالف القائم بين الشركات العالمية ووسائل الإعلام، ومع تحول هذه الأخيرة إلى شركات تجارية بحد ذاتها، تقوم أساسا على الربح المادي، والتوسّع القاري لاقتسام الأسواق العالمية واحتكارها بأيدي القلة، فإنه من الطبيعي جدا،

والحال هذه، أن تنحط الثقافة العالمية إلى أدنى المستويات، وأن يتم تصنيف أفراد هذا العالم ،الذي يسعى البعض لتحويله إلى قرية صغيرة، حسب "الماركات" التجارية التي تحمل مشترياتهم شعاراتها، أو حسب مصادر معلوماتهم التي تمطرهم بها مئات الصحف والأقنية الفضائية ومواقع الشبكة العنكبوتية. ولكي نتبين مدى تأثير هذه الأدوات الإعلامية الطاغية على عقول الجمهور المتلقي، وتحديد أفكاره وتصرفاته اليومية، نذكر التجربة التي قام بها "فانس باكارد" عبر مراقبة الانطباع الذي يتركه عرض ومضات سريعة لعلب من المثلجات خلال مشاهد متفرقة لأحد الأفلام السينمائية، وبشكل هامشي دون أن يشعر المشاهدون بأنهم قد انتبهوا للأمر، وكانت النتيجة أن مبيعات دار السينما أثناء العرض قد ازدادت بشكل ملحوظ، مما دفع به للاستنتاج بأن "الدعاية الباطنية" تشكل أسلوبا فعالا للإقناع الذي لا يشعر به المتلقي حتى يفكر في مقاومته. وبما أن هذه الدراسة قد وردت في كتابه "المقنعون المستورون" في عام ١٩٥٧[١١٧]، فإن هذا الأثر سيبدو مضاعفا اليوم مع التقدم الهائل في وسائل الإبهار، والسيطرة على جانب اللاوعي لدى المتلقي. إذ يعتمد الكثير من منتجي الأفلام والبرامج الأمريكية على هذا المبدأ لترويج قيمهم الاستهلاكية، حيث تقدم رموز الحياة الأمريكية البسيطة اليوم كالجينز والتيشيرت وأسطوانات الروك والبوب المدمجة، إلى جانب كرة السلة وألعاب الفيديو الرقمية، مع قليل من الهامبورغر والكوكاكولا، وكأنها جزء لا يتجزأ من حياة الرفاهية الأمريكية، والتي يسعى للحاق بها معظم شباب العالم، وخاصة في الدول النامية التي يشكل سكانها الأغلبية الساحقة من سكان المعمورة.
وللحفاظ على رسوخ هذه القيم واستمرارية تناسخها بين أجيال الشباب المتعاقبة، يتم منحها المزيد من المصداقية للتأكيد على أنها الخيار الأفضل لنمط المعيشة من بين كافة الخيارات الأخرى المتاحة، وذلك عبر التكرار المستمر لهذا الطرح عبر كافة وسائل الإعلام، مع ضرورة تقديمه ضمن أطر دائمة التجدد والتغيير لضمان الإبقاء على جاذبيتها، بعيدا عن الرتابة والتقليد. لقد أُقتُبست

هذه الأساليب من النظرية التي تفـتّـقت عنها العبقرية الهتلرية، والقائمة على صياغة فكر موحد للشعب الآري، عبر التكرار اللانهائي - في وسائل الإعلام- للفكر النازي ذو النزعة الشمولية، والقائم على إحياء غرائز إثبات الذات والرغبة في الانتقام من العدو، حتى تصبح القوى العقلية الفاعلة منهكة ومنهارة أمام تدفق تيار هائل من الدعاية المتماسكة، مما يؤدي في النهاية إلى تكوين قبول أولي لا شعوري، يستبعد مع الزمن أي نزعة داخلية للتشكيك.[١١٨] ويؤيد ذلك ظهور "نظرية الغرسCultivation Theory " في السبعينات من القرن الماضي، والتي يؤكد أصحابها أن وسائل الإعلام تقوم بغرس عالم وهمي في ذهن المتلقي، والذي يقوم بدوره بتقبل هذه الصورة على أنها تعبير حقيقي للواقع، لكونه غير واع بعملية صنع هذا الواقع، بل إن وعيه لا يتعدى الشعور بالتسلية، وذلك بقضاء الساعات الطويلة أمام شاشة التلفاز[١١٩]. ولبيان تفاصيل ذلك النموذج الذي تقوم البرامج الترفيهية الأمريكية بغرسه في عقول الناس، قام الباحث البيروفي "جوركي تابيا" بدراسة شاملة لهذه البرامج، ليخرج بنتيجة مفصلة على الشكل التالي[١٢٠]:

- البيئة: مجتمع استهلاكي ترفي خال من التناقضات.
- القيم الأساسية: الفردية والأنانية والمنافسة العنيفة.
- معنى النجاح: التفوق المادي على الآخرين، والتلذذ بمباهج الحياة.
- المجتمع يميل عموما إلى مكافأة أولئك الناجحين، ومعاقبة الخاسرين.
- يجب على الخاسرين الرضى بقدرهم، والتسليم بدلا من التمرد أو محاولة التغيير.

ومن خلال هذه النتائج، يمكن للقارئ الكريم أن يتلمس بسهولة سيطرة النظرة المادية البراجماتية على هذه المواد، والتي تقدم على أنها ليست إلا للترفيه والتسلية، في حين يؤكد الباحث الأمريكي "هربرت شيلر" على "أن البرامج الترفيهية هي في الواقع أشكال تربوية... وأشكال توعية أيديولوجية"، ويؤيده "ميلفين ديفلير" في قوله: "يمكن رؤية الاعتماد القوي لوسائل الإعلام على

النظام الترفيهي بسهولة أكثر في تعديل القيم والقواعد السلوكية"[١٢١]. يقول المفكر الأمريكي ناعوم تشومسكي: "إن الولايات المتحدة ممثلة في شركاتها الكبرى متعددة الجنسيات تسيطر على العالم وتسيره كيفما تشاء، وتخطط مستقبله وفقا لأهوائها دون اعتراض يذكر".[١٢٢]. ويستغل الأمريكيون هذه القدرة الهائلة لوسائل الإعلام في خدمة مصالحهم، خصوصا إذا علمنا أن الولايات المتحدة تمتلك اليوم ٥٦% من بنوك المعلومات في العالم، بينما تعود نسبة ٢٧% منها إلى دول الاتحاد الأوربي، و١٢% إلى اليابان، فيما تبقى نسبة ١% فقط لدول العالم النامي مجتمعة.[١٢٣]. ويتمثل هذا التأثير في وصف وزير الخارجية الأمريكي الأسبق "جورج شولتز" لتقنية البث المباشر "بأنها أنجع من أسلحة نووية عديدة لغزو الكتلة الشرقية، وإن شعوب أوربا الشرقية ثارت على الشيوعية لأنها تمكنت من التقاط برامج التلفزيون الغربي والأمريكي".[١٢٤].

الانحطاط الثقافي في عصر العولمة:

يقول روجيه غارودي: "إن القوة الاقتصادية الأمريكية تحسد القوة الثقافية الأوربية في محاولة منها للانفراد بالرفض والقطيعة، وباستخدام الابتزاز والإرهاب الفكري يقوم الأمريكيون بإقحام ثقافتهم الرخيصة ضمن ما يسمى بالحداثة، في الوقت الذي يقومون فيه بقذف رموز الثقافة الأوربية بالعبث والتخلف".[١٢٥]. لقد أدرك المستثمرون الأمريكيون مدى الإقبال العالمي على الثقافة الرخيصة، وأن الناس عموما يميلون إلى العرض الإعلامي الذي يضمن لهم إشباع قدر كاف من غرائزهم، وإمضاء المزيد من الوقت في سبيل التسلية، فبينما تنفق الحكومات الأوربية الأموال الطائلة لدعم مبدعيها من الفنانين والشعراء والمخرجين المسرحيين والسينمائيين، أوكلت الولايات المتحدة مهمة اختيار ونشر ثقافتها إلى عمالقة السينما في هوليود وشركات الإعلان في مانهاتن. وفي ظل الليبرالية المطلقة التي لا تعرف إلا الربح، والبراجماتية التي تؤمن بأن الغاية تبرر الوسيلة، يقوم هؤلاء بدراسة أذواق الشريحة الأوسع من المستهلكين، في العالم كله، ثم تحديد المنتجات الأكثر رواجا وربحية، وهكذا يصبح كل من فان

دام ورامبو وشاكيرا ومايكل جاكسون نجوما يحملون شعلة الثقافة الأمريكية إلى العالم، ويمتصون من خلال منتجاتهم أرباحا طائلة.[١٢٦]. يقول "ستيفن هاينرمان" المحاضر في دراسات الاتصالات في أحد جامعات كاليفورنيا: "لو تصورنا أن هناك شخصين، أحدهما مسافر والآخر من أهل المكان، قد جلسا ليكتب قائمة بأكثر الأبطال شعبية، فلن يكون مثيرا للدهشة أن كلتا القائمتين بهما الأسماء نفسها من أبطال الأفلام ونجوم الموسيقا وعمالقة الرياضة وشخصيات البرامج التلفزيونية"[١٢٧] وهذا أمر طبيعي جدا في عصر العولمة، حيث يتحول عدد من أبناء الطبقات الوسطى أو المسحوقة إلى نماذج مثالية للجنس البشري، بعد أن يتم تصنيعها بدقة خلف الكواليس، عبر محترفين في انتقاء النجوم وتحويلهم إلى كائنات أسطورية.

وعبر الحملات الإعلانية الضخمة، وكافة وسائل الإبهار والتزييف، يصبح هؤلاء النجوم المثل الأعلى للأجيال الشابة حول العالم، ويتم تقديم نمط معيشتهم بأدق التفاصيل لجماهير المعجبين، إذ بات من الممكن –وعبر شبكة الانترنت- الإجابة عن أسئلة كثيرة حول أوضاعهم الاجتماعية، ومواعيد نومهم و استيقاظهم، وأطباقهم المفضلة، فضلا عن تفاصيل نعفّ عن خدش حياء القارئ الكريم بالتعرض لها!

ولعل المشكلة الكبرى في هذا السياق، هي أن هؤلاء النجوم ليسوا في الحقيقة أهلا لاعتلاء هذه القمم التي صعدوا إليها على أكتاف ملايين المعجبين المسحورين، فكثيرا ما تكون هذه الأوساط التي يعملون في دهاليزها ملأى بالفضائح ومواطن العار، إذ تفاجأ الملايين من معجبي نجم الروك آند رول الأمريكي "إلفيس بريسلي" بأنه كان مدمنا على المخدرات قبل أن يلقى حتفه في مقتبل العمر.

وإن كان ذلك قد حصل في الستينات من القرن الماضي، فإن الشعب الأمريكي اليوم بات يتقبل فضائح النجوم بشكل أكثر تحررا، ويرفعون من شأنهم ليتربعوا في أعلى المراكز الاجتماعية، وبذلك لا يشكل فوز نجم أفلام الحركة

"أرنولد شوارزنيغر" بمنصب حاكم ولاية كاليفورنيا - والتي يعتبر اقتصادها كولاية مستقلة في المرتبة السادسة أو الخامسة عالميا- أي مفاجأة، بالرغم من ذلك الكم الهائل من الفضائح الأخلاقية التي نشرها منافسوه عبر حملاتهم الدعائية، إذ يكفي مزج نجوميته الساحقة بثروته الطائلة، ليحصد أكثر من نصف أصوات الناخبين، ويصبح حاكم أغنى الولايات الأمريكية وأكثرها سكانا[١٢٨].

لقد أثرت هذه النظرة القاصرة للثقافة على مجمل المجالات الثقافية والفنية في العالم، ولا تقتصر أسباب ذلك على المنظور الأمريكي التجاري للثقافة، بل إن هذا المنظور ما كان ليجد طريقه إلى عقول الناس ما لم تكن البيئة الاجتماعية ملائمة لذلك، ويمكننا القول بأن الحرب العالمية الأولى، وما تلاها من انهيارات وتداعيات للأسس التي قامت عليها الحضارة الغربية، قد أثرت بوضوح على عقول الكثير من الأوروبيين والأمريكيين، والذين لم يجد الكثيرون منهم سبيلا للتعبير عن سخطهم وانعدام ثقتهم بمجتمعاتهم إلا بنقل أفكارهم الهاربة من جحيم الواقع المرعب إلى خيال واسع من العبث واللامعنى، فعندما أقامت فرنسا - على سبيل المثال- أول نصب للجندي المجهول، احتج الفنانون السوريواليون على ما اعتبروه نفاقا، وافتتحوا "مبولة" وسط باريس كرمز لانهيار الحضارة، في الوقت الذي قام فيه "ماليفيتش" بعرض لوحته: "مربع أبيض فوق خلفية بيضاء"![١٢٩]

وتلا ذلك عدد من الظواهر "الفنية" الأكثر طرافة، حتى أصبح الفن في أوروبا بابًا واسعا للعبث، حيث لم يعد مقتصرا على أصحاب المواهب الفذة، فهاهو "جاكسون بولوك" يصرّح بأنه يترك الدور الأكبر للصدفة، إذ كان عمله "الفني" يقتصر على صب الألوان على اللوحات المفروشة على الأرض ثم المشي عليها بعد انتعاله لأحذية مثقوبة! [١٣٠]، في الوقت الذي أرسل فيه "مارسيل دوشام" - عام ١٩١٧- "نافورة" إلى معرض الفنانين المستقلين في نيويورك، والتي لم تكن في الواقع إلا (مبولة)، بعد أن وقع عليها باسم مستعار "R.MUTT "، وعندما

رفض المعرض هذه "التحفة الفنية" ، برّر الرجل موقفه بأنه ليس بالضرورة للفنان أن ينجز عمله بيده، بل يكفي أن يختار أي عنصر جمالي من عناصر الحياة اليومية ثم إبرازه بشكل جديد، بعد الاستغناء عن وظيفته الأصلية. وقد مهد ذلك لظهور مدرسة جديدة للفن أسماها أصحابها "دادا" وهي كلمة تعني الحصان الخشبي الصغير![١٣١]

وهكذا يعترف الفنان الفرنسي بوفيه بأن "الجهل في الرسم قد أرسيت قواعده، وكلما كان الفنان جاهلا اعتبروه رائدا"، فيما يلخص أحد تجار اللوحات المعاصرين هذه القضية بقوله: "يجب أن نعلّم مقتني وجامعي اللوحات إلقاء اللوحة في صندوق القمامة حين تصبح قديمة، مثلها مثل السيارة أو الثلاجة، عندما تأتي لوحات أخرى جديدة لتحل محلها"[١٣٢]، مما لا يدع مجالا للشك بأن الفن قد تم تحويله، وبشكل كبير، إلى مجرد سلعة، يتحدد سعرها وفقاً للعرض والطلب، والأمر ذاته ينطبق على كافة مجالات الفنون والثقافة الأخرى.

ويذكر أن الولايات المتحدة كانت قد انسحبت من منظمة اليونسكو قبل عشرين عاما، في عهد الرئيس ريغان، احتجاجا على مواقف أمينها العام "مختار أمبو" والذي شن حملة واسعة على ما أسماه بالخلل في المنظومة الإعلامية الدولية، تزامنا مع صعود أصوات الكثير من المفكرين الغربيين منددين بالغزو الثقافي الذي تمارسه الولايات المتحدة على دول العالم وخاصة تلك النامية منها. وقد عادت الولايات المتحدة مؤخرا إلى المنظمة الدولية بإعلانها ـ وعلى لسان قرينة الرئيس الأمريكي "لورا بوش" ـ أن هذه المنظمة قادرة من خلال إرساء قيم التسامح ومحاربة الجهل على القضاء على الإرهاب في العالم! لتعطي بذلك دليلا واضحا على أن المفهوم الأمريكي للثقافة يقوم على تحقيق المصالح الذاتية دون أي شيء آخر.

صراعالثقافات:

مع انتهاء حقبة الحرب الباردة في مطلع التسعينات، وانهيار الكتلة الاشتراكية الشرقية، استأثرت الدول الرأسمالية الغربية - وعلى رأسها الولايات المتحدة-

بقيادة العالم، واختارت له نظاما شموليا أسمته بـ "النظام العالمي الجديد"، يرتكز في وجوده واستمراره على تقسيم جائر لخيرات ومقدرات العالم، تكون حصة الأسد فيه لخمس سكان المعمورة، بينما تقتات الأخماس الأربعة الأخرى على الفتات، فقط لكونها قد خلقت في عالم "الجنوب" حيث تسود مظاهر الجوع والفساد والحروب والنعرات الأهلية والطائفية، وغيرها، وكأنها قدر محتوم.

ولأجل تعليل هذا "القدر"، قام الباحث الأمريكي - الياباني الأصل- "فرانسيس فوكوياما" بوضع نظريته الشهيرة حول ما أسماه بنهاية التاريخ، معتبرا أن جدلية التاريخ تفرض على العالم الوصول إلى هذه النهاية المحتومة، حيث تنتصر الديمقراطية الغربية القائمة على الليبرالية المطلقة، وتنهار جميع الأيديولوجيات الأخرى لعدم مواءمتها لمتطلبات التطور الإنساني الذي وصلت إليه البشرية، وكأن البؤس الذي يرزح فيه ثلاثة أرباع سكان العالم ليس إلا نتيجة لعدم قدرتهم، أو عدم قابليتهم بالأحرى، لانتهاج النهج الحضاري الغربي الليبرالي.

وبعد ثبات فشل هذه النظرية على أرض الواقع خلال فترة قصيرة من ظهورها، تقدم "صاموئيل هنتنجتون" بنظريته الشهيرة "صراع الحضارات"، لسد الثغرات التي غفل عنها زميله، واعتبر أنه من الضروري للحضارة الغربية، لكي تحافظ على سيادة العالم، أن تقوم أولا بتصفية جميع خصومها، وعلى رأسهم بالطبع "الحضارة الإسلامية"[١٣٣].

ولكن هذه النظرية أيضا سرعان ما ثبت تهافتها الفكري وعدم واقعيتها، فهي ليست إلا نتيجة لتعصب قومي سياسي ، نظر له باحث استراتيجي أبعد ما يكون عن الإلمام بالحقائق العلمية المعروفة بالبداهة. فالحضارة الإنسانية - كما يقر المفكر السعودي تركي الحمد- ليست إلا كلا واحدا لا يتجزأ في جوهره، وهي عبارة عن تراكم علمي وثقافي للحضارات الإنسانية المتعاقبة، والتي تساعد كل منها في نقل التجارب والمعارف التي اقتبستها عن أسلافها من الحضارات الأخرى وقامت بتوطينها والإضافة إليها، ثم توريثها للحضارات التي تعقبها لاستمرار

المسار التصاعدي للحضارة البشرية.

وعليه فإن الصراع الذي كان ولا يزال قائما بين معظم الجماعات البشرية منذ فجر التاريخ الحضاري للإنسان وحتى اليوم، ليس إلا صراعا بين الثقافات، وهو مبني على التباين والتضاد بين القيم والمعتقدات التي تقوم عليها، والتي تمثل بمجموعها الوعي الجماعي الذي يعبر عن هوية هذا المجتمع أو ذاك، وهي كما نعلم خصوصية ذات قيمة عالية لدى الفرد والمجتمع، ومستمدة من الغريزة الإنسانية في التعبير عنها والدفاع عن وجودها واستمراريتها.[١٣٤]

والغريب في الأمر أن الصراع الثقافي لم يعد مقتصرًا فقط على ما هو قائم بين الدول النامية وتلك المتقدمة، بل بات الكثير من المثـقفين والسياسيين في الدول المتقدمة نفسها قلقون حيال الغزو الذي ينال من ثقافاتهم المحلية، فدولة غنية ومتقدمة مثل كندا، على سبيل المثال، لا تعدو أن تكون - وحسب تعبير أحد كبار مسؤوليها- سوى نملة صغيرة أمام الفيل الأمريكي الضخم، بينما يشير أحد الباحثين الكنديين إلى أن المواطن الكندي، وتحت تأثير المسلسلات والأفلام البوليسية الأمريكية، لم يعد قادرا على التمييز بين قوى الجندرمة الكندية والشرطة الفدرالية الأمريكية، بل إن مبادئ القضاء الكندي نفسه لم تعد واضحة أمام طغيان النظام القضائي الأمريكي، الذي بات حاضرا بشكل شبه يومي على الشاشات الكندية، مما يهدد بفقدان الهوية الكندية لدى المواطنين، وخاصة لدى فئات الشباب والمراهقين.[١٣٥]

وكذلك تعاني النمسا من عدم قدرتها على وضع سياسة اتصالية تعزز خصوصيتها الثقافية أمام الكم الهائل من المعلومات التي تقذف بها وسائل الإعلام الأجنبية، ويكاد الأمر ذاته يتكرر لدى دول أوربية أخرى مثل بلجيكا، هولندا، سويسرا، أسبانيا والبرتغال.

بينما أبدت الحكومة البريطانية تخوفها من تحول المشاهد البريطاني إلى البرامج الأوربية التي تطلقها (١٦) قناة أوربية مختلفة من بروكسل (عاصمة الاتحاد الأوربي) عبر قمر "استرا" مما يهدد ثقافة المواطن الإنكلوسكسونية.[١٣٦]

وأما في فرنسا، فالقلق الشعبي والرسمي على الثقافة الوطنية بات من أولويات هموم المواطن العادي، فبعد أن عبر الرئيس الفرنسي "ديستان"، في عام ١٩٧٦، عن قلقه إزاء تراجع الإنتاج التلفزيوني المحلي أمام المنافسة الأمريكية، بدأت التصريحات الرسمية والإعلامية بالتنديد بهذه الظاهرة، فكان أن حذّر مجلس الشيوخ من أخطارها في تقرير صدر له عام ١٩٧٩.

ثم بدأت بعض الصحف الفرنسية - منذ مطلع الثمانينات- بعرض سلسلة من المقالات حول الغزو الثقافي وأخطاره، كان من أهمها مقال رئيس تحرير "اللوموند" في العدد الصادر بتاريخ ١٩٨٠/٧/٤ تحت عنوان "حيث تنتصر أمريكا". كما باتت تصريحات وزير الثقافة الأسبق "جاك لانغ" مزعجة لدى بعض المسؤولين الأمريكيين لجرأتها البالغة، والتي مهدت لصدور العديد من الكتب التي تبحث في مستقبل الثقافة الفرنسية في ظل النظام العالمي الجديد الذي أعلنت الولايات المتحدة قيامه - في مطلع التسعينات- تحت قيادتها، وكان من أشهر هذه الكتب: كتاب "الحرب الثقافية" لـ"هنري جوبار"، و"فرنسا المستعمرة" لـ"جاك تيبو".[١٣٧]

ولعل من أكثر التصريحات وضوحا، ذلك الذي أطلقه وزير الخارجية الفرنسي الأسبق "كلوشيسون" مخاطبا نظراءه من العرب في مؤتمر أقيم في آذار عام ١٩٩٣ قال فيه: "إننا نحن، العرب والفرنسيين، نواجه مأزقا متشابها بفعل الأمريكيين، وما علينا إلا أن نوحد جهودنا لإيجاد حالة توازن وتعاون وانفتاح متزن، بدلا من التقوقّع أو الاستمرار فقط بالتذمر، وإنما يجب أخذ المبادرة قبل فوات الأوان".[١٣٨]

ونتساءل هنا: إن كانت هذه الدول الأوربية سالفة الذكر - والتي تشكل جزءا لا يتجزأ من الحضارة الغربية التي لا تجد ضيرًا في فرض ثقافتها على بقية شعوب العالم- وبكل ما تملكه من مقدرات ثقافية وحضارية وبشرية، تبدي كل منها تخوفها على ثقافتها المحلية، أمام غزو ثقافات الدول الصديقة التي تشاركها في نهجها الحضاري، فكيف يكون إذن حال دول العالم النامي؟ وكيف يمكن لهذه

الدول أن تدافع عن ثقافاتها الوطنية، مع انشغالها بهمومها التنموية، وديونها الخارجية، وصراعاتها من أجل البقاء؟

نستطيع اليوم أن نجزم بأن الدول النامية – أو ما يسمى بدول العالم الثالث- لم تعر ثقافاتها المحلية الكثير من الاهتمام خلال العقود الماضية ، لثـقل مهامها التنموية التي بدأت تنوء بحملها منذ الاستقلال، فضلا عن الصراعات الدموية التي عصفت بكثير منها، مما جعل من قضية أمنها الوطني في رأس أولوياتها.

وكانت حركة دول عدم الانحياز، التي تأسست عام ١٩٦١، قد جعلت من تحقيق توازن اقتصادي وسياسي يضمن لدول العالم الثالث حقوقها المشروعة، في عالم يحكمه الصراع بين الكتلتين العالميتين (الرأسمالية والشيوعية)، هدفا أساسيا طغى في البداية على كافة المجالات الأخرى، فلم يرد على سبيل المثال أي ذكر للتعاون الثقافي والعلمي بين هذه الدول، أو أي اتفاق دولي لحماية ثقافاتها الوطنية، في المؤتمر الأول للحركة في بلغراد.

ولكن التطور العالمي المذهل في مجالات العلم والتقنيات، وتزايد اعتماد الاقتصاد العالمي على منتجات التكنولوجيا الراقية، والانتشار السريع للثقافة الغربية في أنحاء العالم، مدفوعة بتفوقها الكبير في قطاع المعلومات والاتصالات وسيطرتها على الأقمار الصناعية التي تحيط بالعالم من كل جوانبه، جعل كل ذلك من قضية العلم والثقافة في الدول النامية أمرا بالغ الأهمية، مما دفعها لعقد الاجتماع الأول لخبراء التربية والثقافة والإعلام لدول عدم الانحياز في مكسيكو عام ١٩٨٢ - قبل انعقاد قمة دلهي لدول الحركة في عام ١٩٨٣- وذلك بهدف بحث سبل التعاون الثقافي فيما بينها، وحمايتها مما سمي بهواجس "استلاب الشخصية"، ولم يتردد حينها وزير الثقافة الفرنسي الأسبق "جاك لانغ" - الذي دعي إلى الاجتماع - في التنديد بما أسماه بالإمبريالية الثقافية الأمريكية[١٣٩].

ومع تزايد مخاوف الدول النامية من الغزو الثقافي الذي تطبقه الدول المتقدمة في عالم شديد التباين بين شماله وجنوبه، أعلن الأمين العام للأمم المتحدة - الأسبق- "خافيير بيريز ديكويلار" الفترة الواقعة بين عامي (١٩٨٨-٩٧) العقد

العالمي للتنمية الثقافية بالاشتراك مع مؤسسة العمل الثقافي الدولي المشترك (اليونسكو)، وقال في خطابه آنذاك: "إن مجهودات التنمية أخفقت لأن أهمية العنصر البشري، ذلك المزيج المعقد من العلاقات والمعتقدات و القيم والدوافع الذي يكمن في قلب الثقافة، لم يقدر حق قدره في كثير من مشروعات التنمية"[١٤٠]، وكأنه بهذا يشير إلى ذلك التناقض الواقع بين تبني كل من مقولتي التنمية الشاملة وحوار الثقافات، وبشكل مضمر.

ويتضح لنا هذا التناقض- وبعيدا عن التناقضات الفلسفية- مع الكشف عن تلك العلاقة التي لا يمكن تجاهلها بين التنمية الشاملة من جهة وقوانين العرض و الطلب وآليات السوق من جهة أخرى والتي باتت دستورا مقدسا يحكم علاقات البشر فيما بينهم سواء داخل المجتمع الواحد أو في منظومة العلاقات الدولية بأوسع أشكالها. وهو ما يتناقض بالضرورة مع الدعوات العالمية المتزايدة نحو إحلال حوار الثقافات - أو لنقل كما هو شائع- كبديل عن حوار القوى المتصارعة على المصالح.

وكان تقرير اللجنة العالمية للثقافة و التنمية التي ترأسها ديكويلار بنفسه عقب انتهاء مهمته شاهدا كبيرا على هذا التناقض، ودليلا على فشل عالم القرن العشرين الموغل في التحضر، في تجاوز تلك العقبات العنصرية و المذهبية التي طالما وقفت عائقا في وجه أي حوار أو تعاون بين الأمم منذ سطّـر الإنسان تاريخه المتخم بالصراع والحروب.

وقد عبر د. جابر عصفور عن ذلك واضحا في تصديره للترجمة العربية لهذا التقرير، والتي صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة في مصر بقوله: "ما من أمل في سلام البشرية ما ظلت حضارة من الحضارات أو ثقافة من الثقافات أو أمة من الأمم بدعوى أن الطبيعة والتاريخ ميزاها على غيرها بما لا يمتلكه سواها"[١٤١].

إن هذه الكلمات تلخص طبيعة ذلك "الحوار" الذي تفرضه العلاقات الدولية

اليوم في ظل العولمة وباختصار شديد، ويبدو أنها لا تحتاج إلى المزيد من التعليق.

الثقافة العربية الإسلامية وتحديات المرحلة

بالرغم من كل ما سبق ذكره من مظاهر الغزو الثقافي، الذي تتعرض لـه معظم شعوب العالم، والفقيرة منها والعربية- الإسلامية على وجه الخصوص، فإنه لا يزال هناك الكثير من المثقفين العرب يرفضون هذا الطرح جملة وتفصيلا، معتقدين أن هذا التوسع الثقافي الغربي -الأمريكي- إنما يتم وفق آليات السوق الحرة التي تسمح للجميع بالمنافسة، وأن هذا الشعور ليس إلا نتيجة لشيوع "نظرية المؤامرة" وسيطرتها على فكر المواطن العربي، الذي اعتاد على إلقاء اللوم على الآخرين، للتملص من عبء المسؤولية. كما يعتقد هؤلاء بأن ما أسميناه بالغزو الثقافي ليس موجها بطبيعة الحال إلى أمتنا العربية ـ الإسلامية دون غيرها، بل لا يعدو أن يكون نتاجًا تجاريا يعرض في كافة الأسواق العالمية، كما أن الأثر السلبي لهذا الناتج على المجتمعات الغربية نفسها، يعد في رأيهم دليلا كافيا لإثبات عدم وجود أي نية مسبقة لديهم في تقصد الإساءة إلى مجتمعاتنا أو ثقافتنا المحلية.

وبما أن مناقشة هذا الرأي خارج موضوع البحث، فإنه لا يسعنا - مهما كان موقفنا- إلا أن نقرّ بوجود تفاوت ثقافي كبير (فجوة) بين عالمنا العربي الإسلامي من جهة وبين العالم الغربي، وعلى رأسه الولايات المتحدة من جهة أخرى، وأن الغرب قد أحسن استغلال هذه الفجوة لصالحه، خلال السنوات الأربع الأخيرة بالذات، أمام ضعف وتخاذل عربي وإسلامي مذهل.

وعلى هذا، فإن مناقشة حقيقة وجود هذا الغزو الثقافي المتعمد وطبيعته، لم تعد ذات أهمية تذكر، أمام الشعور الطاغي بأن غبنًا كبيرًا قد لحق بأمتنا، وخصوصا بعد أن اتضح لنا الكثير مما كان مسكوتًا عنه قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حتى باتت دعوات مواجهة هذا الغزو شائعة اليوم بين كافة فئات المجتمع، من المثقفين وصناع القرار إلى عامة الناس وأقلهم ثقافة، وأصبح من الطبيعي أن تتعرض وسائل الإعلام العربية على اختلافها لهذا الموضوع،

مستعرضة آراء المثقفين والسياسيين الذين بات معظمهم يصرّ على أن الوقت قد حان بالفعل للتصرف حيال هذا الغزو - أو سمّه ما شئت- إلا أن المواطن العادي من حقه أيضا، والحال هذه، أن يقول: سمعنا جعجعة ولم نر طحنا. لقد بات من الواضح تماما أن هذا المواطن، المنتمي غالباً إلى أفراد الطبقة الوسطى، لم يعد معنيا بذلك القرار الذي ما زال مثقفونا بصدد البحث فيه، إذ أن هذه الأوساط المثقفة ما زالت تعاني من عزلتها المزمنة، وتشتكي من فقدها لقنوات الاتصال ووسائل الحوار الملائمة لعامة الناس، بل إن المثقف العربي لا يزال مصراً على الالتزام باغترابه الثقافي، ليضمن لنفسه الإبقاء على مسافة كافية تفصله عن العامة، وتحفظ له المكانة الاجتماعية المرموقة على قمة برجه العاجي.

أما وسائل إعلامنا العربية، والتي تتمثل أساسا بالقنوات الفضائية لغياب أو ضعف الوسائل الأخرى، فلم تبرح بعد مكانها الذي وجدت فيه، بل لا تزال في حيرة من أمرها حيال توفير المواد الإعلامية الكافية لشغل مدة البث التي تملأ ساعات اليوم والليلة كاملة، وهي غالبا ما تتم تعبئتها بهز الأرداف والأكتاف، أو بإغراق المشاهد بالإعلانات، أو بالبرامج والأفلام المستوردة أو المقلدة، والتي فرغنا للتو من محاولة إيضاح العلاقة بينها وبين أرباب الغزو الثقافي، فضلا عن برامج التسلية والمسابقات واستهلاك الوقت، والتي لا هم لها سوى استدراج المشاهد للمزيد من الاستهلاك عبر الإعلانات التجارية أو تسطيح مستواه الأخلاقي والفكري، لتكون بذلك شريكة في هذا الغزو بشكل أو بآخر، وربما دون أن تسيء النية.

إن الشباب العربي اليوم ـ بصرف النظر عن المستوى الثقافي الذي وصل إليه- ونتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية والتنموية في الكثير من الدول العربية، أو على الأقل لعدم إحرازها للتقدم المطلوب لمواكبة تحديات العصر، وتفاقم البطالة، بات يعاني من مشاعر الإحباط واليأس من الحملات الأجنبية-والتي غالبا ما تجد لها أصداء داخلية- والتي تتزامن مع الجمود الاجتماعي، والتراجع في

الحضور السياسي والثقافي على الساحة الدولية، الأمر الذي أدى بطبيعة الحال إلى ضياع الهوية الثقافية لهذه الفئات الشابة، وتصاعد مشاعر السخط على عموم الأوضاع المعيشية والاجتماعية السائدة. ومما يزيد الأمر سوءا ارتفاع وتيرة التوتر بين الداعين إلى ضرورة الإصلاح والتطوير من جهة وبين المناهضين لهذه الحركة بدعوى الحفاظ على الأصالة وقدسية التراث.

ولا شك في أن هذه العوامل مجتمعة قد تشكل لدى الكثير من الشباب دافعا قويا للنفور من كل ما يربطهم بتراثهم وعقيدتهم ووطنيتهم، على اعتبار أن هذه المفاهيم "التقليدية" تناقض توجههم التجديدي، وتدفعهم لتحميل مجتمعاتهم وظروف معيشتهم المسؤولية كاملة تجاه مشكلاتهم، ويدعمهم في ذلك كما هو واضح، التوجه العالمي المحموم لتعميم أنماط معيشية مخالفة تماما لما اعتادوا عليه.

وعلى الرغم من ذلك، تشكل الأسباب السالفة نفسها دوافع لاتخاذ مواقف مضادة تماما لتلك التي ذهب إليها سابقوهم، إذ يصبح ذلك الغزو الخارجي على رموز ثقافتهم ـ الغالية على قلوبهم- سببا مباشرا للتمسك بها، بل ويقوي إيمانهم بأن الخلاص من مشاكلهم المستعصية لا يتم إلا بالثورة على واقعهم المؤسف، لتغييره نحو الأفضل. ومما يزيد الأمر سوءا أن يسود لدى هؤلاء الشباب اعتقاد بأن جميع من حولهم متورط بشكل أو بآخر في عملية "المؤامرة" وأن الإصلاح والتغيير لا يتم إلا بشكل راديكالي وعنيف، إذ يعني الانتظار لديهم المزيد من الاستسلام والتخاذل.

ووفقا لهذه الآلية يبرز لدينا اتجاهان متناقضان، أحدهما موغل في انسياقه نحو الغرب، والآخر غارق في التطرف، وهنا تأتي وسائل الإعلام لتلتقط أصوات كل من الاتجاهين ـ كل حسب تعاطفه مع الآخر- وتحاول إخراجه إلى السطح مع كل وسائل الإبهار والجذب الجماهيري الضرورية، في الوقت الذي يخسر فيه المعتدلون (الوسط) المزيد من نقاط قوتهم – على الرغم من كونهم الأغلبية الساحقة- إذ لا يستبعد مع مرور الوقت أن يتسرب الكثير منهم إلى هذا الاتجاه

أو ذاك، حسب تصاعد صوته وخفوت الآخر، فيما لا يزال الغزو الخارجي، وعلى الرغم من كل ذلك، مستمرا.

أمام هذا الاستقصاء لواقعنا العربي والإسلامي، فإن محاولة إيجاد حل سليم وناجح لا يتم إلا بوضع اليد أولا على مشكلاتنا الداخلية، ثم محاولة إبراز التوجه المعتدل كحل وسط لكافة المشاكل الداخلية والخارجية على السواء. وهذا لا يتم بالطبع اعتمادا على جهود الحكومات أو المنظمات فقط، وإنما بالإيمان الشعبي الواسع والقناعة التامة بأهمية الاعتدال والوسطية كمنهج علمي وعملي سليم لإخراج المجتمع من أزمته الخانقة، كخطوة أولى على طريق المواجهة.

حينها تعود مسألة التصدي لهذا الغزو أمرا طبيعيا تفرضه الظروف المعيشة، إذ أن الفرد الذي يجد في هويته الثقافية والدينية والاجتماعية، ما يعزز أصالته ويحفظ له كرامته ـ على الصعيدين الفردي والاجتماعي- سيكون مؤهلا بالتأكيد لمواجهة هذا الغزو، معتمدا على ذاته ومدافعا عن قناعاته، دون أن ينتظر من الآخرين الاقتناع بصحة موقفه والوقوف إلى جانبه، ودون أن يسارع أيضا إلى دفعهم للتعاطف معه بأي وسيلة كانت.

وأخيرا فإن العولمة واقع لا يجدي معه أسلوب الرفض، بل هي تيار بدأ بالاقتصاد وامتد إلى السياسة والثقافة، وأصبح حقيقة نعيشها كل يوم، فلا يسعنا والحال هذه أن نعتقد بأن تضييق الخناق على قنوات الوصل بين ثقافتنا وأي ثقافة أخرى وافدة سيكون حلا ناجعا، فلم يعد هناك مجال بعد اليوم للانعزال والتقوقع، كما لا يصح في المقابل إطلاق العنان لكل ما هو وارد بعُجره وبُجره بدعوى الانفتاح والتحرر. فالشباب العربي اليوم يتوقع منا تقديم البديل الملائم لكافة رموز الثقافة الأجنبية التي يحرم منها، ولا نعتقد أن عقول الشباب عاجزة عن إبداع هذا البديل في حال توفر البيئة الملائمة، وذلك ضمن حدود الشريعة الإسلامية، وأعراف المجتمع الشرقي وأخلاقياته.

ومن الضروري مواجهة تلك التحديات من خلال العديد من الأساليب منها

الأول: التأكيد على أهمية تزويد الطلاب بالمعرفة والوعي اللازمين لتمثل عطاء ثقافتهم القومية وتراثهم المشترك، وإدراك جوهر تلك الثقافة وقيمها الروحية ومدلولها الحضاري ومعانى وثمرات التواصل بينها وبين ثقافات العالم.

الثاني: العمل على مسايرة المعلوماتية في مناحي المنظومة التربوية.

الثالث: بناء النظام التربوي المرن في أبنيته ومراحله وأنواعه وسنوات الدراسة فيه وأعمار المنتسبين إليه ومناهجه وتقنياته وسائر مقوماته.

الرابع: تجديد التربية تجديدا دائما عن طريق التربية المستمرة.

الخامس: العناية بتربية الإبداع والتعلم الذاتي في مؤسساتنا والتركيز على كيفية التفكير.

السابع : العناية بالمعلم إعداداً وتدريباً.

الباب الثالث

الدراسة التحليلية الثالثة

قراءة لمشروعات مستقبلية لإصلاح التعليم

الفصل الثامن: أهمية الدراسات المستقبلية في صنع المستقبل

مقدمة: (اصنع مستقبلك قبل أن يصنعه لك الآخرون)

إن الأمم القوية هي الأمم المدركة لما يحيط بها من تغيرات، والواعية بما يزخر به العالم من تناقضات وصراعات، وهي بالتالي الأمم التي تسعى لصنع مستقبلها، أو على الأقل تسعى للمشاركة بفعالية فى صنعه. أما الأمم الضعيفة فهي الأمم الغافلة عما يجري حولها، والتي تترك مستقبلها للمصادفات أو لأطماع الآخرين. فعندما لا تبادر الأمة إلى صنع مستقبلها، ينشأ فراغ. ومن طبيعة الأشياء أن يسارع أصحاب المصلحة إلى ملء هذا الفراغ. ومن ثم فإنهم سيصنعون لتلك الأمة مستقبلها، ولكن على هواهم وحسبما تقضي به مصالحهم.

إذا أردنا أن نشارك بفاعلية في صنع مستقبلنا، علينا إذن أن نمتلك الخريطة الواضحة لهذا العالم الجديد، وأن نمتلك البوصلة التي نهتدى بها في التعرف على الطريق إلى المستقبل الذي نريده - وهو ما يفترض ضمنا تحديد ملامح هذا المستقبل المرغوب فيه من جانبنا. وهنا يصبح السؤال: وما الطريق إلى امتلاك تلك الخريطة وتلك البوصلة، وما السبيل إلى اختيار الطريق الذي يفضي إلى المستقبل الذي نطمح إليه، وكيف يمكن اكتشاف ملامح هذا المستقبل المنشود. والجواب عن كل هذه الأسئلة يكمن في عبارة واحدة: الدراسات المستقبلية، أو بحوث استشراف المستقبل.

الدراسات المستقبلية حتمية

وقبل أن نتناول بالتفصيل أهداف الدراسات المستقبلية، من المهم إدراك أمرين أساسيين فيما يتعلق بهذه النوعية من الدراسات: أولهما، أن الدراسات المستقبلية باتت من الحتميات، أي أنها صارت دراسات ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها. وهى لا تجرى (كما كان يظن في فترة سابقة) من باب الرفاهية الثقافية أو التسلية الذهنية في الدول الغنية وحدها. بل إنها ضرورية للدول كافة على اختلاف حظوظها من الغنى أو الفقر، ومن التقدم أو التخلف، وذلك لما سبق إيضاحه من اعتبارات متصلة بالعالم الجديد وما يحفل به من تغير سريع واضطراب شديد ولا يقين متزايد، فضلا عن أهميتها لترشيد عملية صناعة القرارات.

إن الدراسات المستقبلية تشهد نموا متسارعا في الدول المتقدمة التي تصنع العلم وتنتج التكنولوجيا، فضلا عن امتلاكها أسباب التقدم الاقتصادي والقوة العسكرية. كما أن الدول الرائدة في هذا النوع من الدراسات ليست من دول التخطيط المركزي، بل هي دول رأسمالية تسير على نظام اقتصاد السوق مع درجات متفاوتة من التدخل والتوجيه الحكومي. ويندر أن تجد دولة رأسمالية متقدمة لا تستند إلى دراسات لاستشراف المستقبل في صنع قراراتها الاقتصادية أو السياسية أو العسكرية. كما يندر أن تجد شركة كبرى، وبخاصة إذا كانت تنتمي إلى فصيلة الشركات متعددة أو متعدية الجنسيات، لا يشتمل بنيانها التنظيمي على مركز أو قسم للدراسات المستقبلية والتخطيط الإستراتيجي. وإذا كان الأمر كذلك عند الأقوياء والمتقدمين من الدول والشركات الكبرى، فإن الدول

النامية التي لم تزل تسعى إلى بناء نفسها وتنمية اقتصادها والعثور على موقع أفضل لها على خريطة تقسيم العمل الدولي في حاجة أشد إلى القيام بالدراسات المستقبلية، لاسيما إذا كانت من الدول ذات الموقع الاستراتيجي المتميز أو المكانة السياسية البارزة التي تجعلها مستهدفة من جانب القوى الكبرى في العالم، فيحاولون التأثير على قراراتها وتوجهاتها ومستقبلها.

الدراسات المستقبلية حقل من حقول المعرفة الجادة والعلم النافع

أما الأمر الثاني الذي يتعين إدراكه في شأن الدراسات المستقبلية، فهو أن هذه الدراسات، وإن كانت تتطلب بالضرورة قدرا من الخيال والقدرة الذاتية على التصور المسبق لما هو غير موجود أو غير معروف الآن، إلا أن أنشطتها تختلف نوعيا عن الأنشطة التي تقع في حقل الخيال العلمي أو في ميدان التنجيم والرجم بالغيب. فما يطلق عليه اليوم الدراسات المستقبلية إنما يتمثل - على العموم - في دراسات جادة تقوم على مناهج بحث وأدوات درس وفحص مقننة أو شبه مقننة، وتحظى بقدر عالٍ من الاحترام في الأوساط العلمية، وتنهض بها معاهد ومراكز بحثية وجمعيات علمية ذات سمعة راقية(١٤٢). بل إن هذه الدراسات قد بلغت من النمو والرقي حدا يسمح بالحديث عن بروز علم اجتماعي جديد هو علم المستقبليات. فالأمر جدٌّ لا هزل فيه، وعلى من يريد الخوض فيه أن يتخذ له ما يلزم من عدة وعتاد.

والآن نعود إلى أهداف الدراسات المستقبلية أو استشراف المستقبل. وهنا أسارع إلى القول بأن الهدف المباشر للدراسات المستقبلية ليس التخطيط أو وضع الاستراتيجيات، وإن كانت هذه الدراسات تفيد دون شك في إعداد العدة لوضع الخطط أو رسم الاستراتيجيات. إذ أنها توفر لأهل التخطيط والاستراتيجيات جانبا مهما من القاعدة المعرفية التي تلزم لصياغة الاستراتيجيات ورسم الخطط. فكل عمل تخطيطي جاد غالبا ما يكون مسبوقا بنوع ما وبقدر ما من العمل الاستشرافي (طرح بدائل أولية غالبا لمعدلات مختلفة للنمو والتراكم). ولكن شتان بين أن يأتي العمل الاستشرافي كمقدمة سريعة للعمل التخطيطي، وبين أن تتاح الفرصة لكي ينمو كعمل قائم بذاته، يأخذ وقته اللازم ويستعمل المنهجيات المتعارف عليها، وتستوفى مقوماته التي سنعرض لها فيما

بعد.

كذلك ليس الهدف من الدراسات المستقبلية هو الإنباء بالمستقبل، بمعنى تقديم نبوءات، أي تنبؤات غير شرطية وغير احتمالية بالأحداث المستقبلية. فكل ما تقدمه الدراسات المستقبلية من مقولات حول المستقبل إنما هي مقولات شرطية واحتمالية. ولذا تتعدد المقولات أو الرؤى أو السيناريوهات المستقبلية التي يقدمها الاستشراف، نظرا لتعدد الشروط والاحتمالات التي تحيط بالحدث أو الأحداث المستقبلية موضع الاهتمام. وهذا الوضع ناشئ بطبيعة الحال مما تتسم به الأحداث المستقبلية من "لا يقينية". ولا شك أن ما يتوصل إليه الاستشراف من سيناريوهات بديلة هو جزء مهم من أجزاء القاعدة المعرفية اللازمة للمخطط، لاسيما إذا كان بصدد وضع خطط للمدى المتوسط أو الطويل، وإن كانت هذه السيناريوهات البديلة لا تشكل في حد ذاتها خططاً بالمعنى المتعارف عليه في دوائر التخطيط وصنع القرارات.

أغراض الدراسات المستقبلية

ما الهدف الرئيسي للدراسات المستقبلية إذن؟ يمكن أن نقول بصفة عامة أن غاية الدراسة المستقبلية هو توفير إطار زمني طويل المدى لما قد نتخذه من قرارات اليوم. ومن ثم العمل، لا على هدى الماضي، ولا بأسلوب "من اليد إلى الفم" وتدبير أمور المعاش يوما بيوم، ولا بأسلوب إطفاء الحرائق بعد ما تقع، بل العمل وفق نظرة طويلة المدى وبأفق زمني طويل نسبيا. فهذا أمر تمليه سرعة التغير وتزايد التعقد وتنامى "اللايقيني" في كل ما يحيط بنا، وذلك فضلا عن اعتبارات متصلة بالتنمية والخروج من التخلف سنوضحها لاحقا.

من جهة أخرى، فإن ما تتيحه الدراسات المستقبلية من إضفاء طابع مستقبلي طويل المدى على تفكيرنا، إنما هو علامة مهمة من علامات النضج العقلي والرشادة في اتخاذ القرارات. ذلك أن ما نتخذه من قرارات اليوم، وما نقوم به من تصرفات في الحاضر سوف يؤثر بصورة أو بأخرى على مستقبلنا ومستقبل أبنائنا من بعدنا. وإذا أردنا لهذا المستقبل أن يكون مقبولا من وجهة نظرنا، فعلينا أن نتخذ قراراتنا اليوم آخذين في الاعتبار النتائج والتداعيات المحتملة لهذه القرارات على مدى زمني طويل، وليس فقط على المدى القصير أو

المتوسط. وهنا تساعدنا الدراسات المستقبلية في استطلاع هذه النتائج والتداعيات على المسارات المستقبلية. فإذا كانت النتائج والتداعيات تسهم في تشكيل المستقبل المرغوب فيه، فبها ونعمت. وإذا لم تكن تسهم في ذلك، فإننا نسعى لتعديل هذه القرارات حتى تأتي نتائجها وتداعياتها متوافقة مع المستقبل الذي نريده. وإذا تم ذلك، فإننا نكون قد شاركنا بشكل إيجابي في صنع المستقبلي، بدلا من أن ننتظر في سلبية مستقبلا تأتي به المقادير، أيا كانت صورته، أو بدلا من أن نقنع بالتواؤم أو التكيف مع ما قد يقع من أحداث مستقبلية. فالدراسات المستقبلية تساعدنا على التحكم في المستقبل، وجعْله أفضل بدرجة ما مما لو كنا قد قعدنا بانتظار وقوع هذا المستقبل وأهملنا التفكير في مساراته البديلة المحتملة الوقوع.

وبشكل أكثر تحديدا، يمكن القول أن الدراسات الاستشرافية للمستقبل تساعدنا على صنع مستقبل أفضل، وذلك بفضل ما تؤمنه من منافع متعددة، من أهمها ما يلي:

(١) اكتشاف المشكلات قبل وقوعها، ومن ثم التهيؤ لمواجهتها أو حتى لقطع الطريق عليها والحيلولة دون وقوعها. وبذلك تؤدي الدراسات المستقبلية وظائف الإنذار المبكر، والاستعداد المبكر للمستقبل، والتأهل للتحكم فيه، أو على الأقل للمشاركة في صنعه.

(٢) إعادة اكتشاف أنفسنا ومواردنا وطاقاتنا، وبخاصة ما هو كامن منها، والذي يمكن أن يتحول بفضل العلم إلى موارد وطاقات فعلية. وهذا بدوره يساعد على اكتشاف مسارات جديدة يمكن أن تحقق لنا ما نصبوا إليه من تنمية شاملة سريعة ومتواصلة. ومن خلال عمليات الاكتشافات وإعادة الاكتشاف هذه، تسترد الأمة الساعية للتنمية الثقة بنفسها، وتستجمع قواها وتعبئ طاقاتها لمواجهة تحديات المستقبل.

(٣) بلورة الاختيارات الممكنة والمتاحة وترشيد عملية المفاضلة بينها. وذلك بإخضاع كل اختيار منها للدرس والفحص، بقصد استطلاع ما يمكن أن يؤدي إليه من تداعيات، وما يمكن أن يسفر عنه من نتائج. ويترتب على ذلك المساعدة في توفير قاعدة معرفية يمكن للناس أن يحددوا

اختياراتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ضوئها، وذلك بدلا من الاكتفاء - كما هو حاصل حاليا - بالمجادلات الأيديولوجية والمنازعات السياسية التي تختلط فيها الأسباب بالنتائج، ويصعب فيها تمييز ما هو موضوعي مما هو ذاتي.

وإذا سار الأمر على هذا النحو، فإن الدراسات المستقبلية تسهم في ترشيد عمليات التخطيط واتخاذ القرارات من بابين: الباب الأول هو باب توفير قاعدة معلومات مستقبلية للمخطط وصانع القرار، أي توفير معلومات حول البدائل الممكنة وتداعيات كل منها عبر الزمن، ونتائج كل منها عند نقطة زمنية محددة في المستقبل. والباب الثاني هو باب ترشيد ما يجب أن يسبق عملية اتخاذ القرارات بشأن الخطط والسياسات من حوار وطني على مستوى النخب وعلى مستوى الجماهير بقصد بلورة القضايا وبيان الاختيارات الممكنة، وما ينطوي عليه كل اختيار من مزايا أو منافع ومن أعباء أو تضحيات. إذ تؤمن التنبؤات المشروطة التي تقدمها الدراسات المستقبلية فرصا أوسع للاتفاق أو للاختلاف على أسس واضحة. كما أنها تمكن من المساعدة في حسم بعض أوجه الخلاف من خلال إعادة صياغة "الشروط الابتدائية" لبعض أو كل البدائل محل النقاش، وإعادة التحليل والحسابات في ضوء الشروط المعدلة، ومن ثم الدخول في دورات نقاش متتابعة لتقريب وجهات النظر والتراضي على اختيار محدد.

ومثل هذا الأسلوب في اتخاذ القرارات بمشاركة شعبية واسعة يمثل نقلة نوعية كبرى في طبيعة الحوارات الوطنية التي كثيرا ما تفتقر إلى "الحوار" حقيقة، وغالبا ما تكون مقصورة على تسجيل المواقف أو تبادل الاتهامات. ولو سمح للدراسات المستقبلية بأن تؤدي مثل هذا الدور في "تنوير" و"تفعيل" المناقشات حول القرارات الوطنية، فإن الحوار الوطني سوف يكتسب حينئذ الكثير من السمات الحميدة للنقاش العلمي الذي عادة ما تكون مصادر الخلاف فيه واضحة، والذي يمكن فيه التوصل إلى حلول عملية من خلال دورات متعددة للتصحيح المتتابع أو الاقتراب التدريجي من الحل الصحيح iterations or successive approximations

مهام الدراسات المستقبلية

تحقق الدراسات المستقبلية ما أشرنا إليه من أغراض من خلال إنجاز عدد من المهام المحددة. وقد يكون من المناسب أن نبدأ بالتعريف الذي قدمه أحد أعلام الدراسات المستقبلية "ويندل بيل" للمهام التي ينشغل بها حقل الدراسات المستقبلية، وهي: "اكتشاف أو ابتكار، وفحص وتقييم، واقتراح مستقبلات ممكنة أو محتملة أو مفضلة ". وبشكل أكثر تحديدا، يذكر "بيل" تسع مهام محددة للدراسات المستقبلية، وهي:(١٤٣)

(١) إعمال الفكر والخيال فى دراسة مستقبلات ممكنة possible futures ، أي بغض النظر عما إذا كان احتمال وقوعها كبيرا أو صغيرا؛ وهو ما يؤدي إلى توسيع نطاق الخيارات البشرية.

(٢) دراسة مستقبلات محتملة probable futures ، أي التركيز على فحص وتقييم المستقبلات الأكبر احتمالا للحدوث خلال أفق زمني معلوم، وفق شروط محددة (مثلا بافتراض استمرار التوجهات الحالية للنظام الاجتماعي - السياسي، أو بافتراض تغييره على نحو أو آخر). وغالبا ما تسفر هذه الدراسة عن سيناريوهات متعددة.

(٣) دراسة صور المستقبل images of the future ، أي البحث في طبيعة الأوضاع المستقبلية المتخيلة وتحليل محتواها، ودراسة أسبابها وتقييم نتائجها. وذلك باعتبار تصورات الناس حول المستقبل تؤثر فيما يتخذونه من قرارات في الوقت الحاضر، سواء من أجل التكيف مع تلك التصورات عندما تقع، أو من أجل تحويل هذه التصورات إلى واقع.

(٤) دراسة الأسس المعرفية للدراسات المستقبلية، أي تقديم أساس فلسفي للمعرفة التي تنتجها الدراسات المستقبلية، والاجتهاد في تطوير مناهج وأدوات البحث في المستقبل.

(٥) دراسة الأسس الأخلاقية للدراسات المستقبلية. وهذا أمر متصل بالجانب الاستهدافي للدراسات المستقبلية، ألا وهو استطلاع المستقبل أو المستقبلات المرغوب فيها. إذ إن تحديد ما هو

مرغوب فيه يستند بالضرورة إلى أفكار الناس عن "معنى الحياة" وعن "المجتمع الجيد"، وعن "العدل" وغير ذلك من المفاهيم الأخلاقية والقيم الإنسانية.

(٦) تفسير الماضي وتوجيه الحاضر. فالماضي له تأثير على الحاضر وعلى المستقبل، والكثير من الأمور تتوقف على كيفية قراءة وإعادة قراءة الماضي. كما أن النسبة الكبرى من دارسي المستقبل يعتبرون أن أحد أغراضهم الأساسية هو تغيير الحاضر وما يتخذ فيه من قرارات وتصرفات لها تأثيرها على تشكيل المستقبل.

(٧) إحداث التكامل بين المعارف المتنوعة والقيم المختلفة من أجل حسن تصميم الفعل الاجتماعي. ذلك أن معظم المعارف التي يستخدمها دارسو المستقبل من أجل التوصية بقرار أو تصرف ما هي معارف تنتمي إلى علوم ومجالات بحث متعددة لها خبراؤها والمتخصصون فيها. ولذلك يطلق على الدارسات المستقبلية وصف الدراسات التكاملية integrative أو الدراسات العابرة للتخصصات transdisciplinary. ولما كانت التوصية بفعل اجتماعي ما لا تقوم على المعارف العلمية وحدها، برغم أهميتها، بل يلزم أن تستدعي قيما أو معايير أخلاقية معنية، فإن على الدراسة المستقبلية أن تزاوج بين المعرفة العلمية والقيم.

(٨) زيادة المشاركة الديمقراطية في تصور وتصميم المستقبل، أو مقرطة التفكير المستقبلي والتصرفات ذات التوجهات المستقبلية، وإفساح المجال لعموم الناس للاشتراك في اقتراح وتقييم الصور البديلة للمستقبل الذي سيؤثر في حياتهم وحياة خلفهم.

(٩) تبني صورة مستقبلية مفضلة والترويج لها، وذلك باعتبار ذلك خطوة ضرورية نحو تحويل هذه الصورة المستقبلية إلى واقع. ويتصل بذلك تبني أفعال اجتماعية معينة من أجل قطع الطريق على الصور المستقبلية غير المرغوب فيها، والحيلولة دون

وقوعها.

وينبغي الانتباه إلى أمرين بشأن المهام التسع السابقة:

(I) أنها مهام لحقل الدراسات المستقبلية أو علم المستقبليات في مجموعة. ومن ثم فليس من المتعين على أي دراسة مستقبلية أن تنهض بهذه المهام التسع جميعا. فلها أن تختار منها ما يناسبها في ضوء تصور القائمين عليها لمهامها.

فالدراسة المستقبلية التي تجري لشركة ما قد لا تتطلب النهوض بالمهمة (٨) المتعلقة بزيادة المشاركة الديمقراطية في تصور وتصميم المستقبل. كما أن المهمتين بالمهمتين: (٤) و(٥) المتعلقتين بدراسة الأسس المعرفية والأخلاقية للدراسات المستقبلية قد يختص بهما فريق أو أكثر من دارسي المستقبليات، وليس حتما أن ينشغل بهما كل من يكلف بإجراء دراسة مستقبلية لشركة أو إقليم أو بلد ما. فالقيام بمثل هذه المهام "فرض كفاية"، لا "فرض عين"، يكفي أن ينهض به المعنيون بفلسفة علم المستقبليات ومناهجه، ولا يلزم أن يقوم به كل مشتغل بالدراسات المستقبلية.

(II) أن هذه المهام ليست جميعا محل اتفاق بين دارسي المستقبل. ومن أكثر الأمور مدعاة للجدل الرسالة الاستهدافية normative للدراسات المستقبلية المتضمنة في البحث عن مستقبلات "مفضلة"، وفي تبني صور مستقبلية "مرغوب فيها" والترويج لها.

فمن الباحثين في المستقبل من يقنع باستطلاع مسارات التطور المستقبلي البديلة التي يرتبط كل منها بمجموعة من الشروط الابتدائية، ويكتفي بتحليل الصور المستقبلية التي ينتهي إليها كل مسار، مبينا ما تنطوي عليه من مزايا ومثالب، تاركا مهمة التفضيل والاختيار لمتخذ القرار ولعموم الناس الذين يعنيهم الأمر. ومن الباحثين من يرى ضرورة استكمال البحث المستقبلي بالمفاضلة بين السيناريوهات أو الصور المستقبلية البديلة وترجيح صورة منها، كنوع من التوصية لمتخذ القرار والتوجيه للرأي العام. ومنهم من يرى السير أبعد من ذلك بالترويج بسبل مختلفة للصورة المستقبلية المرغوب فيها، والدفع في اتجاه فعل اجتماعي يعمل على تحقيقها. وأخيرا - وليس آخرا - قد يرى بعض

الباحثين التركيز ابتداءً على صورة مستقبلية مرغوب فيها، واستطلاع أفضل السبل أو المسارات التي تؤدي إليها انطلاقا من الوضع الراهن .إذن ثمة مجال رحب لتحديد وتكييف مهام أية دراسة مستقبلية بالاختيار من قائمة المهام التسع المذكورة أعلاه، والتركيز على مهمة أو أخرى بدرجة أكبر حتى ضمن المجموعة الصغرى من المهام المختارة.

منهجيات وأدوات الدراسات المستقبلية

ثمة مجموعة من الخصائص المنهجية المرغوب في توافرها في الدراسات الاستشرافية الجيدة. ومن أبرز هذه الخصائص ما يلي:

١) الشمول والنظرة الكلية holistic للأمور . فليس من السهل الحديث عن دراسة مستقبلية للاقتصاد المصري مثلا في غياب رؤية مستقبلية للأوضاع السياسية، ولحالة العلم والتكنولوجيا، ولأوضاع السكان والموارد والبيئة، وللتغيرات في المحيط الإقليمي والإطار العالمي. ومن المهم أن تدرس العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية... إلخ في تشابكها وتفاعلها مع بعضها البعض، حتى تتوافر رؤية شاملة ومتكاملة لمستقبل هذا الاقتصاد.

٢) مراعاة التعقد complexity أي تفادى الإفراط في التبسيط والتجريد للظواهر المدروسة، والتعمق في فهم ما يزخر به الواقع من علاقات وتشابكات، ولا يقين، وديناميةٍ. وهو ما يتطلب النظر إلى الظاهرة المركبة في مجملها من خلال منهج عابر للتخصصات transdisciplinary ، حيث لا يجدي "التفكيك" وفهم كيفية عمل كل جزء من أجزاء الظاهرة على حدة في الخروج بصورة صحيحة عن سلوك مثل هذه الظاهرة، حتى لو تضمن ذلك اللجوء إلى حقول معرفية متعددة.

٣) القراءة الجيدة للماضي باتجاهاته العامة السائدة، وكذلك التعرف على الاتجاهات الأخرى الراهنة، لاسيما الاتجاهات البازغة والاتجاهات المضادة للاتجاه العام السائد، حيث كثيرا ما تشكل الأخيرة مفاتيح جيدة لفهم الاتجاهات المحتملة في المستقبل. ومن جهة أخرى تشتمل القراءة الجيدة للماضي على القراءة الجيدة لتجارب الآخرين وخبراتهم، واستخلاص دروس منها قد تفيد (بمنطق المحاكاة) في فهم آليات التطور

وتتابع المراحل، وكذلك في التعرف على القيود على الحركة وإمكانات تجاوزها.

٤) المزج بين الأساليب الكيفية والأساليب الكمية فى العمل المستقبلي، حيث يندر أن تفي الأساليب الكيفية وحدها أو الأساليب الكمية وحدها بمتطلبات إنتاج دراسة مستقبلية جيدة. ومن جهة أخرى، ثبت أن تعدد الأساليب المستخدمة في دراسة ظاهرة ما والمزج بين نتائجها، كثيرا ما يؤدي إلى نتيجة أفضل مما لو جرى الاعتماد على أسلوب واحد. وعموما يتيح المزج بين أساليب متعددة - كيفية وكمية - تجاوز قصور النظريات والنماذج التي تبنى عليها عن طريق اللجوء إلى أساليب كيفية لمحاكاة الواقع بتفاصيله وتعقيداته الكثيرة، وللتعرف على ردود الفعل المحتملة لبعض التصرفات من جانب الفاعلين في النسق محل الدراسة.

٥) الحيادية والعلمية لما كان المستقبل يدرس من خلال بدائل متنوعة، يمثل كل منها سيناريو أو مسارا مستقبليا يتوافق مثلا مع رؤية أو مصالح هذه القوة الاجتماعية - السياسية أو تلك في المجتمع، فإن على دارس المستقبلات البديلة أن يتحلى بدرجة عالية من الحيادية والعلمية - أولا - في التعرف على البدائل، وعدم استبعاد بدائل معينة لمجرد رفض الدارس لمنطلقاتها أو ادعاءاتها ، و- ثانيا - في تحليل هذه الادعاءات، واستكشاف تداعياتها، وتقييم ما لها وما عليها وفق مجموعة معايير متفق عليها سلفا.

٦) عمل الفريق والإبداع الجماعي وهو ما يعني إنجاز الدراسة المستقبلية عن طريق فريق عمل متفاهم ومتعاون ومتكامل. فذلك أمر تفرضه طبيعة الدراسات المستقبلية التي تعتمد على معارف مستمدة من علوم متعددة، والتي تستوجب دمج هذه المعارف وفق منظور أو إطار عابر للتخصصات. كما أن الجماعية مفيدة للوصول إلى تصورات وتنظيرات وحلول جديدة للمشكلات، وذلك من خلال ما تتيحه من مواجهات بين المناهج والرؤى المختلفة لأعضاء فريق العمل.

٧) التعلم الذاتي والتصحيح المتتابع للتحليلات والنتائج . فالدراسة المستقبلية لا تنجز دفعة واحدة (one-shot exercise) . بل إنها عملية

متعددة المراحل يتم فيها إنضاج التحليلات وتعميق الفهم وتدقيق النتائج من خلال دورات متتابعة للتعلم الذاتي والنقد الذاتي، وتلقّي تصورات أطراف وقوى مختلفة وانتقاداتهم واقتراحاتهم، والتفاعل معها من خلال اللقاءات المباشرة والأدوات غير المباشرة لإشراك الناس في تصور وتصميم المستقبلات. وكلما تكررت عمليات التفاعل والنقد والتقييم والاستجابة لها بالتعديل والتطوير في التحليلات والنتائج، زادت فرص الخروج بدراسة مستقبلية راقية، لاسيما من زاوية ارتباطها بالواقع الاجتماعي، وزادت معها فرص تأثير الدراسة في الفعل الاجتماعي.

تعدد طرق البحث في المستقبل

وبطبيعة الحال فإن هذه الخصائص المنهجية المثالية لا يمكن أن تتأتى باتباع منهج بذاته أو أسلوب بعينه. بل إن إحدى هذه الخصائص (الخاصية ٤ أعلاه) يفترض الجمع بين أساليب متعددة. وهذا التعدد في الأساليب حقيقة واقعة، توضحها الكتابات حول طرق الدراسات المستقبلية، كما يوضحها استعراض أهم الدراسات المستقبلية المتاحة عالميا وإقليميا وقطريا. وهو تعدّد يثري مجال البحث في استشراف المستقبل، ويتيح فرصا واسعة للاختيار المنهجي بما يتواءم مع احتياجات كل بحث مستقبلي وأهدافه المحددة.

أصل الطرق، ووظائفها والعلاقة فيما بينها

وكما سيتضح حالا فإن معظم الأساليب التي يستخدمها دارسو المستقبلات هي أساليب مقترضة من مجالات وحقول معرفية أخرى، كالإحصاء والاقتصاد والسياسة والعسكرية والاجتماع والهندسة وغيرها، والقليل منها هو الذي صمم أساسا للدراسات المستقبلية أو توصل إليه باحثون في المستقبليات مثل أسلوب دلفى (Delphi Method) وأسلوب البحث المستقبلي الاثنوجرافي (ethnographic futures research). لاحظ أن بعض ما يصنف عادة على أنه من طرق الدراسات المستقبلية قد لا يؤدي بذاته إلى تنبؤات مشروطة أو رسم صور مستقبلية، بل إنه قد يكون مفيدا في إنجاز بعض المراحل الوسيطة التي تخدم عملية استشراف المستقبل. ومن أمثلة هذه الطرق طرق تحليل المضمون content analysis ، وطرق المتابعة أو تتبع الظواهر monitoring ، وطريقة الاستثارة الفكرية brain

storming .لاحظ أيضاً أن بعض الطرق المذكورة فيما بعد قد تتكامل فيما بينها، ولا تتنافس على تقديم تنبؤات أو صور مستقبلية بديلة. فكتابة السيناريوهات مثلا قد تتم باستخدام الطرق التشاركية مثل ورشات العمل المستقبلي بالمشاركة participatory futures workshops ، وطريقة تحليل الآثار المقطعية أو التبادلية cross impact analysis ، ونماذج المحاكاة simulation models ، . إذ يؤدي كل منها غرضا قائما بذاته مثل الحصول على توقعات أو تنبؤات لبعض المتغيرات، أو اختصار عدد السيناريوهات الممكنة، أو حساب تداعيات تصرفات معينة عبر الزمن.

معايير تقسيم طرق البحث في المستقبل

ويمكن تقسيم طرق البحث المستقبلي وفق معايير متنوعة. فقد تصنف هذه الطرق حسب درجة اعتمادها على قياسات كمية صريحة إلى طرق كمية quantitative وطرق كيفية qualitative . ولكن يعيب هذا التقسيم أن التمايزات ليست قاطعة بين ما هو كمي وما هو كيفي من طرق البحث المستقبلي. وكثيرا ما يكون الفرق بينهما فرقا في الدرجة – لا في النوع . ذلك أن غالبية الطرق التي يستخدمها دارسو المستقبل تستخدم شيئا من "التكمية"، مهما كان محدودا. كما يندر أن تعتمد الدراسات المستقبلية الجيدة على القياسات الكمية وحدها دون اللجوء إلى الطرق الكيفية، على الأقل في مرحلة التحليل والتفسير والتوصل إلى استنتاجات. كذلك قد تصنف طرق البحث المستقبلي إلى طرق استطلاعية exploratory تقدم صورا مستقبلية احتمالية، وطرق استهدافية normative تقدم صوراً لمستقبلات مرغوب فيها. ولكن هذا التقسيم ليس حادا كما يبدو. إذ قد يشترك هذان النوعان من الطرق في وسائل البحث المستقبلي، بمعنى أن الصور المستقبلية التي يؤدي إليها كل نوع منهما قد تنتج باستخدام وسائل كمية أو وسائل كيفية، أو بمزيج من الاثنين. كذلك فإن الدراسة المستقبلية قد تتوصل إلى عدد من الصور المستقبلية الاحتمالية، ثم تختار من بينها صورة أو أكثر من الصور المرغوب فيها. أي أن الصفة الاستطلاعية والصفة الاستهدافية قد تجتمعان في دراسة مستقبلية واحدة.

وأخيرا، قد يميز بين طرق نظامية formal أو موضوعية objective من جهة، وطرق غير نظامية informal أو ذاتية subjective من جهة أخرى. والعبرة

هنا هي بما إذا كانت الطريقة المستخدمة في البحث المستقبلي تعتمد على أساليب مقننة codified واضحة المعالم، أو على نماذج صريحة للظاهرة محل الدراسة (فحينئذ تعتبر من الطرق النظامية أو الموضوعية)، أو أنها تعتمد على الحدس والخيال والخبرة والتقدير الذاتي، دون تبنّي نماذج صريحة للظاهرة موضع البحث (فحينئذ تعتبر من الطرق غير النظامية أو الذاتية). ولكن هذا المعيار قد يصعب تطبيقه على الكثير من طرق البحث المستقبلي. فما يبدو لأول وهلة موضوعيا (كالنماذج) كثيرا ما يعتمد على اختيارات ذاتية (للمتغيرات أو لتعريفها وغير ذلك كثير) ولا يستغنى عن قدر من الحدس والخبرة. وما يبدو لأول وهلة ذاتيا، كثيرا ما يمكن استنتاج خطوات أو إجراءات محددة لتطبيقه (مثل طريقة دلفى).

ولذلك آثرنا عدم تصنيف الطرق الخمس والعشرين التي سنقدمها حالا حسب أي من هذه المعايير، واكتفينا بتقديمها في عشر مجموعات تغلب على كل مجموعة منها سمة منهجية معينة. ولما كانت طبيعة هذه الورقة لا تسمح بتقديم عرض مفصل لأي من الطرق المذكورة، فحسبنا رصد هذه الطرق والتعريف الموجز ببعضها لا أكثر (١٤٤) وذلك على النحو التالي:

١) طرق السلاسل الزمنية، time series methods وهي من الطرق التي لا تقوم على نماذج "سببية" causal ، تعبر عن سلوك المتغير أو المتغيرات موضع الاهتمام وفق "نظرية" ما. وهي تشمل طرقا ونماذج تتفاوت من حيث التعقيد وكم المعلومات المسبقة المطلوب. منها نموذج الخطوة العشوائية random walk model الذي يفترض قيمة المتغير في فترة ما هي قيمته التي تحققت في فترة سابقة (ولذا يطلق عليه نموذج عدم التغير). ومنها طرق إسقاط الاتجاه العام trend extrapolation بالمتوسطات المتحركة وتحليل الانحدار. ومنها أساليب تفكيك السلاسل الزمنية للتنبؤ بالتغيرات الموسمية. ومنها طرق التمهيد الأسّي للسلاسل الزمنية، والطرق المعتمدة على النماذج الاحصائية للسلاسل الزمنية مثل نماذج "بوكس - جينكنز".

٢) طرق الاسقاطات السكانية، ومن أشهرها ما يعرف بطريقة الأفواج والمكونات cohort-component method ، حيث يتم حساب النمو فى عدد

السكان من مكونات محددة كالمواليد والوفيات والهجرة إلى الدولة والهجرة من الدولة، وحيث يمكن التنبؤ بعدد السكان فى كل فوج أو شريحة عمرية - جنسية استنادا إلى معدلات الخصوبة ومعدلات البقاء على قيد الحياة حسب العمر والجنس.

٣) النماذج السببية causal models . وهنا يتم التنبؤ بقيم متغير ما أو مجموعة متغيرات باستعمال نموذج يحدد سلوك المتغيرات المختلفة استنادا إلى نظرية ما. ومن أشهر هذه النماذج نماذج الاقتصاد القياسي econometric models ، ونماذج المدخلات والمخرجات input-output models ، ونماذج البرمجة programming models أو الأمثلية optimization ، ونماذج المحاكاة simulation models ، ونماذج ديناميات الأنساق systems dynamics (التي تعد دراسة "حدود النمو" لنادي روما من أشهر تطبيقاتها). وإلى جانب هذه النماذج الكمية الصريحة، قد تتخذ النماذج أشكالا أقل صرامة من الناحية المنهجية. فقد يعبر عنها لفظيا بجمل منطقية، وقد يعبر عنها بالأشكال البيانية وخرائط التدفقات flow charts . وفي بعض الحالات تجري المحاكاة لما قد يحدث فى الواقع ليس اعتمادا على نماذج من هذا النوع أو ذاك، بل على محاكيات فعلية actual analogs كنماذج الطائرات مثلا.

٤) الألعاب أو المباريات gaming ، وهي طريقة تعتمد على المحاكاة ليس فقط من خلال الباحث فى الدراسات المستقبلية، بل وكذلك بإشراك الناس فيها كلاعبين يقومون بأدوار role playing يتخذون فيها قرارات أو تصرفات، ويستجيبون لقرارات وتصرفات غيرهم، ويبدون رد فعلهم إزاء أحداث معينة. ويتم استخراج الصور المستقبلية البديلة باستعمال نماذج لفظية أو رياضية أو كمبيوترية أو محاكيات فعلية.

٥) تحليل الآثار المقطعية cross impact analysis وهو أسلوب لفهم ديناميكية نسق ما، والكشف عن القوى الرئيسية المحركة له. كما أنه أسلوب لفرز التنبؤات الكثيرة والخروج منها بعدد محدود من التنبؤات، وذلك بمراعاة أن احتمال وقوع بعض الأحداث يتوقف على احتمال وقوع أحداث أخرى. أي أنها طريقة لأخذ الترابطات وعلاقات الاعتماد المتبادل بين الظواهر أو المتغيرات أو التنبؤات في الحسبان.

٦) الطرق التشاركية participatory methods . ويقصد بها طرق البحث المستقبلي التي تتيح المجال لمشاركة القوى الفاعلة أو الأطراف المتأثرة بحدث ما في عملية تصميم البحث وجمع المعلومات اللازمة له وتحليلها واستخراج توصيات بفعل اجتماعي معين بناء على نتائجها. وهذه الطرق أكثر استعمالا من النشطاء في مجال المستقبليات، أي من يقومون بالدراسات المستقبلية ذات التوجه الاستهدافي والتي يرتبط فيها الاستهداف بممارسات عملية للترويج والتعبئة والتحريض على اتخاذ فعل اجتماعي يساعد على تحقيق صورة مستقبلية مرغوب فيها أو على منع حدوث صورة أو صور مستقبلية غير مرغوب فيها. ومن أمثلة هذه الطرق التشاركية في البحث المستقبلي طريقة الممارسة المستقبلية بالمشاركة participatory future praxis ، وطريقة البحث التشاركي الموجه للفعل الاجتماعي participatory action research ، وطريقة ورش عمل المستقبليات futures workshops ، وطرق إجراء التجارب الاجتماعية social experiments ، والبحوث المستقبلية الاثنوجرافية ethnographic futures research التي تركز على استطلاع المستقبلات الثقافية – الاجتماعية من خلال مقابلات مطولة ومفصلة ومتكررة مع مجموعة من الأفراد المشتغلين بظاهرة ما (كالبحث والتطوير التكنولوجي) أو الذين يحتمل تأثرهم بحدث ما.

٧) طرق التنبؤ من خلال التناظر والإسقاط بالقرينة. وتقوم أساليب التناظر أو المشابهة method of analogy على استخراج بعض جوانب الصور المستقبلية استنادا إلى أحداث أو سوابق تاريخية معينة والقياس على ما فعلته دول معينة في مرحلة أو أخرى من مراحل تطورها لإنجاز معدل ما للنمو الاقتصادي مثلا. أما أساليب الإسقاط بالقرينة، فهي تقوم على افتراض أن ثمة ارتباط زمني بين حدثين، حيث يقع أحدهما قبل الآخر عادة، بحيث يمكن التنبؤ بالحدث اللاحق استنادا إلى الحدث السابق. فمثلا يمكن أن يؤخذ التقدم في الطائرات الحربية من حيث السرعة قرينة على التقدم في سرعة الطائرات المدنية. ومن أشهر هذه الطرق طريقة السلاسل الزمنية القائدة leading series التي كثيرا ما استخدمت في التنبؤ بالدورات الاقتصادية، حيث يؤخذ بطء النمو في متغيرات اقتصادية معينة (كالمخزون أو التعاقدات الجديدة) قرينة على إبطاء حركة النشاط الاقتصادي في مجموعه.

٨) طرق تتبع الظواهر وتحليل المضمون. يقصد بطريقة تتبع الظواهر

monitoring استخدام طائفة متنوعة من مصادر المعلومات في التعرف على الاتجاهات العامة لمتغيرات معينة، مع افتراض أن الاتجاهات العامة التي يتم الكشف عنها هي التي ستسود في المستقبل. وقد استخدم هذه الطريقة الباحث المستقبلي المشهور Naisbitt في التوصل إلى ما أطلق عليه الاتجاهات العامة الكبرى megatrends . أما طريقة تحليل المضمون content analysis فهي تركز على تحليل مضمون الرسائل messages التي تحملها الصحف والمجلات والبحوث والكتب وما يذاع في الإذاعة والتليفزيون وغيرها، وتسجيل مدى تكرر عبارات أو كلمات تحمل قيما أو توجهات معينة، وبناء استنتاجات مستقبلية على تحليل هذه التكرارات.

٩) تحليل آراء ذوي الشأن والخبرة. ومن هذه الأساليب طريقة المسوح surveys التي يتم فيها استطلاع رأي أو توقعات عينة من الأفراد سواء من خلال استبيان يرسل بالبريد أو يتم تعبئته عن طريق المقابلة الشخصية أو الاتصال التليفوني. ومنها طريقة ندوة الخبراء panel discussion وطريقة الاستثارة الفكرية أو القدح الذهني brain storming ، وطريقة دلفى Delphi method التي يتم فيها استطلاع الآراء والتحاور بشأنها، مرة واحدة كما في ندوة الخبراء والاستثارة الفكرية أو عدة مرات كما في طريقة دلفى.

١٠) السيناريوهات Scenarios . السيناريو وصف لوضع مستقبلي ممكن أو محتمل أو مرغوب فيه، مع توضيح لملامح المسار أو المسارات التي يمكن أن تؤدي إلى هذا الوضع المستقبلي، وذلك انطلاقا من الوضع الراهن أو من وضع ابتدائي مفترض. والأصل أن تنتهي كل الدراسات المستقبلية إلى سيناريوهات، أي إلى مسارات وصور مستقبلية بديلة. فهذا هو المنتج النهائي لكل طرق البحث المستقبلي. ولهذا فإن بعض المستقبليين يعتبرون السيناريو الأداة التي تعطى للدراسات المستقبلية نوعا من الوحدة المنهجية methodological unity ، وذلك بالرغم من أن الطرق التي قد تستخدم في إنتاج السيناريوهات تتنوع تنوعا شديدا. فالسيناريوهات يمكن أن تبنى بأي من الطرق السابق ذكرها أو بمجموعات معينة منها. كما أنها يمكن أن تبنى بطرق أخرى لم تتعرض لها كالسيناريوهات التي نعتمد اعتمادا كليا على الخيال العلمي أو الإبداع الأدبي أو الحدس أو الاستبصار foresight والتي قد ينفرد بكتابتها شخص واحد - لا فريق من الباحثين العلميين.

وعموما، فإن السيناريوهات تصف إمكانات بديلة للمستقبل، وتقدم عرضا للاختيارات المتاحة أمام الفعل الإنساني، مع بيان نتائجها المتوقعة بحلوها ومرها. وقد ينطوي تحليل السيناريوهات على توصيات ضمنية أو صريحة حول ما ينبغي عمله. ولكن ذلك يتوقف - كما سبق بيانه - على التوجه الذى يأخذ به واضعو السيناريوهات، أي ما إذا كان توجّها استطلاعيا أم توجّها استهدافيا.

الاستشراف والعولمة

ماذا تعنى العولمة بالنسبة للاستشراف؟ إنها تعنى المزيد من الصعوبات. فالاستشراف المستقبلي لأوضاع مجتمع مفتوح أشد صعوبة منه لمجتمع منغلق. ولا شك أن العولمة بما تعنيه من زيادة وتكثيف في العلاقات بين مجتمع ما والعالم الخارجي تجعل مثل هذا المجتمع أكثر تعرضا للمؤثرات الخارجية، أو أكثر انكشافا. ومن ثم تزداد عناصر اللايقين في عملية استشراف المستقبل. كما أن العولمة بما تعنيه من تزايد التداخل عبر الحدود الوطنية في المسائل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية والبيئية، وبما تعنيه من تحول في سلطات اتخاذ القرارات في بعض الأمور من النطاق القطري إلى النطاق الإقليمي أو العالمي، تفرض على دارس المستقبل ضرورة أكبر لتفهم المحيط العالمي، والإحاطة جيدا بالقوى الفاعلة فيه، والتعرف على طبيعة الالتزامات المفروضة على الدول بمقتضى اتفاقات دولية؛ حيث تشكل الأخيرة نوعا من القيود على الحركة المتاحة لمتخذ القرار القطري. وإجمالا، فإن العولمة تقوي من أسباب الأخذ بمنهجيات أكثر تعقيدا في استشراف المستقبل.

ولكن هل تعني العولمة وما تنطوي عليه من ازدياد دور العوامل الخارجية في تشكيل مسارات المستقبل لدولة نامية مثل مصر- أو سوريا أن تتحول السيناريوهات البديلة لمستقبلها إلى مجرد ردود فعل وطنية لتصرفات القوى الخارجية المهيمنة على نظام تقسيم العمل الدولي أو على النظام الدولي في مجموعه؟ بعبارة أخرى، هل تتشكل السيناريوهات - ابتداء - وفق أهداف وسياسات القوى الاجتماعية والسياسية الوطنية وحدها، أم أنها تتشكل - ابتداء - بالمؤثرات الخارجية وما تجره وراءها من ردود فعل وطنية؟ لقد طرح

هذا السؤال في إحدى الندوات التي أقامها "مشروع مصر-٢٠٢٠ (١٤٥). وكانت وجهة نظرنا أنه مع التسليم بالدور الأكبر للعوامل الخارجية، ومع التسليم بأن الوضع الإقليمي والوضع الدولي يمثلان معطيات لصانع القرار المصري (وإن كان ثمة مجال أكبر للتحرك على المستوى الإقليمي)، إلا أنه لا يمكن تهميش دور العوامل والقوى الداخلية في تشكيل مسار التطور الاجتماعي والسياسي المصري. فمن جهة أولى، لا تفعل المؤثرات الخارجية فعلها المتوقع من القوى الخارجية إلا إذا وجد سياق داخلي ملائم لتلقي هذه المؤثرات، والاستجابة لها على هوى القوى الخارجية. فالسياق الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الوطني محدد مهم لطبيعة الأثر الذي تنتجه العوامل الخارجية. ومن جهة ثانية، فإن البدء بافتراض أن العامل الحاكم في تشكيل مستقبل المجتمع المصري هو العامل الخارجي، يقيد كثيرا نطاق البحث المستقبلي، ويصادر على احتمالات الحركة المستقبلية الذاتية إلى حد بعيد. هذا في حين أن القضية المحورية في الدراسة المستقبلية لبلد مثل مصر هي استكشاف تصورات أو سيناريوهات مستقبلية توسع من الهامش المتاح للحركة أمام صانع القرار الوطني، وتوسع من فرص مشاركة مصر بدور أكبر في صناعة مصيرها ومستقبلها. ولاشك أن السيناريوهات البديلة المعبرة عن رؤى قوى اجتماعية - سياسية متباينة سوف تتفاعل مع المعطيات الخارجية بأشكال مختلفة. وقد يتيح هذا التباين في التفاعلات مجالا أرحب لاستكشاف إمكانات أكبر لاستفادة مصر من العولمة والمعطيات الدولية عموما في تشكيل مستقبل أفضل.

حاجة الدول النامية إلى استشراف المستقبل

وقد يكون من المناسب في ختام هذا العرض أن أؤكد على أمر سبق أن ألمحت إليه فيما تقدم، وأن أفصل ما أجملت القول فيه. فأما الأمر الذي أريد تأكيده وإبرازه فهو أن الدراسات المستقبلية ليست مجرد صرعة ظهرت في الدول المتقدمة، وتحاول الدول النامية محاكاتها، مثلما يحدث في أمور أخرى كثيرة. فالواقع أن احتياج الدول النامية إلى الدراسات المستقبلية لا يقل عن احتياج الدول المتقدمة إلى هذه الدراسات، بل وقد يزيد عليها. وبطبيعة الحال، فليس كل ما يظهر في الدول المتقدمة سيء وينبغي اجتنابه من جانب الدول النامية، تماما مثلما أنه ليس كل ما يأتي من الغرب يسر القلب. وفيما يخص الدراسات المستقبلية، فإن ظهورها في الدول المتقدمة لم يأت من

فراغ، بل إنه كان استجابة لحاجات عملية وموضوعية قوية سبق إيضاحها. كما أثبتت هذه الدراسات على مدى زمني معقول ما أشرنا إليه حالا من فوائد ومزايا مهمة لتلك الدول. ومن ثم فليس على الدول النامية حرج في الإقبال على الدراسات المستقبلية والإفادة من مزاياها.

وأما القول الذي جاء مجملا فيما سبق ويحسن تفصيله الآن، فهو أن حاجة الدول النامية إلى الدراسات المستقبلية ربما تكون أشد من حاجة غيرها إليها. ويمكن إرجاع ذلك الأمر إلى ثلاثة أسباب رئيسية:

1) السبب الأول هو طبيعة عملية التنمية وطبيعة نشاط التخطيط للتنمية. ونقصد بذلك كون عملية التنمية ذات بعد زمني طويل بالضرورة. فالتنمية لا تحدث بين عشية وضحاها، بل هي تتضمن إجراء تغيرات مؤسسية وهيكلية عميقة، يستغرق إنجازها وقتا ليس بالقصير. ومن ثم فالتنمية هي عملية ذات بعد مستقبلي بالضرورة، ويستوجب التخطيط لها بالتالي الامتداد بالتفكير والنظر عبر فترة زمنية (مستقبلية) طويلة والتطلع إلى أفق زمني (مستقبلي) بعيد. وكثيرا ما عانت الدول النامية المشكلات والمصاعب من جراء إهمال المدى الطويل عند التخطيط للتنمية، وكثيرا ما جرت المصادرة على إمكانات جيدة للتنمية من جراء التركيز على المدى الأقصر- واستعجال ظهور النتائج. وكما سبق بيانه، فإن الخوض في أمور التخطيط طويل المدى يستلزم أول ما يستلزم تكوين قاعدة معرفية جيدة من خلال الدراسات المستقبلية.

II) والسبب الثاني يتصل بحقيقة عدم التكافؤ في القوى في هيكل القوى العالمية، وبخاصة التفاوت الصارخ في الثروة ومستوى المعيشة والنفوذ بين الدول النامية والدول المتقدمة. وهو أمر قد تفاقم - ولم تقل حدّته - في ظروف العولمة الحديثة. وفي مثل هذه الظروف تتاح فرص واسعة أمام القوى الكبرى للتحكم في مقادير الدول النامية ومساراتها المستقبلية، وتصبح التربة ممهدة لاستمرار تبعية الدول النامية للدول المتقدمة. وخطر ذلك كبير (كما أسلفنا) بالنسبة للدول ذات الموقع الاستراتيجي أو المكانة السياسية المتميزة، أو ما تطلق عليه الولايات المتحدة الآن الدول المحورية (من وجهة

نظرها طبعا (١٤٧) إذ تتطلع القوى الكبرى إلى الاحتفاظ بهذه الدول في حظيرتها، وتسعى إلى "توفيق أوضاعها" بما يتلاءم مع مصالحها. بعبارة أخرى، تسعى القوى الكبرى إلى أن تصنع لمثل هذه الدول النامية مستقبلها.

وما المشروعات المطروحة من القوى الكبرى كمشروع الشراكة مع أوروبا ومشروع الشرق أوسطية وغيرها سوى مشروعات لتغيير خريطة المنطقة العربية التي نعيش فيها، ومحاولات لصنع مستقبل جديد على هوى قوى أجنبية لها مآربها الخاصة في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. ومن هنا تظهر أهمية أن نبادر - نحن العرب - باتخاذ قرارات الآن للتأثير في صورة مستقبلنا وتوجيهه الوجهة التي نريدها، قبل أن يتمكن الآخرون من إعادة تشكيل مستقبلنا على هواهم. وهو ما يستوجب التسلح بدراسات مستقبلية جادة.

III) أما السبب الثالث في ضرورة الدراسات المستقبلية للدول النامية، فهو يتصل بما تحتاج إليه التنمية من تعبئة ذهنية ونفسية وشحذ للهمم وإعادة اكتساب للثقة بالنفس بعد سنوات طويلة من التبعية، لاسيما التبعية الثقافية التي بددت الكثير من ثقة الناس بأنفسهم وشككتهم في الكثير من قدراتهم الوطنية. والحق أن الدراسات المستقبلية يمكن أن تسهم في هذا المجال إسهاما مرموقا، وذلك بما تنطوي عليه من إعادة بحث للماضي والحاضر، وتفهم للقوى الدافعة للتنمية، واستيعاب للعوامل المحركة للنظام الاجتماعي والسياسي، وتحديد لنقاط الاختناق والقيود على الحركة، وبيان لمدى الخيارات المتاحة للتنمية، ولمنافع وتكاليف كل خيار منها فتلك أمور مهمة لإعادة اكتشاف الذات وإعادة تقييم القدرات الوطنية على أسس أكثر واقعية، وانتشال أنفسنا من حالة الإحباط واليأس من الخروج من التخلف وفقدان الأمل في التقدم بقوانا الذاتية. بعبارة أخرى، فإن الدراسات المستقبلية وسيلة مهمة لتعبئة طاقات الأمة وزرع الأمل في إمكانية الخلاص من التخلف.

الفصل التاسع:

قراءة لبعض مشروعات الإصلاح المستقبلية

المبحث الأول: قراءة نقدية لمشروع مصر ٢٠٢٠ دراسة المستقبلات المصرية البديلة (مشروع مصر ٢٠٢٠)

المبـادرة

ظهرت المبادرة الخاصة بمشروع "مصر ٢٠٢٠" انطلاقا من أمرين: الأمـر الأول هو الإدراك القوى والمتزايد لما يمكن أن تسهم به الدراسات المسـتقبلية مـن بلورة للاختيارات المتاحة أمام الناس، ومـن تصـويب لمسـارات الحـوار الـوطني حولها، ومن ترشيد لعمليات التخطيط واتخاذ القرارات، ومـن تعبئـة للطاقـات الوطنية وإحياء الآمال في النفوس. وهي جميعا مسـاهمات قيمـة مـن المنظـور التنموي، حيث إنها تساعد على إخـراج النـاس مـن حالـة الإحبـاط والسـلبية، وتجعلهم يستردون ثقتهم بأنفسهم وبقدراتهم وقدرات وطـنهم عـلى النهـوض والانطلاق على طريـق التنميـة الشـاملة والمطـردة. والأمـر الثـاني هـو افتقـاد الدراسات المستقبلية في مصر لفترة تناهز عشرـين عامـا شـهد العـالم خلالهـا تغيرات ومستجدات كثيرة وخطيرة في شتى مجالات الحياة، كما شـاعت خلالهـا ألوان مختلفة من الثقافة الماضوية والتفكير السلفي في المجتمع المصري.

وقد انطلقت المبادرة من منتدى العالم الثالـث - مكتـب الشرـق الأوسـط بالقاهرة من خلال دعوة وجهها صاحب المبادرة العالم الكبير والمفكر المبـدع د . إسماعيل صبري عبد الله إلى مجموعة صغيرة من المفكـرين المصرـيين متنـوعيْ التخصصات والتوجهات السياسية للالتقاء في شهر سبتمبر ١٩٩٥ حـول مائـدة مستديرة للتداول في مدى حاجة مصر إلى دراسة مستقبلية تستطلع آفاق التنمية الشاملة فيها حتى عام ٢٠٢٠ (١٤٨) وقد أسفر النقاش في هذه المائدة المستديرة عن تأييد كامل لفكرة الدراسة ولأهمية صياغة مشروع متكامل حول مسـتقبل مصر في عام ٢٠٢٠. كما أبرزت المداولات عددا من التوجهـات العامـة والقضـايا

الرئيسية المرغوب في مراعاتها عند تصميم المشروع.

وبعد ذلك، بدأ العمل في صياغة وثيقة لمشروع الدراسة تبلور أهدافها ومهامها ومنهجيتها فضلا عن اقتراح الإجراءات التنظيمية وتقدير الميزانية اللازمة لتنفيذ المشروع. وتولت هذه المهمة لجنة ثلاثية، كانت تعرض ما تتوصل إليه من أفكار ومقترحات وتناقشها أولا بأول في إطار لجنة سداسية(١٤٩). وقد استغرقت هذه المرحلة من إعداد وثيقة المشروع سبعة شهور من أكتوبر ١٩٩٥ حتى إبريل ١٩٩٦، كتبت خلالها أوراق متعددة في مختلف القضايا والموضوعات المراد طرحها على بساط البحث في المشروع، جرت مناقشتها وإعادة كتابتها عدة مرات. وفي ضوء ما أعد من أوراق وما دار من مناقشات خصبة وحوارات ثرية في اجتماعات كل من اللجنة الثلاثية واللجنة السداسية، كلف كاتب هذه السطور بتحرير وثيقة للمشروع، عرضت للنقاش في اجتماع موسع في أواخر يونيو ١٩٩٦. شارك فيه نحو أربعين من صفوة علماء الاقتصاد والسياسية والإدارة والتعليم والاجتماع والبيئة والهندسة والطاقة والقانون والتكنولوجيا والعلوم العسكرية، فضلا عن عدد من رجال الصناعة والبنوك، ومن كتاب ومثقفي مصر البارزين.

وفي ضوء ما شهده هذا الاجتماع من مناقشات، نُقّحت وثيقة المشروع، كما أضيفت فصول جديدة تتناول نظام إدارة المشروع، وتحويل قضايا البحث إلى تكليفات بحثية محددة تعد عنها أوراق أو تقارير بحثية، والجدول الزمني للمشروع، وميزانيته. كما أضيف إلى الوثيقة ملحق يتضمن بيانا أوليا بأسماء وتخصصات ومجالات اهتمام الباحثين والمفكرين والمؤسسات التي قد تسهم في أعمال المشروع والتي تمثل نواة للشبكة العلمية المستهدف إقامتها لتنفيذه. وقد ظهرت هذه الوثيقة التي أطلق عليها "الوثيقة الفنية للمشروع البحثي حول مستقبل مصر حتى عام ٢٠٢٠" في سبتمبر ١٩٩٦، أي بعد سنة من أول لقاء للتداول في فكرة المشروع. وصارت هذه الوثيقة بعد ذلك دستور عمل المشروع ومرجعيته الأساسية.

وانقضى عام ثانٍ في عمليات تحضيرية أخرى شملت إعداد وثيقة من نوع مختلف قليلا، تصلح للعرض على الجهات الوطنية والدولية التي يمكن أن تهتم برعاية المشروع

وتمويله. وقد أعدت هذه الوثيقة أولا باللغة العربية، ثم أنتجت على أساسها صياغة للوثيقة باللغة الإنجليزية (١٥٠). كما اشتملت تلك المرحلة على اختيار هيئات البحث والتوجيه والمشورة في المشروع وهي الفريق المركزي واللجنة التوجيهية وهيئة كبار الاستشاريين العلميين للمشروع. وبطبيعة الحال، كان من أولى المهام في تلك المرحلة التحضيرية استطلاع إمكانات التمويل، والاتصال بعدد من الجهات المحلية والأجنبية لتبين مدى استعدادها للمساهمة في تدبير التمويل اللازم للمشروع. وبرغم أن البداية الرسمية للمشروع قد تحددت في وثيقة المشروع بالأول من يناير ١٩٩٨، إلا أن العمل الفعلي قد بدأ في أول سبتمبر ١٩٩٧، وذلك بالرغم من عدم توافر التمويل. وقد قدّرت مدة تنفيذ المشروع بثلاث سنوات.

وهكذا خرج هذا المشروع إلى حيز الوجود بمبادرة أهلية خالصة. وقد حظيت هذه المبادرة بمباركة الحكومة المصرية ممثلة في رئيس الوزراء السابق د. كمال الجنزوري، ووزير الخارجية السيد عمرو موسى، ووزير الدولة الأسبق للتخطيط السيد / ظافر البشرى، ووزير الدولة لقطاع الأعمال العام د. عاطف عبيد الذي أصبح رئيسا للوزراء في أكتوبر١٩٩٩. كما قدمت الحكومة للمشروع قدرا محدودا من الدعم المالي وذلك من خلال بنك الاستثمار القومي، وساندت جهوده في جلب تمويل خارجي من عدد من المؤسسات العربية والدولية. وحتى الآن انحصرت المصادر الخارجية لتمويل المشروع في البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة، والصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، وسمو الأمير طلال بن عبد العزيز. ولم يتيسر بعد الوفاء بالميزانية المقدرة للمشروع، وذلك بالرغم من الجهود المضنية التي بذلت في هذا الصدد. وينبغي التأكيد على أن المساعدات التي يتلقاها المشروع هي مساعدات غير مشروطة، ولا تؤثر من قريب أو بعيد في استقلالية المشروع في رسم أهدافه وفي اختيار منهجيته وموضوعاته البحثية من خلال الفريق المركزي واللجنة التوجيهية وهيئة كبار الاستشاريين العلميين.

رصيد الدراسات السابقة

إن رصيد الدراسات المستقبلية السابقة عن مصر رصيد ثمين، وإن كان صغيرا نسبيا بالقياس إلى رصيد الدراسات المتوافر في كثير من مجالات البحث

الاجتماعي الأخرى. وبالرغم من أنه يمكن العثور على عناصر جنينية لدراسات مستقبلية مصرية في أواخر الخمسينات وفي الستينات، اتصالا بأنشطة التخطيط طويل المدى على المستوى القطاعي وعلى المستوى القومي، إلا أن الدراسات المستقبلية الأكثر شمولا والأوسع نطاقا لم تظهر إلا في منتصف السبعينات. وقد جاءت هذه الدراسات على سبيل مواكبة الاهتمام العالمي بالدراسات المستقبلية التي شهدت زخما كبيرا منذ صدور "حدود النمو" من نادي روما في سنة ١٩٧٢.

ويمكن الإشارة هنا إلى ثلاث دراسات مستقبلية مهمة عن مصر:

أ) الدراسة الأولى أجريت في الفترة ١٩٧٥ - ١٩٧٧ في إطار مشروع بحثي أكبر لمنظمة الأغذية والزراعة (FAO) بقصد استطلاع النتائج السكانية والديموجرافية لاستراتيجيات بديلة للتنمية(١٥١). وقد استخدمت هذه الدراسة نموذجا اقتصاديا كليا متعدد القطاعات، وإن كان قد أعطى اهتماما كبيرا للعلاقات الحاكمة للقطاع الزراعي. كما عنيت عناية خاصة بتحليل ونمذجة التشابكات بين السكان والتنمية. وأخذت هذه الدراسة بمنهجية المحاكاة في استطلاع المسارات والصور المستقبلية البديلة لمصر خلال الفترة من ١٩٧٥ إلى ١٩٨٥. وكان أساس اختيار السيناريوهات في هذه الدراسة تقليديا بالمفاهيم الحالية، وإن كان يعبر عن هموم شغلت الفكر الاقتصادي بشكل أساسي في تلك الفترة. إذ تنوعت السيناريوهات ارتباطا بما إذا كانت استراتيجية التنمية تركز على الزراعة أم على الصناعة، بالإضافة إلى سيناريو اتجاهي كالمعتاد.

(ب) الدراسة الثانية أنجزت في خريف ١٩٧٧، في إطار مشروع بحثي أكبر رعته منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD)، وعرف باسم (Interfutures) (١٥٢). وقد أخذت هذه الدراسة بأسلوب الكتابة الكيفية أساسا، ووظفت منهجية القياس على السوابق التاريخية في بلدان نامية أخرى في اشتقاق بعض السيناريوهات. فقد تناولت الدراسة ثلاثة سيناريوهات، هي: السيناريو التركي، والسيناريو المكسيكي، وسيناريو استمرار الثورة أو التنمية المعتمدة على الذات والمتوجهة لإشباع الحاجات الأساسية. ويمكن اعتبار السيناريو الأخير السيناريو المفضل من وجهة نظر تلك الدراسة.

(ج) الدراسة الثالثة أجريت في الفترة ١٩٨٠ - ١٩٨٢. وقد ركزت على قضايا السكان والتنمية والتشابكات فيما بينها، وسعت إلى إبراز النتائج الإيجابية والسلبية

لاستراتيجيات مختلفة للتنمية من هذه الزاوية (١٥٣) وهذه الأهداف تعكس اهتمامات الجهة الراعية للمشروع في مصر (جهاز تنظيم الأسرة والسكان) وكذلك اهتمام الجهة الممولة للمشروع (صندوق الأمم المتحدة للأنشطة السكانية). وقد طورت هذه الدراسة نموذجا للمحاكاة وتقييم السيناريوهات البديلة، ولكن حالت صعوبات مالية غير متوقعة دون استعمال هذا النموذج. ولذا أنتجت السيناريوهات بمنهج الكتابة الكيفية أساسا، مع تدعيمها ببعض التقديرات الكمية المستمدة من تحليلات جزئية أو اجتهادات ذاتية. وقد كان نطاق البحث في هذه الدراسة واسعا، فغطى الاتجاهات العامة في شتى المجالات، والتطورات العالمية والإقليمية، وقضايا التعليم، والإسكان، والتكنولوجيا، والقيم الاجتماعية، فضلا عن القضايا السياسية والاقتصادية والسكانية وقضايا سوق العمل. وقد عبرت السيناريوهات في هذه الدراسة عن اختيارات كبرى في مجال السياسات التنموية، وهي السياسات التي كانت قائمة آنذاك أي سياسة الانفتاح الاقتصادي، وسياسة ترشيد الانفتاح، أو الإصلاح، وسياسة التنمية المستقلة أو المعتمدة على الذات.

وإلى جانب هذه الدراسات الثلاث، تنبغي الإشارة أيضا إلى عدد من الأنشطة العلمية التي دارت في رحاب معهد التخطيط القومي في القاهرة والتي ارتبطت بالراحل العظيم د. إبراهيم حلمي عبد الرحمن، تحت المظلة التي عرفت باسم: "مجموعة مصر ٢٠٠٠". وقد كانت هذه المجموعة نشطة للغاية في أواخر السبعينات (١٩٧٨ و١٩٧٩)، وضمت في عضويتها نخبة من أعلام الباحثين والمثقفين المهمومين بمستقبل مصر. وقد اشتمل نشاط تلك المجموعة على إعداد أوراق خلفية وعروض لدراسات وكتب حول مستقبل مصر- ومستقبل العالم، وعلى مناقشات وحوارات خصبة حول هذه المواد، وحول العوامل الحاكمة للتطور المستقبلي في مصر. كما سعت إلى صياغة بعض صور المستقبل المصري اعتمادا على منهج حدسي مدعم بتقديرات كمية جزئية أو اجتهادية لبعض المتغيرات الأساسية (١٥٤)

وأخيرا، ثمة معالجات أخرى لمستقبل مصر تستحق الذكر هنا، استكمالا لحصر الرصيد المعرفي السابق في مجال الدراسات المستقبلية عن مصر. فقد تم

تناول مستقبل مصر في عدد من الدراسات الإقليمية التي جرت في العقد الممتد من أوائل السبعينات حتى منتصف الثمانينات. ومن أبرز هذه الدراسات:

(أ) دراسات مجموعة التخطيط طويل المدى للدول العربية التي قادها د. إبراهيم حلمي عبد الرحمن في معهد التخطيط القومي في أوائل السبعينات.

(ب) دراسة د. أنطوان زحلان عن العالم العربي سنة ٢٠٠٠ (١٥٥).

(ج) دراسة المستقبلات العربية البديلة التي أجراها منتدى العالم الثالث - مكتب الشرق الأوسط بالقاهرة خلال الفترة ١٩٨٠ - ١٩٨٥، بالتعاون مع جامعة الأمم المتحدة (١٥٦).

د) دراسة استشراف مستقبل الوطن العربي التي أجراها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت خلال الفترة ١٩٨٥ – ١٩٨٨(١٥٦).

(هـ) الدراسة التي أجريت في إطار مشروع "الاعتماد المتبادل" الذي رعته شركة البترول الإيطالية (EINI) ومنظمة الدول العربية المصدرة للبترول (OAPEC) في أوائل الثمانينات (١٥٧).

وبالرغم من تراجع موجة الدراسات المستقبلية على الصعيدين: المصري والعربي منذ أواسط الثمانينات، إلا أن الاهتمام بقضايا المستقبل لم يختف تماما. فقد ظل عدد محدود من أساتذة الجامعات والباحثين والمثقفين والصحفيين يثيرون هذه القضايا، ويكتبون عنها، ويديرون بعض الحوارات حولها، وينبهون الرأي العام إلى التغيرات الكبرى في العالم والتحديات المستقبلية التي يتعين على مصر والعالم العربي مواجهتها. ولكن مثل هذه الأنشطة لا ترقى بالطبع إلى مستوى المشروعات البحثية الكبرى حول المستقبل، ولا يمكن أن تكون بديلا لها. ومن هنا كان إحساس من طرحوا مبادرة مشروع مصر ـ ٢٠٢٠ بالقصور الشديد في هذا المجال، وبأن الوقت قد حان لإجراء دراسة مستقبلية كبرى لمصر.

أهداف المشروع

ليس من أهداف هذا مشروع مصر ٢٠٢٠ رسم مستقبل بذاته، ولا وضع استراتيجية أو خطة بعينها للمجتمع المصري. وإنما يهدف المشروع إلى تقديم قاعدة معرفية تساعد الناس وتساعد متخذيْ القرارات على اختيار المستقبل

الأفضل لمصر، وذلك في ضوء موازنتهم بين منافع وتكاليف الصور المستقبلية المتعددة التي يمكن أن يأخذها مستقبل مصر على امتداد العقدين الأول والثاني من القرن الواحد والعشرين. وبشكل أكثر تحديدا يسعى مشروع مصر ٢٠٢٠ إلى تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية:

(١) صياغة عدد من السيناريوهات، أي التصورات المستقبلية البديلة لحركة المجتمع المصري في مختلف المجالات، وبيان حالة الإنسان والمجتمع المصري في عام ٢٠٢٠، مع تحديد ما ينطوي عليه كل مسار مستقبلي من مزايا وأعباء، وكذلك استقصاء قدرة كل سيناريو على الوفاء بأهداف معينة يمكن أن تكون موضع اتفاق عريض بين سائر المهتمين بمستقبل مصر، أو يمكن أن تؤدي في مجموعها إلى تحقيق التقدم طبقا لمعايير يمكن أن تكون محل قبول عام.

(٢) بلورة منهج جديد في إدارة شئون المجتمع والدولة، وذلك بتوفير أدوات علمية لمتخذ القرار تمكنه من تأسيس عمليات اتخاذ القرار على ركائز متينة من المعرفة بالواقع واستشراف المستقبل. ومن المأمول فيه أن يساعد توافر هذه الأدوات العلمية في تمكين الباحثين وصناع القرارات من الربط بين المتغيرات المختلفة والتخلص من الانقياد إلى الاستجابات الجزئية لكل منها على حدة، ومن ثم التسلح بنظرة شاملة توظف الارتباطات فيما بين مختلف المتغيرات في الإدارة الرشيدة لشئون المجتمع وفي إعادة ترتيب الأولويات القومية لصالح التنمية الشاملة والمطردة على المدى البعيد.

(٣) تنمية رأي عام مهتم بالمستقبل، شغوف بالتعرف على ما قد تحمله المستقبلات البديلة من فرص ومخاطر، ومتحفز لمواجهة التحديات المستقبلية مواجهة مستنيرة. ويعني ذلك استثارة الاهتمام المجتمعي الجاد بقضايا المستقبل، ورفع مستوى الوعي بالقضايا والتحديات التي يحملها المستقبل في طياته، والنهوض بمستوى الحوار الوطني حولها، وشحذ الهمم لمواجهة المشكلات المستقبلية

والاستعداد للمستقبل من جانب كل القوى الاجتماعية والأحزاب وغيرها من المؤسسات الأهلية وأهل الرأي والفكر والعلم وصناعة القرارات، فضلا عن عموم الناس. فقد أصبحت كل هذه الأمور من الضروريات لتأمين مستقبل أفضل، بعد أن كاد الانشغال بهموم الحاضر ومشكلات الحياة اليومية يطغى على كل اهتمام آخر لدى معظم الناس، عامتهم وخاصتهم.

ويتطلب تحقيق هذه الأهداف إنجاز عدد آخر من الأهداف المهمة، وهي:

(١) إقامة شبكة بحثية من الأفراد والمؤسسات المشتغلين بالبحث العلمي، يتم من خلالها تنفيذ دراسات المشروع ونشاطاته العلمية المختلفة على النحو الذي يكفل للعمل الشمول والتفاعل بين مختلف حقول المعرفة من جهة، والذي يكفل التعبئة البحثية للجماعة العلمية المصرية من جهة أخرى.

(٢) تقديم إسهامات علمية، لا سيما في مجال تطوير الفكر التنموي، وفي مجال صياغة أدوات تحليل ومنهجيات ملائمة لدراسة المستقبلات البديلة.

(٣) تنمية المهارات العلمية في التعامل مع المشكلات المعقدة، وبخاصة مهارات الربط بين العوامل المتعددة في إطار شامل ومتكامل، ومهارات التفكير الإبداعي والتصور المستقبلي. وينطبق ذلك على المشتغلين في المشروع، وكذلك على من يتصلون بنشاطاته من خلال الندوات وورشات العمل وما يصدره من مطبوعات، وأيضا عن طريق تنظيم برامج تدريبية إذا تيسرت الوسائل لذلك.

(٤) نشر أعمال المشروع على أوسع نطاق ممكن بالوسائل التقليدية والوسائل الإلكترونية والتداول حولها كلما أمكن في ورشات عمل وندوات ومؤتمرات ومن خلال "الإنترنت"، وكذلك إتاحتها لأكبر عدد ممكن من المشتغلين في مجال الإعلام لتوفير معلومات ونقاط انطلاق فكرية يخاطبون الجمهور من خلالها في قضايا المستقبل.

ويتضح من العرض المتقدم لأهداف مشروع مصر ٢٠٢٠ أنه مشروع يتسم

بالطموح المعرفي اللامحدود، والانفتاح العقلي دون تحيز مسبق لتوجه عقائدي بعينه. كما يسعى المشروع إلى الارتباط بالفعل الاجتماعي من خلال الانفتاح على المجتمع للتعرف على رؤى الناس للواقع والمستقبل، وللتعرف على آرائهم فيما يتوصل إليه المشروع من نتائج وسيطة ونهائية، وترشيد حواراتهم حول الخيارات المستقبلية التي يكشف عنها النقاب، والارتفاع بالمستوى والمحتوى العلمي لعمليات التخطيط واتخاذ القرارات.

وتعكس هذه السمات المميزة للمشروع اقتناع القائمين على إدارته بأن تحديد المستقبلات البديلة لمصر حتى عام ٢٠٢٠ لا يمكن أن يكون مجرد عمل أكاديمي ينفرد به قلة من الباحثين المصريين مهما عظمت قدراتهم وكفاءاتهم، بل يجب أن يكون عملا علميا واجتماعيا في آن معا، وأن يكون محصلة جهود مشتركة للباحثين العلميين والممارسين المشاركين في صناعة القرارات وأهل الرأي والفكر والقوى الاجتماعية - السياسية المختلفة.

نطاق البحث

تبدأ دراسة المستقبلات المصرية البديلة حتى عام ٢٠٢٠ بقراءة - أو بالأحرى إعادة قراءة - للتطورات في شتى المجالات عبر ربع قرن مضى، وذلك بقصد التعرف على الاتجاهات العامة السائدة، وكذلك الاتجاهات العامة الجديدة والمضادة. ثم يلي ذلك استطلاع للتطورات المرتقبة على مدى العقدين الأول والثاني في إطار عدد من السيناريوهات البديلة.

وتغطّي الدراسة اثني عشر مجالا بحثيا، بيانها كالتالي:

(١) البيئة والسكان
(٢) الغذاء والزراعة
(٣) التصنيع والمصنوعات
(٤) الإسكان والمستوطنات البشرية
(٥) النقل والاتصال
(٦) التعليم والبحث العلمي والتكنولوجي
(٧) القطاع المالي
(٨) المعاملات الخارجية
(٩) الحكم أو إدارة شئون المجتمع والدولة

(governance)
(١٠) الثقافة والإعلام
(١١) المجتمع
(١٢) التكامل الإقليمي والأوضاع العالمية

وانطلاقا من هذا التحديد للمجالات البحثية الكبرى، عكف الفريق المركزي للمشروع في المرحلة الأولى لعمله على تحديد ما ينطوي عليه كل مجال من هذه المجالات من قضايا جديرة بالبحث والدرس. كما قام بتوزيع التكليفات بشأنها على فرق بحثية يتم التعاقد معها على إجراء بحوث معينة، وعلى الفريق المركزي، وعلى وحدة الحساب العلمي والنمذجة التي أنشأها المشروع كذراع فني له. وصدرت كراسة تحتوي على خطة الدراسات بناء على ذلك (١٥٨)، تشتمل على بيان لثلاث وثمانين دراسة، منها خمس وستون دراسة يعهد بها إلى فرق بحثية، وأربع عشرة دراسة يتولاها الفريق المركزي ذاته، وأربع دراسات تقوم بها وحدة الحساب العلمي والنمذجة بالمشروع.

وكانت إدارة المشروع تدرك أن تحديد الدراسات على هذا النحو الواسع إن هو إلا تحديد أولي يؤخذ فيه بالأحوط، وذلك بعدم إسقاط أية دراسات حتى لو كان هناك احتمال لعدم القيام بها، وكذلك بتكرار بحث بعض القضايا في أكثر من دراسة على أمل أن يؤدي اختلاف المنظور في الدراسات المختلفة إلى إثراء المعلومات والتحليل في هذه القضايا. ولذا فقد روعي عدم التكليف بكل الدراسات في وقت واحد، وإرجاء النظر في التكليف ببعض الدراسات لحين انتهاء عدد من الدراسات ذات الصلة والتي قد تغني عن القيام بدراسة جديدة، أو قد تساعد على تحديد مجال البحث في الدراسة الجديدة على نحو أدق أو أكثر تركيزا. كما كان من المتوقع إعادة النظر في الدراسات بالحذف أو الإضافة أو الدمج، وكذلك إعادة النظر فيمن يكلف بإعداد بعض الدراسات، وذلك كله في ضوء تطور العمل الفعلي في المشروع.

وهذا ما حدث بالفعل . فبعد مرور سنة من بدء العمل قرر الفريق المركزي للمشروع زيادة العدد الكلي للدراسات والأنشطة العلمية من ٨٣ إلى ٨٦، مع تخفيض عدد الدراسات التي تتولاها فرق بحثية من ٦٥ إلى ٥٢ دراسة، وزيادة عدد الدراسات والأنشطة التي يتولاها الفريق المركزي ذاته من ١٤ إلى ٢٢، وكذلك

زيادة عدد الدراسات والأنشطة التي تنفذها وحدة الحساب العلمي والنمذجة من ٤ إلى ١٢. وكان الدافع لهذا التغيير هو الشعور المتزايد بأنه من الأفضل في بعض المهام البحثية ذات الدور المحوري في المشروع أن تنجز في إطار مجموعة العمل الداخلية للمشروع (أي الفريق المركزي ووحدة الحساب العلمي والنمذجة) التي تملك التصور الأشمل للمشروع ولديها الصورة الكاملة عن تشابكات الموضوعات المختلفة.

وفي مراحل لاحقة للعمل خفض عدد الدراسات التي يعهد بها إلى باحثين خارجيين من ٥١ إلى ٤٣ دراسة. ومن هذه الدراسات ٣٧ دراسة تجري بواسطة فرق بحثية. كما أن منها ست دراسات تقرر أن تعد فيها أوراق بحثية بواسطة باحث أساسي لكل ورقة، على أن يعاونه في إعدادها مساعد باحث أو أكثر. وكان ذلك استثناءً من المبدأ العام الذي أخذ به المشروع، وهو إعداد الدراسات بواسطة فرق بحثية. وقد اضطر المشروع إلى ذلك اضطرارا بعد ما تعذر تكوين فرق بحثية لبعض الموضوعات، وبعد ما ظهر أن عمل الفرق يستغرق وقتا أطول كثيرا مما كان مقدرا وقبلته الفرق وقت التعاقد. بل أن أربعا من هذه الدراسات الست قد آلت إلى أعضاء في إدارة المشروع. وفريقه المركزي، بعد ما باءت بالفشل محاولات العثور على باحثين خارجيين للقيام بها. وقد ترتبت على هذه التعديلات تعديلات أخرى بالدمج والحذف والإضافة في دراسات الفريق المركزي ووحدة الحساب العلمي والنمذجة. كما عوملت بعض الدراسات كأنشطة يتم إنجازها من خلال قراءات وإعداد أوراق ومذكرات داخلية والتحاور حولها دون أن تسفر في كل الأحوال عن عمل منشور.

وفيما يلي بيان موجز عن الدراسات والأنشطة التي تقوم بها هيئات البحث في المشروع:

أولا: دراسات الفرق البحثية

١ - دراسات المحيط العالمي والمحيط الإقليمي، وهي تشتمل على سبع دراسات في موضوعات: الكوكبة *، وبنية النظام العالمي والقوى الدولية الفاعلة، ودائرة

* وضع علامة * يشير إلى دراسة تقرر تحويلها بصفة استثنائية إلى ورقة بحثية فردية.

الجنوب، والدائرة الأفريقية، والدائرة المتوسطية، والدائرة الشرق أوسطية، ودائرة الوطن العربي.

٢- دراسات التعليم، وهي تضم أربع دراسات في موضوعات: التنشئة والتعليم الأساسي، والتعليم الثانوي، والتعليم العالي، والتعليم المستمر ومحو الأمية.

٣- دراسات القدرات العلمية والتكنولوجية، وهي تضم ثلاث دراسات في موضوعات: الوضع الراهن لمنظومة العلم والتكنولوجيا، والعرض والطلب على منتجات البحث والتطوير، وآفاق وإمكانات التطوير التكنولوجي.

٤- دراسة السكان وقوة العمل

٥- دراسات البيئة والموارد الطبيعية واستعمالات الحيز المكاني، وهي تضم خمس دراسات في موضوعات: البيئة والوعي البيئي، والثروة المعدنية، والطاقة، والمياه والأرض، واستعمالات الحيز المكاني.

٦- دراسات الثقافة والإعلامي. وهي تضم دراستين: واحدة للثقافة، والأخرى للإعلام.

٧- دراسات البنية الاجتماعية وقوى التغيير الاجتماعي. وهي تشتمل على أربع دراسات في موضوعات: البنية الطبقية، والفقراء والمهمشون، وأجيال المستقبل (الطفولة والشباب)، والمرأة *.

٨- دراسات قطاعية وإجمالية. وهي تضم عشر دراسات تتناول ثمانية قطاعات هي: الزراعة والغذاء، والصناعة، والصحة، والنقل،

والسياحة، والقطاع المالي*، والقطاع الاقتصادي الخارجي، وقطاع المعلومات والاتصالات، وموضوعين إجماليين هما: العمران، والاقتصاد الكلى *.

٩- دراسات الحكم / إدارة شئون المجتمع والدولة. وهي تضم سبع دراسات في موضوعات: المؤسسات والتيارات والقوى السياسية، ومؤسسات المجتمع المدني، والقانون والمجتمع والدولة، والإدارة العامة والبيروقراطية *، والإدارة في قطاع الأعمال العام والخاص *، والتصورات والرؤى المستقبلية للقوى السياسية - الاجتماعية، والأمن والتنمية.

ثانيا: دراسات وأنشطة الفريق المركزي

١ - دراسات وأنشطة في مجال مفهوم التنمية ومؤشراتها.

٢ - دراسات وأنشطة في مجال منهجيات الاستشراف وأدوات البحث في الدراسات المستقبلية.

٣ - دراسات وأنشطة في مجال اختيار السيناريوهات وكتابتها على مراحل متعددة.

٤ - دراسات تركيبية استخلاصية(١٥٩) في مجالات التعليم، والبنية الاجتماعية وقوى التغيير الاجتماعي، والبحث العلمي والتطوير التكنولوجي، والبيئة والموارد الطبيعية والحيز المكاني، والمحيط العالمي والمحيط الإقليمي، والاقتصاد المصري.

٥ - إعداد التقرير العام أو الوثيقة النهائية للمشروع.

ثالثا: دراسات وأنشطة وحدة الحساب العلمي والنمذجة

١ - دراسة وأنشطة في مجال بناء قاعدة معلومات المشروع.

٢ - دراسة وأنشطة في مجال النمذجة والمحاكاة.

٣ - دراسة وأنشطة في مجال بناء السيناريوهات.

٤ - دراسة وأنشطة فيما يستلزمه كل ما سبق من برمجيات ونظم تشغيل.

٥ - بناء موقع للمشروع على الإنترنت ومتابعته بالتطوير والتحديث.

لاحظ أن أنشطة المشروع غير مقصورة على الدراسات، ولكنها تشمل أيضا الندوات الاستهلالية، وندوات ختام البحث (على ما سيأتي ذكره)، وورشات العمل، واللقاءات العلمية مع أهل العلم والممارسين وصناع القرارات، والمقابلات مع ممثلي القوى السياسية - الاجتماعية. كما تتضمن أنشطة المشروع نشر أعماله على أوسع نطاق ممكن.

وتجدر الإشارة إلى أن عدد المشتغلين بدراسات وأنشطة المشروع يناهز ٣٠٠ باحث ومساعد باحث من أجيال وتخصصات مختلفة، منهم نحو ٢٨٠ يعملون في الفرق البحثية المختلفة، والباقي في الإدارة العلمية للمشروع والفريق المركزي ووحدة الحساب العلمي والنمذجة. كما شارك في اللقاءات العلمية للمشروع (ندوات وورش عمل) نحو ٣٢٠ من الباحثين والمفكرين والممارسين والإعلاميين.

منهجية المشروع

روعي في تصميم منهجية المشروع أن تتصف بعدد من السمات المنهجية المرغوب في توافرها في الدراسات المستقبلية الجيدة، وهي (١٦٠):

١- الشمول والنظرة الكلية للأمور: ومن هنا تعدد مجالات البحث وكثرة عدد الدراسات والقضايا المبحوثة. وكذلك تعدد تخصصات القائمين على إدارة المشروع وأعضاء فريقه المركزي. وبطبيعة الحال، فليس المهم هو تعدد حقول المعرفة التي ينهل منها المشروع وتبنى عليها السيناريوهات فحسب، بل من المهم أيضا دراسة العوامل والمتغيرات المختلفة المتصلة بهذه المعارف في تشابكها وتفاعلها.

٢- مراعاة التعقد: ويقصد به تفادي الإفراط في التبسيط والتجريد للظواهر المدروسة، والتعمق في تحليل وفهم ما يزخر به الواقع من علاقات وتشابكات بين مختلف الظواهر، والإحاطة الدقيقة بما يتصف به هذا الواقع من دينامية ولا يقين. ويتصل بذلك إدراك أن القانون المحرك للكل ليس مجرد حاصل جمع عددي للقوانين التي تفسر عمل الأجزاء التي يتكون منها هذا الكل. وهو ما يؤكد مجددا على أهمية التفاعلية والقدرة على عبور التخصصات في بناء منهجية

البحث المستقبلي.

٣- القراءة الجيدة للماضي، وإعادة قراءة الأحداث السابقة من منظور مستقبلي أي في ضوء التحديات، وذلك للكشف عن الاتجاهات السائدة في الوقت الحاضر، والاتجاهات المضادة لها، والإرهاصات التي تومئ إلى ميلاد اتجاهات جديدة قد يكون لها شأن كبير في تشكيل مسارات المستقبل. والمقصود بالماضي هنا هو ماضي المجتمع المدروس، وكذلك خبرات الدول الأخرى. فالتعلم من خبرات الآخرين - بما فيهم الأقل تقدما والأكثر تقدما - لا يقل شأنا عن التعلم من الخبرات الذاتية. كما أنه يوفر مصدرا للمعلومات حول الفرص المتاحة والقيود على الحركة المستقبلية، والتي يمكن أن تفيد في بناء السيناريوهات وتشغيلها.

٤- محاكاة الواقع. فذلك أمر ضروري بالنظر إلى قصور النظريات عن الإحاطة بتعقيدات الواقع وما يحفل به من تنوع وديناميه. كما بات من المسلّم به أن السعي لمحاكاة الواقع باستعمال النماذج وبرمجيات للكمبيوتر لا يساعد فقط في رسم صورة أكثر دقة لسلوك الفواعل والمتغيرات المختلفة، بل أنه قد يكون مصدرا مهما لتطوير التنظير حول سلوك الظواهر المدروسة.

٥- المزج بين الأساليب الكمية والأساليب الكيفية. إذ يعجز أي من هذين النوعين من أساليب البحث عن الوصول إلى نتائج مرضية في الدراسات المستقبلية. بينما يؤدي الجمع بينهما إلى نتائج أفضل. وهذه هي الطريقة التي تبناها المشروع في بناء سيناريوهاته(١٦١). وتتمثل هذه الطريقة التي سميت بـ "الطريقة التفاعلية" في الخطوات التالية:

خطوة أولى: يتم فيها إعداد صياغة أولية لملامح كل سيناريو (أي الشروط الابتدائية والمسار والصورة المستقبلية في كل عام ٢٠٢٠) من خلال الحدس والكتابة الكيفية بواسطة الفريق المركزي للمشروع. ويمكن أن تتكرر هذه الخطوة عدة مرات إلى أن يتم التراضي على صياغة مقبولة.

خطوة ثانية: توضع الصياغة الأولية المقبولة لملامح كل سيناريو تحت نظر وحدة الحساب العلمي والنمذجة للاسترشاد بها في تشغيل النموذج أو النماذج ومحاكاة المسار المستقبلي لكل سيناريو خلال فترة الاستشراف المستقبلي. وهنا يتم السحب على رصيد المعلومات المتوافر من الدراسات التي تقوم بها الفرق البحثية والفريق المركزي، وكذلك من قاعدة معلومات المشروعات التي تبنيها الوحدة، في التنبؤ بنتائج كل سيناريو ورسم ملامح الصورة المستقبلية التي يؤدي إليها في عام ٢٠٢٠ كميا وكيفيا. وهنا تظهر صورة مطورة، أكثر عمقا وتفصيلا، للسيناريوهات.

خطوة ثالثة: يناقش الفريق المركزي الصورة المطورة للسيناريوهات، مع وحدة الحساب العلمي والنمذجة ومع مستشارين علميين، وكذلك مع مفكرين وممثلين للقوى الاجتماعية والسياسية المختلفة. والقصد من ذلك هو التعرف على ردود أفعال هذه الفئات المختلفة تجاه السيناريوهات، واستدعاء مقترحاتهم للتعديل والتطوير فيها بناء على الخبرة والحدس وتفاعل المعارف المختلفة بشكل لا نظامي.

خطوة رابعة: يقوم الفريق المركزي بالتعاون مع وحدة الحساب العلمي والنمذجة بفرز مقترحات التعديل والتطوير، واختيار مجموعة متناسقة نسبيا من هذه المقترحات، وإحالتها إلى وحدة الحساب العلمي والنمذجة لإدماجها في عمليات النمذجة والمحاكاة، واستخراج صورة مطورة لكل سيناريو، وربما إضافة سيناريوهات جديدة.

ويمكن أن تتكرر المهام المذكورة في الخطوتين الثالثة والرابعة لأكبر عدد ممكن من المرات، في حدود الوقت والموارد المتاحة بالطبع، حتى يتم التراضي على صياغة مقبولة لكل سيناريو.

٦ - الحيادية والعلمية: وتتطلب الحيادية الانفتاح على المدارس الفكرية المختلفة والتفاعل معها، وتنوع الأطر النظرية للسيناريوهات، وإتاحة الفرصة للقوى الاجتماعية والسياسية المختلفة للتعبير عن اختياراتها كما تراها هي بنفسها، كلما كان ذلك ممكنا بالطبع. كما تنطوي العلمية على مراعاة المبادئ العامة المعروفة في مناهج البحث العلمي، مع فهم "الموضوعية" على أنها لا تعنى الامتناع عن

تناول كل ما هو ذاتي، بل تعني إفساح المجال لما هو ذاتي، شريطة الإعلان عنه والتصريح عن افتراضات وميول الباحث بشأنه.

٧ - نشدان الإبداع والعمل الجماعي. فالدراسات المستقبلية تفقد الكثير من قدرتها على إثارة الفكر والتحريض على الفعل إذا لم تتضمن أفكارا إبداعية جريئة، مهما بدت "غير واقعية" أو "غير عملية" لأول وهلة. ولما كان جزءا كبيرا من الإبداع ينبع من رؤية ما يحدث في المساحات الواقعة بين جزئيات العمل، وفي مناطق التداخل وخطوط التماس بين التخصصات والحقول المعرفية المختلفة، فإن العمل الجماعي من خلال فريق متعاون ومتفاهم يصبح أمرا في منتهى الأهمية، علاوة على أهميته فى تحقيق السمات السابقة، لاسيما الحيادية والتعقد والشمول.

٨ - التعلم الذاتي والتصحيح المتتابع للتحليلات والنتائج. ولعل هذه السمة قد ظهرت بجلاء في شرحنا لمنهجية بناء السيناريوهات في إطار عرض السمة الخامسة لمنهجية المشروع.

ويمكن أن نقدم مثالا آخرا على عمليات التصحيح والتدقيق المتتابع في مشروع مصر ٢٠٢٠، بالإشارة إلى الأسلوب الذي يتبع في تحديد قضايا البحث وتنفيذ البحوث. إن أي موضوع مرشح للدراسة يتعرض في البداية لمناقشة أولية في الفريق المركزي، ثم يكلف عضوا أو عضوان منه - حسب التخصص - لكتابة ورقة نقاشية تحدد عناصر البحث والمنهجية الملائمة لبحثه. وعادةً تناقش هذه الورقة في الفريق المركزي لأكثر من مرة، ويتم تعديلها في ضوء المناقشة. وبعد ذلك تعرض الورقة المعدلة في ندوة استهلالية تضم أصحاب الاختصاص والمهتمين بموضوع البحث، وكذلك عدد من المشتغلين بصناعة القرارات ذات الصلة المطروحة للبحث. وفي ضوء ما يطرح من اقتراحات بالتعديل والحذف أو الإضافة تعدل الورقة النقاشية، وتتحدد بصفة أولية أصلح العناصر التي يمكن تكليفها بالبحث. وبعد إقرار الورقة المعدلة من الفريق المركزي، فإنها تستخدم في التفاوض مع المرشح لقيادة فريق البحث، والذي يطلب منه أن يضع في ضوء هذه الورقة خطة عمل محددة لإنجاز البحث. وبعد التعاقد على إجراء الدراسة، فإنها تتابع من خلال تقديم تقريري متابعة، ثم مسودة أولى، ثم تقرير نهائي

للدراسة. وتعرض هذه التقارير والمسودات على الفريق المركزي للنقاش وتقديم اقتراحات وتعديلات للقائمين بالبحث. وبعد الوصول إلى الصيغة الأخيرة للبحث، يجري عرضها لمزيد من النقاش فيما يعرف بـ "ندوة ختام البحث". وقد يتم إدخال المزيد من التعديلات على البحث في ضوء مناقشات هذه الندوة، كما قد يضاف تقرير عن هذه المناقشات إلى الدراسة ذاتها، إذا ما تقرر نشرها. ولا يخفى أن الغرض من كل هذه الخطوات هو مراقبة جودة البحوث والارتفاع بمستواها إلى أقصى حد ممكن.

وعموما فإن حظ الدراسة المستقبلية التي تنجز دفعة واحدة (one-shot exercise) من النجاح ضئيل للغاية. وكلما زاد عدد الفرص التي تتعرض فيها المراحل المختلفة للعمل الاستشرافي والنتائج التي يتم التحصل عليها منه للنقد والتعديل والتطوير، زادت احتمالات الخروج بدراسة مستقبلية تحقق الغايات الأساسية لهذا النوع من الدراسات، لاسيما مردودها على الفعل الاجتماعي وصناعة القرارات.

السيناريوهات

خضع اختيار السيناريوهات للتطور أثناء العمل في المشروع، استجابة لتراكم المعارف والتفاعل المتزايد بين أعضاء الفريق المركزي. فعند صياغة وثيقة المشروع، تم تحديد أربعة سيناريوهات على النحو التالي:

١ - السيناريو المرجعي. وهو يمثل الامتداد المنطقي للتطورات الراهنة، وذلك فيما لو استمر النمط الحال لردود فعل السلطة الحاكمة والفواعل الاجتماعية الأخرى تجاه التغيرات المحلية والإقليمية والعالمية.

٢ - السيناريو الشعبي. وهو يمثل التصور المتولد عن استطلاع رؤى القوى الاجتماعية والتشكيلات السياسية القائمة للمستقبل المرغوب فيه من جانبهم، وذلك بغض النظر عن مدى تكامل أو تناسق هذا التصور.

٣ - السيناريو الوسيط. ويمثل هذا السيناريو مسار المجتمع حتى عام

٢٠٢٠ فيما لو طرأت تعديلات إصلاحية غير جذرية على مجموعة السياسات المطبقة حاليا، وفيما لو حدثت بعض التعديلات غير الجوهرية في تركيبة القوى الفاعلة في المجتمع ويمكن أن يعتبر هذا السيناريو صورة منقحة من السيناريو الشعبي، حيث يتم إزالة أوجه عدم التناسق المرتبطة باختلاف رؤى الفئات الاجتماعية المختلفة والتفاوت في أفقها المستقبلي وغير ذلك من مصادر عدم التناسق.

٤ - السيناريو الابتكاري. ويصور هذا السيناريو المسار الذي يمكن أن يسلكه المجتمع حتى عام ٢٠٢٠، وذلك فيما لو أطلقت طاقات الإبداع والابتكار الكامنة في المجتمع من خلال تغيير جوهري في التركيبة الطبقية، وفي توزيع السلطة والثروة في المجتمع، وفي نسق القيم السائدة حاليا، وفي مستويات العلم والتكنولوجيا في بلادنا، ومن ثم تغيير جوهري في السياسات التنموية والترتيبات المؤسسية، ونمط العلاقات الإقليمية والدولية لمصر.

وبعد مرور سنة كاملة من العمل في الصياغة المدققة لدراسات المشروع، والتحاور حول منهجيته ومحاوره المختلفة في اجتماعات الفريق المركزي، والنقاش في الندوات الاستهلالية ورش العمل وفي أعقاب مناقشات مكثفة للسيناريوهات استغرقت بضعة شهور، رؤى تعديل قائمة السيناريوهات، ووضعت ملامح أكثر تفصيلا - وإن بقيت بدائية وقابلة للتعديل والتطوير - لكل سيناريو، لاسيما شروطه الابتدائية التي يمكن على أساسها استكمال العمل في استخراج مسار كل سيناريو والصور المستقبلية للمجتمع التي سينتهي إليها.

واستقر الرأي على أن تكون نقطة الانطلاق في تحديد السيناريوهات هي القراءة الجيدة لخريطة القوى الاجتماعية والسياسية في مصر، وتحديد القوى الرئيسية التي تملك رؤية أو مشروعات واضحة نسبيا للتغيير الاجتماعي، بما في ذلك القوى التي يمثلها نظام الحكم الحالي والخطط والمشروعات الحكومية التي تمتد حاليا حتى عام ٢٠١٧. وبناءً على ذلك، وقع الاختيار على خمسة سيناريوهات، نذكرها بإيجاز

فيما يلي (١٦٢):

١ - السيناريو الأول: هو ما أسميناه "السيناريو المرجعي" أو الاتجاهي، الذي يعبر عما قد تؤول إليه الأوضاع على امتداد العشرين سنة القادمة، إذا ما استمر المنطق الحالي في التعامل مع مشكلات مصر، وليس بالضرورة استمرار نفس الحكام أو نفس السياسات التفصيلية.

٢ - السيناريو الثاني يطرح رؤية القوى المجتمعية والسياسية التي ترى أن المستقبل الأفضل لمصر إنما يبدأ بقيام نظام حكم إسلامي، يترجم أحكام الكتاب والسنة إلى سياسات للتنمية والتعامل مع الآخر، تحفظ لمصر هويتها الإسلامية المتميزة. وقد أطلقنا على هذا السيناريو سيناريو "الدولة الإسلامية".

٣ - السيناريو الثالث يطرح رؤية الجماعات ذات التوجه الرأسمالي الليبرالي، التي ترى أن مستقبل مصر والسبيل لبقائها على خريطة العالم بفعالية في العالم الجديد القائم على التنافسية والداروينية الاجتماعية هو في اتباع نظام رأسمالي أكثر رشدا وعقلانية وانتفاعا بالعلم من الرأسمالية المشوهة القائمة حاليا (في رأيهم). وقد أطلقنا على هذا السيناريو سيناريو "الرأسمالية الجديدة".

٤ - السيناريو الرابع يطرح رؤية الجماعات ذات التوجه الاشتراكي، التي تعتقد أن الاشتراكية لم تنته بسقوط الاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية في شرق أوروبا، وأن الاشتراكية قابلة للنجاح إذا ما تم الاستفادة من الدروس والعبر التي حفلت بها التجارب السابقة للتطبيق الاشتراكي في العالم كله؛ وهو ما يبرز ضرورة الجمع بين الاشتراكية والديمقراطية ورفض المقايضة بين الحقوق الاجتماعية والحريات السياسية. وهذا هو سيناريو "الاشتراكية الجديدة".

٥ - السيناريو الخامس، والأخير، هو السيناريو الذي يعبر عن وجهة نظر قوى مختلفة في المجتمع المصري، ترى أن السبيل الأفضل للتقدم هو الوفاق الوطني والتراضي على حل وسط، يوفق بين رغبات الأطراف المختلفة للعمل الوطني. وهذا هو سيناريو "التآزر

الاجتماعي" أو "السيناريو الشعبي".

هذه هي السيناريوهات الخمسة التي وقع اختيارنا عليها بعد جهود مضنية في الدرس والبحث. وإننا ندرك أنه كان من الممكن الانطلاق من منطلقات أخرى بديلة في اختيار السيناريوهات. ولكن هذا ما تراضينا عليه كفريق بحثي، وهو ما شعرنا أن الكثيرين قد أيدونا فيه. وبالطبع فإن هذا الاختيار لا يغلق باب الاجتهاد أمام تجربة سيناريوهات مختلفة عما اخترناه في دراسات مستقبلية أخرى لا تغني عنها الدراسة التي يقوم بها مشروع مصر ٢٠٢٠. فلا شك أن تعدد الدراسات المستقبلية، وتنوع معايير اختيار السيناريوهات، هو أمر مستحب وذلك لما فيه من إثراء لمعارفنا بشأن المستقبل، وما ينطوي عليه من فرص ومخاطر.

التنظيم

تتولى قيادة المشروع لجنة تنفيذية ثلاثية تتألف من المنسق العام للمشروع د . إسماعيل صبري عبد الله (رئيس منتدى العالم الثالث ووزير التخطيط الأسبق في مصر)، والمنسق المشارك / المدير التنفيذي للمشروع د. إبراهيم سعد الدين عبد الله (مدير مكتب الشرق الأوسط لمنتدى العالم الثالث بالقاهرة والمدير السابق لمشروع الأمم المتحدة للمعهد العربي للتخطيط بالكويت)، والباحث الرئيسي للمشروع د. إبراهيم العيسوى (أستاذ الاقتصاد والمستشار بمعهد التخطيط القومي والوكيل السابق للمعهد العربي للتخطيط بالكويت).

وتتولى أعمال التخطيط والتنفيذ والمتابعة، فضلا عن القيام بعدد من المهام العلمية المحورية، لجنة سداسية، يطلق عليها الفريق المركزي للمشروع، تضم مجموعة دائمة من كبار الباحثين الذين يوفرون - مجتمعين - تعدد التخصصات اللازمة لحسن سير العمل في المشروع. ويضم الفريق المركزي الباحث الرئيسي للمشروع (رئيسا)، وخمسة أعضاء هم: د. على نصار (أستاذ التخطيط والمستقبليات والمدير الأسبق لمركز الأساليب التخطيطية بمعهد التخطيط القومي)، ود. عبد الباسط عبد المعطي (أستاذ ورئيس قسم علم الاجتماع بكلية البنات بجامعة عين شمس)، ود. فايز مراد مينا (أستاذ المناهج وطرق التدريس بكلية التربية

بجامعة عين شمس)، ود. محمد رضا محرم (أستاذ ورئيس قسم هندسة التعدين والبترول بكلية الهندسة بجامعة الأزهر)، ود. مصطفى علوي (أستاذ العلوم السياسية ووكيل كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة).

وأعضاء الفريق المركزي متفرغون "نصف الوقت" للمشروع، بينما يتفرغ الباحث الرئيسي للمشروع تفرغا كاملا لأعمال المشروع. وقد عقد الفريق المركزي ١٦٩ اجتماعا حتى منتصف يونيو ٢٠٠٠، بمعدل خمسة اجتماعات شهريا في المتوسط، وبإجمالي عدد ساعات يناهز ١٠٠٠ ساعة.

ويعاون الفريق المركزي في إنجاز أعماله مجموعة فنية صغيرة يطلق عليها وحدة الحساب العلمي والنمذجة. وقد بدأت هذه الوحدة نشاطها في منتصف مايو ١٩٩٨، وخصصت الشهور الثلاثة الأولى من عملها لتدريب العاملين بالوحدة وتجميع المعلومات والمراجع واستكمال تجهيزات الوحدة. ويتولى الإشراف على أعمال الوحدة عضو الفريق المركزي د. على نصار. وقد استعانت الوحدة في فترات مختلفة بباحثين لبعض الوقت لإنجاز أعمال محددة، وذلك حتى يكون الاحتفاظ بقوة عمل دائمة بالوحدة مقصورا على الحد الأدنى الضروري، وهو حاليا أربعة باحثين. وقد أتيح للوحدة ثلاث حاسبات شخصية، وطابعة ليزر، وطابعتين عاديتين. والوحدة على اتصال بالشبكات الدولية من خلال تليفون خاص بها. كما أن الحاسبات الثلاث متصلة ببعضها البعض من خلال شبكة محلية.

وتوفر الوحدة للفريق المركزي، وكذلك لأعضاء الفرق البحثية المتعاقد معهم على إتمام دراسات معينة، ملفات معلومات في الموضوعات محل الاهتمام. وقد أجرت الوحدة مسوحا في أساليب القياس ونمذجة الديناميات وأساليب التوقع والاستشراف، كما قامت بجمع تقديرات لعدد كبير من المعلمات التي يمكن أن تساعد في القياسات اللازمة لبعض السيناريوهات، وكذلك لعدد من المؤشرات التي يمكن أن تستخدم في تقييم أداء السيناريوهات، وقامت الوحدة بدعم جولات الكتابة الكيفية للسيناريوهات، وقدمت مقترحات لتطويرها وذلك تمهيدا لإضافة مكون كمي لها في مرحلة تشغيل النماذج. وأخيرا قامت الوحدة بإنشاء موقع للمشروع على الإنترنت،

عنوانه: www.egypt2020.org (ويمكن التراسل عن طريقه على العنوان التالي: egypt2020@egypt2020.org أو التراسل مباشرة على هذين العنوانين: 20sabry2@gega.net أو sabry2020@hotmail.com)

ويجري إقرار السياسات العامة للمشروع ومتابعة أعماله وأوضاعه المالية لجنة توجيهية، تضم إلى جانب أعضاء اللجنة التنفيذية للمشروع، ممثلي الممولين، وعدد من ذوي الخبرة المتميزة في البحث والممارسة: د. محمد محمود الإمام - المدير الأسبق لمعهد التخطيط القومي ووزير التخطيط الأسبق - د. سلطان أبو علي أستاذ الاقتصاد بجامعة الزقازيق ووزير الاقتصاد الأسبق - د. هدى بدران الأستاذة بكلية الخدمة الاجتماعية والأمين العام لرابطة المرأة العربية - د. مرفت التلاوي السفيرة ووزيرة الشئون الاجتماعية السابقة وأمينة المجلس القومي للمرأة - د. هبه حندوسة أستاذة الاقتصاد والمدير التنفيذي لمنتدى البحوث الاقتصادية للدول العربية وتركيا وإيران.

ويستعين المشروع بمجموعة من كبار الاستشاريين العلميين، يطلب منهم - فرادى - الرأي والتقييم والمشورة، ويدعوهم إلى ما يعقد من ندوات وورش عمل ومؤتمرات. وتضم المجموعة اثني عشر شخصية علمية: د. أحمد مستجير أستاذ الوراثة والعميد السابق لكلية الزراعة بجامعة القاهرة - د. حامد عمار الأستاذ المتفرغ بكلية التربية ومستشار التنمية البشرية السابق باللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا د. صلاح حامد محافظ البنك المركزي ونائب رئيس الوزراء ووزير المالية الأسبق - د. علي حلمي موسى أستاذ الفيزياء الرياضية بكلية العلوم جامعة عين شمس - المهندس محمد عبد الوهاب وزير الصناعة الأسبق - د. مصطفى كمال طلبه الأستاذ المتفرغ بكلية العلوم جامعة القاهرة والمدير التنفيذي السابق لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة - د. حازم الببلاوي أستاذ الاقتصاد والأمين التنفيذي للجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا - د. سمير فياض الرئيس الأسبق للمؤسسة العلاجية - د. علي السلمي أستاذ الإدارة بجامعة القاهرة ووزير التنمية الإدارية الأسبق- د. محمد أديب غنيمي أستاذ علوم الحاسب بجامعة عين شمس - د. محمد محمود الإمام وزير التخطيط الأسبق - د. عادل المغربي أستاذ الحاسبات بجامعة كنتاكي بالولايات المتحدة.

تقدم العمل

بعد مرور نحو ثلاثين شهرا منذ البداية الرسمية للعمل في المشروع، أوشك العمل فيما يزيد على نصف الدراسات التعاقدية على الانتهاء، بينما يمر النصف الآخر بمراحل متفاوتة من الإنجاز. وقطع الفريق المركزي شوطا طويلا في دراسات المفاهيم والمنهجية، كما قام بالكتابة الكيفية الأولية للسيناريوهات لأكثر من مرة. وجاري الآن العمل في الدراسات التركيبية الاستخلاصية، حيث أنجزت منها دراسة بالفعل (في مجال التعليم)، وذلك تمهيدا لاستئناف العمل في السيناريوهات وتطويرها بالنمذجة والمحاكاة بالتعاون مع وحدة الحساب العلمي والنمذجة. كما عقد المشروع ١١ ندوة وورشة عمل شارك فيها ٣٢٠ شخصا.

وقد ظهرت ثمار العمل في المشروع حتى الآن في أشكال مختلفة، نذكر منها

١ - سلسلة أوراق مصر ٢٠٢٠ وقد ظهرت فيها أربع أوراق(١٦٣)، ويجري إعداد ثلاث أوراق أخرى للنشر.

٢- سلسلة كراسات مصر- ٢٠٢٠ وقد صدرت فيها ثلاث كراسات (١٦٤)، ويجري إعداد كراستين أخريين للنشر.

٣- سلسلة مكتبة مصر ٢٠٢٠ وقد صدر فيها كتاب واحد (١٦٥)ويجري طباعة كتاب ثان(١٦٦)، وتجهيز كتاب ثالث للطبع(١٦٧) .

وتصدر السلسلتان الأولى والثانية عن منتدى العالم الثالث بالقاهرة. أما السلسلة الثالثة فتصدر عن دار الشروق بالقاهرة.

تحديات الدراسات المستقبلية

تشير الخبرات المختلفة في إنجاز الدراسات المستقبلية، لاسيما فى الدول النامية، إلى أن هذه الدراسات تواجه صعوبات جمة كثيرا ما تحول دون اكتمالها، أو تحول دون خروجها بمستوى جيد في حالة اكتمالها. ونذكر فيما يلي عددا من الصعوبات، ليس من أجل تثبيط الهمم وصرف الباحثين عن الاشتغال بالدراسات المستقبلية، بل للتنبيه المبكر إليها، خاصة لمن ليست لديهم خبرة سابقة بهذا النوع من الدراسات، ولتوجيه نظر كل من يهمه الأمر إلى أهمية العمل على معالجة هذه المصاعب حتى تكثر هذه الدراسات ويرتفع مستواها، وحتى تتحول من أعمال طارئة إلى نشاط مستمر (شأنها في ذلك شأن التخطيط)، وحتى

يتحقق بالتالي ما يرتجى من ورائها من منافع في مجال البحث العلمي والفعل الاجتماعي على السواء. ومن أهم هذه المصاعب التي واجهت - ولم تزل تواجه - الدراسات المستقبلية في مصر وغيرها من الدول العربية والدول النامية، يمكن أن نذكر التالي:

١ - المصاعب المنهجية. فالسمات المرغوب توافرها في منهجية البحث المستقبلي ليس من اليسير تحقيقها، خاصة في ظل الأوضاع غير المواتية للبحث العلمي في بلادنا، وما تؤدي إليه من تشتيت للطاقات، وبعثرة للجهود فيما لا طائل وراءه. والنهوض بالدراسات المستقبلية على نحو جاد في مثل هذه الظروف يتطلب الكثير من الوقت والكثير من المال، والكثير من العناصر البشرية ذات التأهيل العلمي المرتفع. ومعنى ذلك أن الدراسات المستقبلية دراسات مكلفة ولا يتوقع إنجازها في فترات قصيرة في بلادنا.

٢ - المصاعب المعلوماتية. فقواعد المعلومات هشة للغاية، وتعاني الكثير من الفجوات والتناقضات في معظم الأحيان. وإذا كانت المعلومات عن الماضي والحاضر ضعيفة، فإن المعلومات حول المستقبل - التي هي بطبيعتها ناقصة - أكثر ضعفا. وفي ظروف التضييق الديمقراطي، قد لا يكون من الميسور استطلاع آراء الناس حول الاتجاهات الحاضرة والتوجهات المستقبلية. وكثيرا ما تقل مصداقية المعلومات في مثل هذه الظروف لأسباب معروفة.

٣ - المصاعب الثقافية. ونقصد بها غياب الثقافة المستقبلية في المجتمع، وغياب عادة التفكير المستقبلي لدى الكثيرين، وتجذر الفكر الماضوي والنزعات السلفية (ولا نقصد بها السلفية الدينية وحدها). فإذا طلبت من باحث كتابة دراسة مستقبلية، ففي أحسن الظروف لن تظفر بأكثر من ١٠% من مادة هذه الدراسة تتحدث عن المستقبل، بينما الـ ٩٠% الباقية منها ستنشغل بالماضي والحاضر. وقد لاحظنا ذلك في الكثير من دراسات مشروع مصر ٢٠٢٠، وذلك بالرغم من توفير مادة ابتدائية جيدة في ورقتين من أوراق مصر ٢٠٢٠ حول خصائص وسيناريوهات المشروع، فضلا عن ورقة حول مفهوم

السيناريوهات ومنهجياتها. ولاشك أن إحدى الإيجابيات المهمة للمشروع هي إتاحة الفرصة لعدد كبير من الباحثين للتدرب على صياغة التصورات والمسارات المستقبلية في إطار سيناريوهات المشروع، واكتساب خبرات مهمة في هذا المجال. غير أن ذلك يتم على حساب إطالة فترة تنفيذ الدراسات التعاقدية للفرق البحثية، وبالتالي تأخير موعد استفادة مراحل العمل التالية في المشروع منها، واضطراب الجدول الزمني للمشروع كله.

٤ - مصاعب المناخ العام. ويقصد بهذا النوع من المصاعب شيوع مناخ فكري عام مناوئ للتخطيط والتفكير المستقبلي بعيد المدى. فالمناخ الفكري السائد هو مناخ تسيطر عليه "عقيدة السوق"، ويشيع فيه وهم أن السوق قادر على تحقيق التنمية فقط لو ابتعدت الحكومة عن التدخل في مجرياته، وأن عجلة القيادة يجب أن تترك لمبادرات رجال الأعمال دون قلق كبير على ما يصدر منهم من تصرفات تبدو ناشرة أو فاسدة الآن. وثمة اعتقاد شائع بأن "العولمة" قادمة ولا حيلة لنا إزاءها وإزاء القوى العالمية الكبرى التي تقف وراءها، وأن أقصى ما نقدر عليه هو السير في ركاب الكبار والرضا بما تجود به نفوسهم. بعبارة أخرى فإن المناخ السائد يشجع على السلبية والتواكل على الكبار، والاستسلام للعولمة، كما أنه يشجع على تكريس التبعية الثقافية. وفي مناخ كهذا تهدر الإرادة الذاتية وتضعف الثقة بالنفس. وليس في ذلك بالطبع ما يحرض على التفكير الإيجابي في صنع المستقبل، ناهيك عن القيام بدراسات مستقبلية جادة، إلا للقلة القليلة التي اعتادت الإبحار ضد التيار مهما كلفها ذلك من مشاق.

٥ - المصاعب الإجرائية. ومن خبرتنا في مشروع مصر ٢٠٢٠، يمكن أن نرصد ثلاثة مصاعب مهمة تدفع في اتجاه إطالة فترة تخطيط وتنفيذ الدراسات المستقبلية وخفض مستوى أدائها:

(أ) طول فترة البحث عن مشرفين للدراسات، ثم طول فترة إعدادهم لخطط إجرائية للدراسات، برغم توفير الفريق المركزي لأوراق نقاشية وخطط

تفصيلية للموضوعات والقضايا المطلوب دراستها، وكذلك طول فترة التفاوض وصولا إلى لحظة التعاقد. وفي حالات غير قليلة، كانت إدارة المشروع تجد نفسها مضطرة لتكرار دورة البحث والتفاوض والتعاقد عدة مرات.

(ب) عدم التزام معظم المتعاقدين بالجداول الزمنية لتنفيذ الدراسات المتفق عليها في التعاقدات، وذلك برغم الملاحقة المستمرة لهم من جانب المنسقين أعضاء الفريق المركزي. وبرغم أن فترة تنفيذ معظم الدراسات تتراوح بين ستة وثمانية شهور، إلا أن مدة التنفيذ الفعلي اقتربت من ١٤ شهرا في عدد غير قليل من الحالات.

(جـ) عدم التزام كثير من المتعاقدين بخطط البحث المتفق عليهما معهم؛ الأمر الذي يؤدي إلى تكرر دورات مراجعة هذه الدراسات من جانب الفريق المركزي، وتكرر طلب إدخال تعديلات على الأجزاء أو التقارير المقدمة. وهو ما قد يتم أو لا يتم على نحو مرض، ولكنه يؤدى في كل الأحوال إلى إطالة فترة تنفيذ الدراسة، والإخلال بالبرنامج الزمنى للمشروع.

(د) بالرغم من أن أحد أسباب إصرار إدارة المشروع على تكليف فرق بحثية، لا باحثين فرديين، بالدراسات المطلوبة للمشروع، هو ما يؤمل من أداء أفضل من خلال العمل الجماعي للفريق، إلا أن التجربة بينت أن العمل بروح الفريق كان غائبا في كثير من الحالات، وأن عمل الفرق البحثية يتم بتوزيع تكليفات جزئية على أحاد الباحثين، ينجزها كل منهم في استقلال عن الآخر، وأنه نادرا ما تجرى مناقشة جماعية لهذه الأعمال، أو كتابة جماعية للسيناريوهات.

٦- المصاعب المالية. وردت إشارات فيما سبق إلى التكلفة المرتفعة للدراسات المستقبلية. وأسباب ارتفاع التكلفة متعددة نذكر منها: (أ) اتساع نطاق البحث وتعدد التخصصات فيه. وهو ما يؤدي إلى حجم كبير يتطلب إنجازه قوة عمل كثيرة العدد؛ (ب) تعقد منهجية البحث في المستقبل، مما يستلزم توافر خبرات بشرية على مستوى عال. وهذه نادرة، وكثيرا ما يتطلب اجتذابها توفير حوافز مالية مرتفعة؛ (ج) احتياج

الدراسات المستقبلية إلى خدمات وتسهيلات علمية كثيرة مثل المعلومات والحاسبات والبرمجيات، والندوات وورشات العمل، والاستشارات والمقابلات، والتصوير والطباعة والمراسلات وتوزيع المطبوعات. وهذه أيضا من الأمور التي تستنفد نسبة عالية من الموارد المالية. ولذا تتطلب الدراسات المستقبلية ميزانيات ضخمة يتعذر تدبيرها عادةً من مصدر واحد. وحتى عندما تتعدد مصادر التمويل، فقد تظل الصعوبة قائمة. إذ لا تحظى الدراسات المستقبلية بأولوية متقدمة لدى الكثير من جهات التمويل المحلية والدولية، ومن ثم يصعب إقناعها بتأمين المساهمات المالية المطلوبة.

ولا شك أن هذه الصعوبات تفسر- جانبا من قلة الإقبال على الدراسات المستقبلية في بلادنا، وندرتها. ولا عجب أن ما أجري في السابق من دراسات مستقبلية كبيرة في مصر قد تم بمبادرات أجنبية، دون حماس يستحق الذكر من جانب أهل الحكم. فالحكومات في بلادنا لا تتحمس عادة لدعم الدراسات المستقبلية، ليس فقط لما تحتاجه من مال كثير قد ترى أن من الصعب تدبيره ولما تتطلبه من وقت طويل قد ترى أنه من غير العملي الصبر عليه، بل وكذلك لأنها تعتقد أن ما تقوم به هو الأفضل، ومن ثم فلا معنى للبحث في بدائل أخرى تطرحها قوى اجتماعية وسياسية منافسة أو معارضة. كما أن الأفق الزمني للحكومات في بلادنا محدود، ومن ثم فالخوض في أمور المدى البعيد ليس مما يستثير حماسها. وبالطبع لكل قاعدة عامة استثناءاتها. وربما كان مشروع مصر ٢٠٢٠ واحدا من تلك الاستثناءات القليلة التي يمكن إرجاعها إلى ظروف وملابسات خاصة.

المبحث الثاني:

دراسة نقدية لوثيقة مكة (١٦٨)

(الخطة العشرية لمواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين)

استراتيجية تربوية لإصلاح التعليم

برنامج العمل العشري لمواجهة تحديات الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين: القمة الإسلامية الاستثنائية يومي ٥و٦ ذي القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ٧و٨ ديسمبر ٢٠٠٥ م بمكة المكرمة. الدورة الاستثنائية الثالثة.

تقديم:

يواجه العالم الإسلامي تحديات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وعلمية ذات انعكاسات سلبية على أمن دوله وسلمها وتضامنها وتطورها، مما يحتم عليها التعاون لمواجهتها، والقيام بجهد جماعي ضمن إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، نابع من قيمنا ومبادئنا المشتركة، لإحياء الدور الرائد للأمة الإسلامية باعتبارها نموذجا للتسامح والوسطية المستنيرة ورافدا للسلم والوئام الدوليين. وإدراكا لهذه التحديات، ورغبة في الخروج بالأمة من واقعها الحالي إلى واقع أكثر تضامنا وازدهارا وتحقيقا للتطلعات والأهداف المصيرية، فلقد خاطب خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز جموع حجاج بيت الله الحرام في يوم العيد من العام ١٤٢٥هـ ، حيث دعا قادة الأمة الإسلامية لعقد لقاء استثنائي في مكة المكرمة لقادة الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، لدراسة قضايا التضامن والعمل الإسلامي المشترك .وتمهيدا لهذا اللقاء الاستثنائي، فقد دعا خادم الحرمين الشريفين في خطابه علماء الأمة ومفكريها للالتقاء في مكة المكرمة للنظر في حالة الأمة الإسلامية، ووضع الرؤى والتصورات واقتراح أفضل الحلول للتحديات التي تواجهها الأمة في مختلف الميادين. وقد التقت نخبة من علماء الأمة ومفكريها من أقطار شتى في مكة المكرمة في الفترة

٥-٧ من شهر شعبان من العام ١٤٢٦هـ الموافق ٩-١١ من شهر سبتمبر ٢٠٠٥م، وتدارسوا التحديات التي تواجه الأمة في المجالات الفكرية والثقافية والسياسية والإعلامية والاقتصادية والتنموية، ووضعوا جملة من التوصيات للتعامل بفعالية مع هذه التحديات. واستنادا إلى رؤى وتوصيات العلماء والمفكرين ولجنة الشخصيات البارزة، وإيمانا بإمكانية نهوض الأمة الإسلامية، وسعيا إلى اتخاذ خطوات لتعزيز أواصر التضامن الإسلامي وتوحيد كلمة المسلمين وإظهار الصورة الحقيقة للإسلام وقيمه السمحة ومناهجه الحضارية، فقد تم وضع برنامج العمل العشري الذي يستعرض أبرز التحديات التي يواجهها العالم الإسلامي المعاصر وسبل التعامل معها على نحو يتوخى الموضوعية والواقعية ليكون بمثابة برنامج عملي قابل للتنفيذ والتطبيق من كافة الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي.

ففي المجال الفكري والسياسي هناك قضايا هامة من قبيل ترسيخ قيم الوسطية والاعتدال والتسامح، ومناهضة التطرف والعنف ومكافحة الإرهاب، والتصدي لظاهرة كراهية الإسلام، وتحقيق التضامن والتعاون بين الدول الإسلامية ومنع النزاعات بينها، وقضية فلسطين، وحقوق الجماعات والمجتمعات المسلمة، ورفض العقوبات الأحادية الجانب، وكلها قضايا تستوجب التزامات متجددة لمعالجتها من خلال اعتماد استراتيجيات فعالة. ويتعين في هذا الصدد إيلاء اهتمام خاص لإفريقيا التي تعد أشد مناطق العالم تضررا من الفقر، والإمراض والأمية والمجاعة وعبء الدين. وأما في المجالين الاقتصادي والعلمي فإنه يتعين على الأمة تحقيق مستويات أعلى من التنمية والازدهار، نظرا لما يزخر به العالم الإسلامي من موارد اقتصادية وطاقات هائلة، وذلك عن طريق إعطاء الأولوية لتعزيز التعاون الاقتصادي والتجارة البينية والتخفيف من وطأة الفقر في دول منظمة المؤتمر الإسلامي خاصة الأماكن المتضررة من الصراعات، ومعالجة القضايا المرتبطة بالعولمة والتحرير الاقتصادي والبيئة والعلوم والتقنية. أما فيما يتعلق بالتعليم والثقافة، فإن هناك حاجة ماسة إلى معالجة تفشي

ظاهرة الأمية وتدني مستوى التعليم على مختلف مستوياته، وتقويم الانحرافات الفكرية. وفي المجال الاجتماعي يتعين الاهتمام بحقوق المرأة والطفل والأسرة. ويعتبر دور منظمة المؤتمر الإسلامي في تنفيذ هذه الرؤى والأهداف للعالم الإسلامي دورا مركزيا، مما يستدعي إصلاحها بما يمكنها من الاستجابة لآمال الأمة الإسلامية وتطلعاتها في القرن الحادي والعشرين.

ولكي يتسنى تحقيق هذه الرؤى من أجل مستقبل أكثر إشراقا وازدهارا وكرامة، قررنا نحن ملوك ورؤساء الدول الأعضاء وحكوماتها في منظمة المؤتمر الإسلامي المصادقة على برنامج العمل العشري التالي من أجل تنفيذه فوراً، والالتزام بمراجعته في منتصف هذه الفترة العشرية.

١. القضايا الفكرية والسياسية:

أولا: الإرادة السياسية

١- التحلي بالإرادة السياسية الضرورية لتحويل الرؤية المأمولة إلى واقع ملموس، وتكليف الأمين العام باتخاذ ما يلزم من تدابير لتقديم مقترحات عملية إلى الدول الأعضاء للنظر فيها ومن ثم رفعها إلى المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية.

٢- حث الدول الأعضاء على تنفيذ أحكام ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي وقراراتها تنفيذا كاملا.

ثانيا: التضامن والعمل الإسلامي المشترك

١- تأكيد الجدية والمصداقية في العمل الإسلامي المشترك عبر التنفيذ الفاعل لقرارات منظمة المؤتمر الإسلامي، والتركيز على اتخاذ القرارات القابلة للتطبيق إلى أن تبلغ الأمة أهدافها، وتمكين الأمين العام من القيام بدوره كاملا في متابعة تنفيذ القرارات الصادرة عن المنظمة.

٢- تأكيد التضامن الإسلامي بين الدول الأعضاء في المنظمة إزاء التحديات والتهديدات التي تواجهها أو تتعرض لها الأمة الإسلامية، وتكليف الأمين العام بوضع إطار عام بالتشاور مع الدول الأعضاء لتحديد واجباتها والتزاماتها في هذا الصدد، بما في ذلك التضامن وتقديم الدعم للدول الأعضاء التي تواجه تهديدات.

٣- المشاركة والتنسيق الفاعل في جميع المحافل الإقليمية والدولية من أجل حماية وتعزيز المصالح الجماعية للأمة الإسلامية، بما في ذلك عملية إصلاح الأمم المتحدة وتوسيع مجلس الأمن، وتقديم الدعم اللازم للمرشحين الذين تقدمهم الدول الأعضاء للمنظمات الدولية والإقليمية.

٤- المحافظة على قضية القدس الشريف كقضية مركزية للمنظمة وللأمة الإسلامية.

٥- يؤكد من جديد القرارات والمقررات السابقة الصادرة عن منظمة المؤتمر الإسلامي بشأن جامو وكشمير، وقبرص، وناجورنو كاراباغ، والصومال، التي تظهر التضامن مع الشعوب المسلمة في قضاياها العادلة.

ثالثا: الإسلام دين الوسطية

١- العمل على نشر الأفكار الصحيحة عن الإسلام بصفته دين الوسطية والاعتدال والتسامح لتعزيز حصانة المسلم ضد التطرف والانغلاق.

٢- إدانة التطرف في كل صوره وأشكاله، بوصفه لا يتفق مع القيم الإسلامية والإنسانية، ومعالجة جذوره السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والتصدي لها عبر برامج التنمية وحل النزاعات السياسية المزمنة، وبالفكر والإقناع والموعظة الحسنة.

٣- التأكيد أن حوار الحضارات، المبني على الاحترام والفهم المتبادلين والمساواة بين الشعوب، أمر ضروري للسلم العالمي والأمن والتسامح والتعايش السلمي، والمشاركة في بلورة آلياته.

٤- تشجيع الحوار بين الأديان، وإبراز القيم والقواسم المشتركة بينها.

٥- مساهمة المنظمة وأجهزتها كشريك فاعل في حوار الحضارات والأديان والمبادرات والجهود المتعلقة بهذا الشأن.

٦- الاستفادة من وسائل الإعلام المتنوعة في خدمة ونصرة قضايا الأمة الإسلامية، ونشر مبادئ وقيم الإسلام السمحة، وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام.

٧- الحرص على تدريس التربية والثقافة والحضارة الإسلامية وفقه الاختلاف

وأدبه، ودعوة الدول للتعاون فيما بينها لتطوير مناهج دراسية متوازنة تعزز قيم التسامح وحقوق الإنسان والانفتاح والتفاهم مع الأديان والحضارات الأخرى، وتنبذ الغلو والتطرف، وترسخ الاعتزاز بالهوية الإسلامية

رابعا: تعدد المذاهب

١. التأكيد على ضرورة تعميق الحوار بين المذاهب الإسلامية، وعلى صحة إسلام اتباعها، وعدم جواز تكفيرهم، وحرمة دمائهم وأعراضهم وأموالهم، ما داموا يؤمنون بالله - سبحانه وتعالى - وبالرسول - صلى الله عليه وسلم - وببقية أركان الإيمان، ويحترمون أركان الإسلام ولا ينكرون معلوما من الدين بالضرورة.

٢. التنديد بالجرأة على الفتوى ممن ليس أهلا لها، مما يعد خروجا على قواعد الدين وثوابته وما استقر من مذاهب المسلمين. وهذا يوجب التأكيد على ضرورة الالتزام بمنهجية الفتوى كما أقرها العلماء؛ وذلك وفق ما تم ايضاحه في الأمرين في قرارات المؤتمر الإسلامي الدولي الذي عقد في عمان في شهر يوليو ٢٠٠٥ وفي توصيات منتدى العلماء والمفكرين التحضيري لهذه القمة والذي عقد بدعوة من خادم الحرمين الشريفين في مكة المكرمة خلال الفترة ٩-٢٠٠٥/٩/١١م.

خامسا: مجمع الفقه الإسلامي

١- تكليف الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي بدعوة مجموعة من أعضاء مجمع الفقه وكبار العلماء من خارجه لوضع دراسة تفصيلية لتطوير عمل المجمع وتقديمها لاجتماع وزراء خارجية الدول الإسلامية بما يتلاءم والأهداف التالية:

أ- التنسيق بين جهات الفتوى في العالم الإسلامي.

ب- مواجهة التطرف الديني والتعصب المذهبي، وعدم تكفير المذاهب الإسلامية، والتأكيد على الحوار بين المذاهب الإسلامية، وتعزيز الاعتدال والوسطية والتسامح.

ج- دحض الفتاوى التي تخرج المسلمين عن قواعد الدين وثوابته وما استقر من

مذاهبه.

سادسا: مكافحة الإرهاب

١- التأكيد على إدانة الإرهاب بجميع أشكاله ورفض أي مبرر أو مسوغ له، وأنه ظاهرة عالمية لا ترتبط بأي دين أو جنس أو لون أو بلد، والتمييز بينه وبين مشروعية مقاومة الاحتلال الأجنبي التي لا تستبيح دماء المدنيين الأبرياء.

٢- إحداث تغييرات نوعية شاملة في القوانين والأنظمة الوطنية لتجريم كافة الممارسات الإرهابية وجميع أشكال دعمها وتمويلها والتحريض عليها.

٣- تأكيد الالتزام بمعاهدة منظمة المؤتمر الإسلامي لمكافحة الإرهاب، والمشاركة الفاعلة في الجهود الدولية لمحاربته، والعمل على تنفيذ التوصيات الصادرة عن المؤتمر الدولي لمكافحة الإرهاب الذي عقد بالرياض في فبراير ٢٠٠٥م ، بما في ذلك إنشاء المركز الدولي لمكافحة الإرهاب، وكذلك توصيات الاجتماع الخاص لوزراء الخارجية بشأن الإرهاب الذي عقد في كوالالمبور في ابريل ٢٠٠٢م.

٤- دعم الجهود الرامية إلى وضع مدونة سلوك دولية لمكافحة الإرهاب، وكذلك عقد مؤتمر دولي أو دورة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة لتأكيد التوافق الدولي على وضع استراتيجية متكاملة لمكافحة هذه الظاهرة الخطيرة.

سابعا: محاربة ظاهرة كراهية الإسلام

١- التأكيد على مسؤولية المجتمع الدولي، بما فيها جميع الحكومات، لضمان احترام جميع الأديان ومحاربة الإساءة إليها.

٢- ضرورة مناهضة كراهية الإسلام والخوف منه، عن طريق قيام الأمانة العامة بإنشاء مرصد للمتابعة المستمرة لجميع أوجه هذه الظاهرة وإصدار تقرير سنوي حولها والتعاون مع المنظمات الحكومية وغير الحكومية المعنية للتصدي لها.

٣- العمل على استصدار قرار دولي من الأمم المتحدة للتصدي لظاهرة كراهية الإسلام، ودعوة جميع الدول إلى سن قوانين ضدها تتضمن عقوبات رادعة.

٤- مباشرة حوار منظم ومستمر قصد إبراز القيم الحقيقة للإسلام ومساهمة

البلدان الإسلامية في الحرب ضد التطرف والإرهاب.

ثامنا: حقوق الإنسان والحكم الرشيد

١- السعي الحثيث إلى توسيع نطاق المشاركة السياسية وضمان المساواة والحريات المدنية والعدالة الاجتماعية وتعزيز الشفافية والمساءلة والقضاء على الفساد في دول منظمة المؤتمر الإسلامي.

٢- دعوة المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية لدراسة إمكانية إنشاء هيئة مستقلة دائمة لتعزيز حقوق الإنسان في الدول الأعضاء وفقاً لما نص عليه إعلان القاهرة لحقوق الإنسان في الإسلام. والدعوة أيضا لوضع ميثاق إسلامي لحقوق الإنسان، وإدخال تعديلات على القوانين والأنظمة الوطنية لضمان احترام حقوق الإنسان في الدول الأعضاء.

٣- تكليف الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي بالتعاون مع غيرها من المنظمات الدولية والإقليمية لضمان حقوق المجتمعات المسلمة في الدول غير الاعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، وتعزيز التعاون الوثيق مع حكومات الدول التي تقيم فيها المجتمعات المسلمة.

تاسعا: فلسطين والأراضي العربية المحتلة

١- بذل جميع الجهود لإنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأرض الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م، بما فيها القدس الشريف والجولان السوري واستكمال الانسحاب الإسرائيلي الكامل من بقية الأراضي اللبنانية المحتلة وفقاً للقرار ٤٢٥، وتقديم الدعم الفاعل لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

٢- المحافظة على موقف موحد من الحل الشامل للقضية الفلسطينية وفقاً لقرارات منظمة المؤتمر الإسلامي وقرارات الامم المتحدة، بما في ذلك قرارات مجلس الأمن ٢٤٢، ٣٣٨، ١٥١٥ وقرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم ١٩٤ ومبادرة السلام العربية وخارطة الطريق، وذلك بالتنسيق والتشاور مع الأمم المتحدة واللجنة الرباعية الدولية ومع غيرهما من الفاعلين ، بحيث يكون

الانسحاب الكامل شرطاً للعلاقات الطبيعية مع إسرائيل ، وإعطاء منظمة المؤتمر الإسلامي دوراً أكبر في جهود تحقيق السلام.

٣- التأكيد على مركزية قضية القدس للأمة الإسلامية وتكريس الحقوق الفلسطينية فيها، والحفاظ على تراثها وهويتها العربية والإسلامية وكرمز للتسامح وملتقى للأديان السماوية، وتأكيد حرمة المسجد الأقصى ومرافقه من الانتهاكات وحماية الأماكن المقدسة الأخرى الإسلامية والمسيحية، والتصدي لسياسة تهويد المدينة المقدسة، ودعم الجهود التي تقوم بها لجنة القدس برئاسة صاحب الجلالة الملك محمد السادس، والدعوة لدعم بيت مال القدس وصندوق الأقصى ودعم صمود أهل القدس ومؤسساتها وإنشاء جامعة الأقصى في القدس الشريف.

٤- تقديم الدعم الكامل للسلطة الفلسطينية فيما تبذله من جهود في التفاوض للحصول على حقوق الشعب الفلسطيني، وتقديم المساعدة الضرورية لفرض سيطرتها على جميع الاراضي الفلسطينية ونقاط العبور الدولية، وإعادة فتح مطار غزة وميناءها وربط غزة بالضفة الغربية لضمان حرية تنقل الفلسطينيين.

٥- العمل مع المجتمع الدولي من أجل حمل إسرائيل على وقف الاستيطان وتفكيك المستوطنات داخل الأراضي الفلسطينية والجولان السوري المحتل، وإزالة جدار الفصل العنصري المقام داخل الاراضي الفلسطينية، بما في ذلك مدينة القدس ومحيطها ، وفقاً لقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة ورأي محكمة العدل الدولية.

عاشرا: منع نشوب النزاعات وتسويتها وبناء السلم

١- تعزيز دور منظمة المؤتمر الإسلامي في منع نشوب النزاعات وفي بناء الثقة وحفظ السلم وتسوية النزاعات، وإعادة الإعمار في مرحلة ما بعد انتهاء النزاع في الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي بالإضافة إلى الحالات التي تكون فيها المجتمعات المسلمة طرفا من أطراف النزاع.

٢- تعزيز التعاون بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، وبينها وبين

المنظمات الدولية والإقليمية، بهدف ضمان الحقوق والمصالح للدول الأعضاء في مجال منع نشوب النزاعات وحلها وإحلال السلم وبناء الثقة.

حادي عشر: إصلاح منظمة المؤتمر الإسلامي

١- إصلاح منظمة المؤتمر الإسلامي عبر إعادة هيكلتها ، والنظر في تغيير اسمها، ومراجعة ميثاقها ونشاطاتها، ودعمها بالكفاءات المهنية العالية، على نحو ينمي دورها، ويفعل مؤسساتها، ويعزز علاقاتها مع المنظمات غير الحكومية المعترف بها، وتمكين الأمين العام من القيام بواجباته ومده بالصلاحيات اللازمة والمرونة الكافية والموارد التي تمكنه من القيام بالمهام المناطة به، وتفعيل جميع الأجهزة المتخصصة والمنتمية لمنظمة المؤتمر الإسلامي للاضطلاع بدورها المنشود، وتقوية التنسيق مع الأمانة العامة، والطلب منها مراجعة أنشطة هذه الأجهزة والتوصية بإلغاء ما يثبت عدم فعاليته.

٢- إيجاد آلية لمتابعة تنفيذ القرارات عبر إنشاء جهاز تنفيذي مكون من المجموعتين الثلاثيتين للقمة والمؤتمر الوزاري، وكذلك بلد المقر، والأمانة العامة، على أن تدعي الدول الأعضاء المعنية للمشاركة في الاجتماعات الخاصة بهذا الشأن.

٣- تكليف الأمين العام بإعداد دراسة لتعزيز دور صندوق التضامن الإسلامي وتطويره على أن تقدم الدراسة لمؤتمر وزراء الخارجية.

٤- حث الدول الأعضاء على تسديد مساهماتها الإلزامية في ميزانيات الأمانة العامة والأجهزة الفرعية بكيفية كاملة وفي موعدها، وذلك بموجب القرارات الصادرة في هذا الشأن، حتى يتسنى لها الاستفادة من التسهيلات والخدمات التي تقدمها الأجهزة المتفرعة والمؤسسات المنتمية والمتخصصة للمنظمة.

٢. التنمية والقضايا الاقتصادية والاجتماعية والعلمية

أولا: التعاون الاقتصادي

١- دعوة الدول الأعضاء إلى التوقيع والمصادقة على جميع الاتفاقيات التجارية والاقتصادية الحالية الموضوعة في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، وتنفيذ الفصول

الواردة في خطة عمل منظمة المؤتمر الإسلامي ذات الصلة، الرامية إلى تعزيز التعاون الاقتصادي والتجاري بين الدول الأعضاء.

٢- تكليف الكومسيك بالعمل على تعزيز نطاق التجارة البينية بين الدول الأعضاء ودراسة إمكانية إنشاء منطقة التجارة الحرة بينها لتحقيق مزيد من التكامل الاقتصادي، والوصول بها إلى نسبة ٢٠% من إجمالي حجم التجارة خلال مدة الخطة. ودعوة الدول الأعضاء لدعم نشاطات الكومسيك والمشاركة في تلك النشاطات على أعلى مستوى ممكن وبوفود تتمتع بالخبرة الضرورية.

٣- تعزيز المساعي الرامية إلى اضفاء الصبغة المؤسسية على التعاون بين منظمة المؤتمر الإسلامي والمؤسسات الإقليمية والدولية العاملة في مجال الاقتصاد والتجارة.

٤- دعم الدول الإسلامية الساعية للانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، وتنسيق المواقف بين الدول الإسلامية الأعضاء في منظمة التجارة العالمية.

٥- دعوة الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي إلى تسهيل حركة انتقال رجال الأعمال والمستثمرين عبر حدودها.

٦- دعم توسيع التجارة الإلكترونية بين الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، ودعوة الغرفة الإسلامية للتجارة والصناعة لتعزيز نشاطها في عملية تبادل المعلومات والخبرات بين غرف التجارة في الدول الأعضاء.

٧- دعوة الدول الأعضاء إلى تنسيق سياساتها البيئية ومواقفها في المنتديات البيئية العالمية حتى لا تنعكس سلباً على تنميتها الاقتصادية.

ثانيا: دعم البنك الإسلامي للتنمية

١- يُنشأ في البنك الإسلامي للتنمية صندوق خاص يهدف للمساهمة في معالجة مشكلات الفقر والتخفيف من وطأته وتوفير فرص العمل، ويكلف مجلس محافظي البنك بوضع هذا الصندوق موضع التنفيذ بما في ذلك آليات تمويله.

٢- تكليف البنك الإسلامي للتنمية بالتنسيق مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي بإجراء الاتصالات اللازمة مع منظمة الصحة العالمية والمؤسسات

الأخرى ذات العلاقة لوضع برامج لمكافحة الأمراض والأوبئة تمول من الصندوق الخاص الذي سينشأ في البنك الإسلامي للتنمية.

٣- تكليف مجلس محافظي البنك الإسلامي للتنمية لاتخاذ التدابير اللازمة لرفع رأسماله المصرح به والمكتتب فيه والمدفوع، وذلك من أجل تمكينه من تفعيل دوره في تقديم الدعم المالي والمساعدة الفنية للدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، ولتعزيز المؤسسة الإسلامية لتمويل التجارة التي أنشئت مؤخرا في إطار البنك الإسلامي للتنمية.

٤- حث البنك الإسلامي للتنمية على تطوير آلياته وبرامجه الهادفة للتعاون مع القطاع الخاص، والنظر في تبسيط وتفعيل إجراءات اتخاذ القرارات.

٥- حث البنك الإسلامي للتنمية والمؤسسات التابعة له على تنمية فرص الاستثمار والتجارة البينية وإنجاز مزيد من دراسات الجدوى وتوفير المعلومات اللازمة لتطوير المشروعات المشتركة والترويج لها.

ثالثا: التكافل الاجتماعي في مواجهة الكوارث

١- الدين الإسلامي يحث على التكافل والمساعدة لكافة المحتاجين بدون تمييز، مما يحتم على الدول الإسلامية بلورة وإقرار استراتيجية واضحة للعمل الإغاثي الإسلامي، ودعم التوجه نحو التنسيق والتعاون فيما بين الجهود الإغاثية المنفردة للدول الإسلامية وبين الهيئات ومؤسسات المجتمع المدني الإسلامي من جهة، والمنظمات ومؤسسات المجتمع المدني الدولية من جهة أخرى.

٢- مساعدة الدول المتضررة من الكوارث على إعادة تشكيل مخزوناتها من الأغذية.

رابعا: دعم التنمية والتخفيف من وطأة الفقر في إفريقيا

١- تعزيز النشاطات الرامية إلى تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلدان الإفريقية، بما في ذلك دعم المسيرة الصناعية وتنشيط التجارة والاستثمار ونقل التكنولوجيا والتخفيف من عبء الديون والفقر والقضاء على الأمراض، والترحيب بمبادرة الشراكة الجديدة للتنمية الإفريقية "نيباد"، من خلال تبني

برنامج خاص للتنمية في إفريقيا.
٢- دعوة الدول الأعضاء إلى المشاركة في الجهود الدولية لدعم البرامج الرامية إلى التخفيف من حدة الفقر وبناء القدرات في البلدان الأقل نموا الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي.
٣- حث الدول الأعضاء الدائنة لإلغاء الديون الثنائية ومتعددة الأطراف المستحقة على الدول الأعضاء ذات الدخل المنخفض.
٤- حث المؤسسات والمنظمات الدولية المتخصصة لبذل جهود أكبر في التخفيف من حدة الفقر في الأعضاء الأقل نمواً ومساعدة المجتمعات المسلمة واللاجئين والنازحين في الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي والجماعات والمجتمعات المسلمة في الدول غير الأعضاء، وحث الدول على المساهمة في الصندوق العالمي للتضامن ومكافحة الفقر.

خامسا: التعليم العالي والعلوم والتقنية

١- تحسين وإصلاح مؤسسات التعليم ومناهجه في كافة مراحله وربط استراتيجيات الدراسات الجامعية العليا بخطط التنمية الشاملة في العالم الإسلامي مع إيلاء الأولوية لدراسة العلوم والتقنية وتسهيل التفاعل العلمي وتبادل المعارف فيما بين المؤسسات الأكاديمية للدول الأعضاء، وحث الدول الأعضاء على السعي إلى تعليم متميز بالجودة يعزز الابداع والابتكار والبحث والتطوير.
٢- استيعاب المسلمين ذوي المؤهلات العالية داخل العالم الإسلامي ووضع استراتيجية شاملة للاستفادة من كفاءاتهم، والحد من ظاهرة هجرة العقول.
٣- تكليف الأمانة العامة بدراسة إنشاء جائزة منظمة المؤتمر الاسلامي للإنجازات العلمية المتميزة للعلماء المسلمين.
٤- دعوة الدول الإسلامية إلى تشجيع برامج البحث والتطوير أخذا في الاعتبار أن النسبة العالمية في هذا النشاط في الدول المتقدمة هي ٢% من إجمالي الناتج المحلي، ودعوة الدول الأعضاء ألا تقل مساهمتها في هذا النشاط عن نصف هذه النسبة.

٥- العمل على الاستفادة من النتائج الهامة للقمة العالمية لمجتمع المعلومات بتونس، التي أسهمت فيها جميع الدول الإسلامية، بصفة بناءة، بغية التقليص من الفجوة الرقمية بين الدول المتقدمة والدول النامية. ودعوة الأمانة العامة للمنظمة إلى متابعة هذه النتائج، لتعزيز قدرات الدول الأعضاء على الانخراط في مجتمع المعرفة، بما يدعم مسيرة التنمية في الدول الإسلامية.
٦- تشجيع المؤسسات ومراكز البحوث الوطنية الحكومية والخاصة على الاستثمار في بناء القدرات التقنية، لا سيما في مجال الاكتفاء الذاتي في استخدام التكنولوجيا المتقدمة، كالحصول على التكنولوجيا النووية للأغراض السلمية.
٧- مراجعة أداء المؤسسات الجامعية المنتمية لمنظمة المؤتمر الإسلامي لتحسين فعاليتها ونجاعتها، والدعوة إلى المساهمة في الوقفين المخصصين للجامعتين في النيجر وأوغندا، وتقديم الدعم إلى الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا.
٨- يدعو الدول الأعضاء إلى تعزيز الدعم للجامعة الإسلامية للتكنولوجيا في بنغلاديش بغية تمكينها من زيادة مساهمتها في بناء قدرات الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي عن طريق تنمية الموارد البشرية.
٩- حث البنك الإسلامي للتنمية على تعزيز برنامجه للمنح الدراسية للمتفوقين والتقانة العالية الهادف إلى تطوير القدارت والإمكانات العلمية والتقنية والبحثية لدى العلماء والباحثين في الدول الأعضاء.

سادسا: حقوق المرأة واحتياجات الشباب والعائلة في العالم الإسلامي

١- تعزيز القوانين الرامية إلى النهوض بالمرأة في المجتمع المسلم في المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والسياسية وحمايتها من جميع أشكال العنف والتمييز، واحترام أحكام اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة وفقا للقيم الإسلامية للعدالة والمساواة.
٢- إيلاء اهتمام خاص بتعليم المرأة ومكافحة الأمية في أوساط النساء.
٣- الإسراع في وضع العهد الخاص بحقوق المرأة في الإسلام طبقاً للقرار ٢٧/٦٠- P وإعلان القاهرة بشأن حقوق الإنسان في الإسلام.

٤- السعي إلى توفير تعليم أساسي مجاني وذي نوعية جيدة لجميع الأطفال.
٥- تعزيز القوانين الرامية إلى الحفاظ على رعاية الأطفال، وتمتعهم بأعلى المستويات الصحية الممكنة، واتخاذ تدابير فعالة للقضاء على شلل الاطفال، وحمايتهم من جميع أشكال العنف والاستغلال.
٦- تشجيع الدول الأعضاء على التوقيع والمصادقة على عهد منظمة المؤتمر الاسلامي الخاص بحقوق الطفل في الإسلام، واتفاقية الأمم المتحدة حول حقوق الطفل في الإسلام، واتفاقية الأمم المتحدة حول حقوق الطفل والبروتوكولات الاختيارية الملحقة بها، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة والبروتوكول المرفق بها المتعلق بحقوق الطفلة.
٧- دعوة الدول الأعضاء لدعم وترقية برامج ومنتديات الشباب.
٨- دعوة منظمة المؤتمر الإسلامي إلى المساهمة في إبراز الإسلام كدين يضمن الحماية الكاملة لحقوق المرأة ويشجع مشاركتها في جميع مجالات الحياة.
٩- إيلاء الاهتمام اللازم بالأسرة كنواة أساسية للمجتمع المسلم، وبذل كافة الجهود الممكنة، وعلى جميع الأصعدة، للتصدي للتحديات الاجتماعية المعاصرة التي تواجه الأسرة المسلمة وتؤثر على تماسكها، وذلك انطلاقا من القيم الإسلامية.
١٠- إنشاء إدارة معنية بشؤون الأسرة في إطار إعادة الهيكلة في الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

سابعا: التبادل الثقافي والمعلوماتي بين الدول الأعضاء

١- دعوة القنوات التلفزيونية ووسائل الإعلام إلى التعامل مع الإعلام الخارجي بكيفية فعالة لتمكين العالم الإسلامي من عرض وجهة نظره من المستجدات على الساحة العالمية. ودعوة وسائل الإعلام في الدول الأعضاء، بما فيها القنوات الفضائية، للاتفاق على مدونة اخلاق تراعي التنوع والتعددية وتحفظ قيم الامة ومصالحها. وتكليف الأمين العام بإعداد تقييم للوضع الحالي لوكالة الانباء الاسلامية الدولية "إينا"، ومنظمة إذاعات الدول الإسلامية "اسبو"، وإدارة

الإعلام بالأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، ودراسة سبل تفعيل دور الإعلام وآلياته في إطار منظومة منظمة المؤتمر الإسلامي، وتقديم اقتراحات لهذا الغرض تعرض على اجتماع لوزراء الإعلام للنظر فيها. والاهتمام باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم وتطوير برامج الترجمة بين لغات بلدان الأمة الإسلامية، وتنفيذ برامج للتبادل الثقافي بين الدول الأعضاء والمراقبة.

٢- في هذا الإطار فإنه يجب تفعيل اللجنة الدائمة للإعلام والشؤون الثقافية لمنظمة المؤتمر الإسلامي (الكومياك) بهدف بذل المزيد من الاهتمام بالمسائل ذات الصلة بالإعلام والثقافة في الدول الأعضاء. وفي هذا السياق، على الدول الأعضاء دعم صندوق التضامن الرقمي دعما طوعيا لتمكين منظمة المؤتمر الإسلامي من المشاركة الكاملة في الحملة الهادفة إلى القضاء على الفجوة الرقمية.

السؤال بعد ذلك العرض: أين موقع تلك التوصيات والجهود المبذولة في صياغتها في الواقع الراهن للعالم العربي والإسلامي؟ إننا بحاجة لإعادة اكتشافها من جديد. بغرض إصلاح العالم الإسلامي بصفة عامة وإصلاح التعليم بصفة خاصة.

الفصل العاشر: المبادئ الإستراتيجية العامة لإصلاح التعليم في العالم العربي والإسلامي في ضوء الدروس المستفادة من مشاريع الإصلاح الحالية.

قراءة لوثيقة مكة ومشروع ٢٠٢٠م بمصر

قد يتساءل البعض في ضوء ما يتم حاليا من مشروعات مستقبلية لإصلاح التعليم في كثير من البلدان العربية ولكن مازال حال التعليم على ما هو عليه من تدهور وقصور عن تحقيق أهدافه فما السبب في ذلك وهل تلك المشروعات المستقبلية لم تسر في طريق صحيح للإصلاح؟ لعل ذلك يدعو بالضرورة إلى دراسة الدروس المستفادة من تلك المشروعات القائمة بالفعل، كما أن ذلك يدعو إلى دراسة الأسباب التي تجعل تلك المشروعات عقيمة الفائدة ولا تؤتى ثمارها بعد، أو أن قرارتها شبه مغيبة ولا تطبق بالفعل مثل (وثيقة مكة ومشروع مصر ٢٠٢٠م).

لعل تلك الأسباب متعددة منها ما هي أسباب داخلية كما أن منها أسباب خارجية لا تخفى على أحد، خاصة في ظل "عولمة الثقافة" وهيمنة الدول الكبرى على الدول النامية وما قد يوحى بنظرية "المؤامرة" على العالم العربي خاصة والعالم الإسلامي عامة ولعل كثير من الكتابات توحي بذلك مثل: كتاب الغارة الأمريكية الكبرى على العالم الإسلامي (١٦٩) – والمؤامرة على التعليم (١٧٠) – المؤامرة والتاريخ (١٧١) –الغلو والمغالاة (١٧٢) – مؤامرة على الثقافة المصرية (١٧٣)- والمؤامرة الكبرى (١٧٤) وغير تلك الكتابات الكثيرة التي توحي بالمؤامرة.

المؤامرة على تخريب العالم العربي والإسلامي: حقيقة أم وهم

وعلى فرض وجود مؤامرة لتخريب العالم الإسلامي بخاصة واعتبار الإسلام "الخطر الأخضر" بعد زوال "الخطر الأحمر" المتمثل في الشيوعية فإن القراءة

المتأنية والفاحصة لتوصيات وثيقة مكة وبما تم من إجراءات في مشروع ٢٠٢٠م بمصر يوضح بجلاء أن القائمين بالإصلاح في كافة أرجاء الوطن العربي والإسلامي يدركون حجم تلك المؤامرة وخطورتها وعلى وعي تام بها، وأنهم يدركون ضرورة أن نصنع مستقبلنا بأنفسنا وألا يصنعه لنا أحد. ولكن السؤال الذي سبق طرحه وهو ما موقع تلك التوصيات في الواقع الراهن وما هي درجة تنفيذها؟ وهل هي مغيبة ومفقودة وهل يجب إعادة اكتشافها من جديد؟ وما أسباب ذلك إن كنا مدركين للخطر الخارجي المتمثل في المؤامرة على العالم الإسلامي؟ وهل يصيبنا الإحباط واليأس في ظل جو المؤامرة ونترك العالم العربي والإسلامي فريسة تلك المؤامرات ولا نقوم بالإصلاح وصنع مستقبلنا بأنفسنا فيظهر الفراغ الذي يهرول الأخرون لملئه والقيام بإصلاح العالم العربي والإسلامي وفق أهواء الخارج وتنجح المؤامرة إن كان هناك مؤامرة بالفعل. ولعل ذلك نعيشه الآن من محاولة لتفتيت العالم العربي الإسلامي وإشعال الفتن لإضعافه.. مما قد يوحي للبعض إن "منطق المؤامرة" من الخارج منطق صحيح وبذلك فإن المؤامرة حقيقة وليست وهما.. فماذا نحن فاعلون؟ أنتركهم يخططون لنا مستقبلنا على هواهم أم نقوم بصنع مستقبلنا بأنفسنا ونعيد اكتشاف روح توصياتنا في وثيقة مكة وفي مشروع ٢٠٢٠ م بمصر وأن يكون التعليم هو المشروع القومي للعالم العربي والإسلامي وأن يكون إصلاحه القاطرة التي تدفع بالعالم العربي والإسلامي للتقدم، وأن يكون شعورنا الحقيقي أن المؤامرة على العالم الإسلامي وإن كانت في حقيقتها حقيقة إلا أنها "وهما" نعيشه لكي نصاب بالإحباط فنترك صناعة مستقبلنا لغيرنا، ونظل نسير في فلك التبعية للآخر.. أليس ذلك مخزيا للحضارة الإسلامية والعربية التي سادت العالم وما زالت سائدة بقيمها ومبادئها .

إصلاح التعليم مدخل لإصلاح الأمة الإسلامية

لعل البعض يرى أنه يمكن ببساطة وضع حلول فورية لإشكالياتنا التعليمية المتراكمة عبر العصور، وأننا نستطيع مواجهة التحديات الحاضرة والمستقبلية

بدون أي معوقات أو مشكلات تواجهنا اثناء محاولتنا لإصلاح التعليم في العالم العربي والإسلامي. إن الحقيقة غير ذلك وإنه ليس في استطاعة فرد أو مجموعة - مهما كان أو كانت قوتها العلمية - أن تضع حلولا فورية جاهزة لإصلاح التعليم.

نحن الأن أحوج ما نكون – نحن العرب والعالم الإسلامي كله – إلى متطلبات أساسية نتفق على صحتها كمسلمات بدائية للبدء في إصلاح التعليم ومنها:

أولا: إيجاد ألية لحل "إشكالية العمل العربي المشترك" لإصلاح التعليم :

ذلك لأن مواجهة إشكاليات التعليم المتنوعة الأبعاد تحتاج بالإضافة إلى التعاون العربي المشترك بغرض تمويل مشاريع الإصلاح التي تحتاج أيضا إلى جهود المفكرين في كل أرجاء العالم العربي والإسلامي للخروج برؤية وطنية مشتركة تعبر عن طموحات افراد المجتمعات العربية والإسلامية.

ثانيا: الإرادة السياسية الواعية :

يجب أن تكون المشروعات الإصلاحية مدعومة ماديا ومعنويا من الحكومات وأصحاب القرار السياسي في العالم الإسلامي وفق خطة استراتيجية ثابتة لا تتغير بتغير الأشخاص في مواقع اتخاذ القرار (ولعل ذلك المتطلب كانت الوصية الأولى في وثيقة مكة)

ثالثا: دراسة شاملة للبنية الأساسية للتعليم وعلاقته بالتنمية الشاملة المستدامة:

ولعل ذلك ما سعى إليه القائمون في مشروع ٢٠٢٠م بمصر من إعداد دراسات شاملة لكافة مرافق الحياة بالمجتمع ولكن لم توظف نتائجها بعد فهل آن الأوان لاكتشافها من جديد والبدء من حيث انتهى الأخرون مع تكرار ما تم في مصر في كافة بلدان العالم الإسلامي.

رابعا: إعداد مخطط زمني وفق إستراتيجية شاملة للتطوير الشامل للتعليم :

يتم الاتفاق على إستراتيجية شاملة للتعليم، ويتم تحويل تلك الإستراتيجية إلى جدول زمني قد يستغرق عشر سنوات (كما في وثيقة مكة من ٢٠٠٥-٢٠١٥م)

والتي انتهت مدتها أو عشرين عاما كما في مشروع ٢٠٢٠م والذي أصيب بالسكتة القلبية، ووئدت كل نشاطاته فهل بينكم أيها المشاركون في المشروع رجل رشيد؟ يعيد الحياة للمشروع من جديد.

التوصيات العامة لمواجهة إشكاليات التعليم:

في ضوء نتائج الدراسات التحليلية للواقع الراهن للتعليم في العالم العربي والإسلامي وفي ضوء التحديات الحاضرة والمستقبلية التي تواجهنا خاصة "الإرهاب بكل أشكاله" الذي يحصد كل ما نقوم به من مجهودات للإصلاح يرى – الباحث – رؤية فردية للإصلاح في صورة توصيات عامة ـوإن كان يؤمن بأن نظرته الفردية قد تكون صواب وقد تكون خطأ - وأن رأيه قد يرد وينقض، وأن على الآخرين الإدلاء برؤيتهم عسى أن يكون فيها الخلاص من أزمة التعليم الحالية.. ولعل من التوصيات العامة (التي لاتعد حلولا جاهزة) ما يلي:

أولا: الحوار مع الآخر ضرورة للتعايش في سلام مستمر ودحر الإرهاب :

قضية الإرهاب بكل صوره وأشكاله -اليوم-أصبحت من القضايا المحورية في كثير من بلدان العالم خاصة العالم العربي والإسلامي، ولن تستطيع دول العالم أجمع التخلص من الإرهاب بدون الحوار مع الآخر في الداخل والخارج، وتأتي أهمية تلك القضية كقضية أولى في الاهتمام؛ لأن الإرهاب يحصد كل منجزات المجتمع في كافة نواحي الإنجاز، وللبقاء على تلك المنجزات التي تسعى لها المجتمعات لابد من العيش في سلام مستمر مع الأخر في الداخل والخارج على حد سواء.

لذلك قضية الحوار مع الآخر لمواجهة إشكالية "الانا والآخر" هدفها التعايش في سلام مستمر مع الآخر، ولن يكون ذلك متوافرا ما لم يقم الحوار على أساس فكري واضح يزيل اللبس بين الأفكار المغلوطة بين الأنا والآخر، والتي كان ومازال نتيجة لها ازدراء الأديان خاصة الدين الإسلامي وإلصاق تهمة الإرهاب بالمسلمين دون غيرهم، وانتشار "فوبيا الإسلام" في المجتمعات الغربية، ولدى غير المسلمين بالداخل أيضا وذلك نتيجة لغياب المعرفة الصحيحة والفهم العميق للإسلام

والمسلمين نتيجة المغالطات المدسوسة فيما بتلقونه من بيانات مغلوطة يتم علاجها للحصول على معلومات مغلوطة تؤدي بالتالي إلى معرفة غير صحيحة.. لذلك فإن الإرهاب منشأه فكر مغلوط نتيجة معرفة غير صحيحة، وقد تكون تلك البيانات المضللة عن الإسلام صادرة من مصادر إسلامية في العالم الإسلامي منها على سبيل المثال لا الحصر بعض الجماعات المتطرفة إسلاميا أو بعض غلاة الشيعة وغيرها ممن ينتسبون إلى الإسلام؛ لذا فإن الحوار مع الآخر لابد أن يبدأ من الداخل أولا لترتيب البيت الإسلامي من الداخل وللتوصل إلى الحجج الفكرية التي نتفق عليها جميعا لمواجهة الحوار مع الآخر بالخارج وقد يأخذ ذلك الحوار أشكالا ومستويات هي:

١) الحوار مع الأفراد أو الجماعات من أهل الديانة الواحدة (بين المسلمين – أو بين المسيحيين بعضهم مع بعض في كافة العالم الإسلامي تبعا لاختلافهم في الملل والنحل)

٢) الحوار الداخلي بين أهل الديانات في المجتمع الواحد مثل الحوار بين المسلمين والمسيحيين – أو بين المسلمين واليهود.

وقد يكون الحوار مع الآخر بالداخل يسير في خط موازٍ للحوار مع الآخر بالخارج؛ لأن الحوار مع الخارج من الضروريات الملّحة؛ نظرا لتقارب مجتمعات العالم بحيث أصبح العالم كله أشبه بقرية واحدة بفضل وسائل الاتصال وتكنولوجيا الإعلام الحديثة وبدون تحقيق ذلك الحوار مع الآخر بالخارج لا يتحقق السلم والسلام العالمي. وقد يكون هذا الحوار الفكري مع الآخر مدخلا مناسبا للحوار بين الأفراد والحوار بين أهل الحضارات والأديان في مرحلة لاحقة، ولذلك فإن الحوار مع الآخر قد يسير في مراحل هي:(١٧٥)(١٧٦)

١) مرحلة الحوار الفكري بين الافراد

٢) مرحلة الحوار الفكري بين أهل الحضارات

٣) مرحلة الحوار الفكري بين الاديان

ولعل المرحلة الاولى وهي تهتم بتفنيد الفكر الغربي ومغالطاته حول الإسلام والمسلمين هي أخطر المراحل وأهمها وذلك لما سببته "حركة الاستشراق" من مغالطات فكرية تسببت في إحداث "قطيعة" بين الشرق والغرب وذلك لممارسات الإقطاعية الغربية وهيمنتها على موضوع الدراسة، للمجتمع العينة الذي يوصف بالشرق "وظهر الاستشراق كفعالية من فعاليات التمركز الغربي على الذات"(١٧٧)

"فالفعالية الاستشراقية، بوصفها ممارسة عقلية غربية تكشف مظهرا من مظاهر العقل الغربي، في إعادة صياغته الآخر وفق رؤية محددة"(١٧٨)

لقد عملت المركزية الغربية على تجريد الاستشراق من محتواه، عملت على تفريغه من كياناته وزيفت كل خصوصياته الثقافية وفق نظرة عدائية ماعدا بعض الترضيات التي مارسها بعض المستشرقين ممن احتكوا أكثر من غيرهم بالمجتمعات الشرقية على سبيل المثال زغريد هونكه، تقول: لقد "انتزع الشرق الذي هو موضوع الاستشراق أو بعبارة أخرى الشرق الاستشراقي من بنيته الثقافية وأعيد إنتاجه غربيا ليوافق استراتيجية المركز الموجه وليكون جزءا من آلية عمل المركزية الغربية"(١٧٩)

وعملية الاستشراق ضرورة ملحة اقتضاها العقل الغربي؛ لأنه يطوى تحت عباءة الآخر بما يعيد إنتاج الخطاب المتفوق، وبما يسوقها ضمن السياقات الآخر.

ومُنْطَلَقَاتُ ومبررات العقل الغربي في عمليتي الإقصاء والاستبعاد للثقافة الشرقية هو العجز المطلق للشرقيين في التعبير عن أنفسهم .

ولذلك كان لزاما لكي يكون هناك حوار مع الآخر سليم البنيان وسليم المنطق كان لابد من الحوار الفكري أولا واستحداث آلية تعمل على مواجهة حركة الاستشراق ولتكن تلك الحركة معاكسة في اتجاهها لاتجاه الاستشراق ويمكن أن نطلق عليها "حركة الاستغراب" ويتحول مجتمع الدراسة إلى المجتمع الغربي ويصبح الدارس شرقيا لا غربيا. هذا ويجب أن يصاحب تلك الحركة الجديدة

أيضا دراسة كل ما هو جديد في العلم والتكنولوجيا بالغرب وتطويعه والاستفادة منه في تقدم الشرقي.

وهنا كانت الحاجة لعلم الاستغراب، وذلك لأن "مهمة علم الاستغراب هو فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، والقضاء على مركب العظمة لدى الغربي بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس وذلك لما يلي من أسباب :"(١٨٠)

1 -ظهر الاستشراق متخما بالممارسات الإيديولوجية ومحملا بالمصبات السياسية.

2 -لقد ساهم الاستشراق في تقريب المد الاستعماري من الجهة الأناسية بدافع السيطرة.

3 -لم يكن الاستشراق بريئا بل كان مشبعا بمناهج السيطرة الغربية

وهنا نجد أن الاستغراب نشأ بوصفه رَدَّ فعل لمختلف هذه التجاوزات فتفادى ما وقع فيه الاستشراق والتمس الحياد.

ومن هنا أعلن الاستغراب حملة لإعادة ترتيب البيت -الأنا- من خلال فهم عقلاني وموضوعي للآخر من خلال كل المراحل التي سلكها الآخر "مهمة علم الاستغراب هو القضاء على المركزية الغربية من خلال جملة من المهام:

-القضاء على ثنائية المركز والأطراف.

-إعادة التوازن للثقافة الإنسانية وإنهاء أسطورة الغرب"(١٨١)

وفي نظري يتميز علم الاستغراب إيجازا بعدة مميزات :

أنه فعل استجابي، إدباري، تشكيكي. يهدف عموما إلى إعادة إنتاج الخطاب ضمن حقل التداول السليم .ويعيد للشرق حضارته ووجهه المشرق ويحقق التوازن الحيد بين الشرق والغرب لكي تبدأ المرحلة الثانية من مراحل الحوار مع الآخر (الحوار بين أهل الحضارات) ليكون ذلك الحوار ممهدا للحوار بين الأديان بأسلوب علمي ناقد وفق أحدث المناهج النقدية الحديثة (١٨٢)

ولعل ذلك يأخذ وقتا ليس قليلا ولذلك ينبغي الاهتمام بما يلي:

أولا: استحداث إدارة أو هيئة على مستوى كل مجتمع من المجتمعات العربية والإسلامية للتنسيق فيما بينها في الجهود الرامية لإحداث الحوار الداخلي – وأخرى مشابهة للتنسيق فيما بينها في الجهود الرامية لإحداث الحوار الخارجي
ثانيا: استحداث آلية للتقويم والمتابعة لكل ما يبذل من جهود من أجل مواجهة "إشكالية الأنا والآخر" بالداخل والخارج؟

ثانيا: خلق مجتمع المعلومات والمعرفة Information Society:

لعل تلك القضية التي هي من أهم متطلبات بناء العالم العربي والإسلامي في عصر المعلومات الذي نعيشه – تلك القضية – مرتبطة بالقضية السابق ذكرها وتعضدها وتدعمها، ومصطلح "مجتمع المعلومات مصطلح جديد ظهر في النصف الثاني من القرن العشرين وواقع بدأت كثير من الدول تعيشه وأمل تسعى إليه كثير من الدول للانتفاع به ولتتحول له وقد مرت الحياة الإنسانية بأكثر من مجتمع كان أولها: المجتمع الزراعي-: ذلك المجتمع الذي كان قوامه الأساسي الأرض وظل قرونا عديدة إلى أن ظهر مجتمع آخر مرتبط بالثروة الصناعية وهو المجتمع الصناعي-: ذلك المجتمع الذي كان قوامه رأس المال والدول التي لا يتواجد بها رأس مال لازم للصناعة لا يمكن أن يوجد بها هذا المجتمع. ثم ظهر لنا مجتمع المعلومات: ذلك المجتمع الذي اعتمد أساسا على المعلومات وتقنيات المعلومات والتكنولوجيا الحديثة وأصبحت المعلومات فيه لازمة لكل فرد وتعاظم دورها في كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والعلمية والاجتماعية (١٨٣)

ووجدنا أنفسنا في هذا المجتمع أمام تغيرات اجتماعية وتكنولوجية كبيرة بسبب ما يسمى "بالثورة المعلوماتية أو الانفجار المعلوماتي" وأصبحت صناعة المعلومات من أهم الصناعات في اقتصاد الأمم المتقدمة ذلك أن لم تكن أهمها على الإطلاق والثورة المعلوماتية هذه كان لها ظواهر عديدة منها:- (١٨٤)
تحول أشكال أوعية المعلومات من شكل المطبوع آلي الشكل الرقمي.

ظهور أشكال جديدة لأوعية المعلومات ذات طاقة اختزانية هائلة مثل الأقراص المرنة Floppy Disk

والأقراص المدمجة (CD-ROM المليزرات) والأقراص الصلبة Hard Disk

٣)ظهور شبكة المعلومات الدولية (الشبكة العنكبوتية) الإنترنت تلك الشبكة التي سمحت بتبادل المعلومات السريع والكبير وأصبح لها فوائد علمية وثقافية وترفيهية وتجارية ...إلخ

وإذا كان المجتمع القوى في الوقت الحاضر لا يقاس برأس المال أو ما لديه من عتاد وإمكانات وإنما يقاس بمدى ما يملك من معلومات حقيقية ودقيقة؛ ولذا أطلقت على المعلومات مصطلح القوة: Information is Power وأصبحت المجتمعات اليوم تقاس قونها بقدر ما تملك من معلومات وأصبح مجتمع المعلومات اليوم هو:

" المجتمع الذي يعتمد أساسا على المعلومات الوفيرة كمورد استثماري وكسلعة استراتيجية وكخدمة كما أنها أيضا مصدر للدخل القومي ومجال للقوة العاملة"، ونرى من التعريف السابق أن هذا المجتمع يعتمد على المعلومات في كل شيء في مجالات حياته.

وهناك تعريف آخر لمجتمع المعلومات: ورد ذكره في الموسوعة العربية للمجتمع المعلوماتي

"هو مجتمع تتاح فيه الاتصالات العالمية، وتنتج فيه المعلومات بكميات ضخمة، كما توزع توزيعا واسعا، والتي تصبح فيه المعلومات لها تأثير على الاقتصاد. "

ومما سبق يتضح لنا أنه يوجد أكثر من تعريف لمجتمع المعلومات وجميعها تدور حول أن المعلومات هي أساس لهذا المجتمع ولابد من تواجدها في المجتمع ووجود من يستطيع التعامل معها سواء كان منتجا لها أو مستهلكا، وفكرة مجتمع المعلومات نفسها ليست وليدة هذه الأيام بل هي موجود منذ ثلاثين عاما

أو اكثر قليلا ولكن الجديد هو الاعتراف المتزايد بإبعاد هذه المجتمع، نظرا للعديد من الأسباب التي أدت إلى حتمية ظهور مجتمع المعلومات ومنها ما يلي:

هناك تطورين أساسيين كانا سبب قيام مجتمع المعلومات وهما التطور الاقتصادي طويل الأجل-:

حيث اعتمد كل مجتمع على مقومات ثابتة وأساسية مثل اعتماد المجتمع الزراعي على الأرض والحيوانات والماء...إلخ واعتمد المجتمع الصناعي على رأس المال والمواد الخام والطاقة...إلخ، جاء بعد ذلك دور المعلومات وشبكات الحاسبات ونقل البيانات ونظم الاتصالات والبرمجيات...إلخ لتكون أول أسباب أو دعائم مجتمع المعلومات

التطور التكنولوجي: يتضح لنا أن لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات تأثيرا كبيرا على النمو الاقتصادي وأن للصناعات المعتمدة على المعلومات مثل صناعة الحاسبات الآلية والبرمجيات ونظم الاتصالات والأقمار الصناعية...إلخ دورا كبيرا وفعالا على المجتمع والمتواجدين فيه.

وفي ضوء ما سبق ينبغي خلق مجتمع المعلومات وأن نحاول في العالم العربي والإسلامي توافر الخصائص والسمات التي يتميز بها مجتمع المعلومات مثل:

استخدام المعلومات كمورد اقتصادي تعمل فيه معظم المؤسسات والشركات على استخدام المعلومات لزيادة الكفاءة الإنتاجية في العمل وتنمية التجديد والابتكار وهناك الآن اتجاه نحو إنشاء شركات معلومات لتحسين اقتصاد الدولة.

ضرورة تحول المجتمع من ثقافة الذاكرة إلى ثقافة الإبداع والتجديد والابتكار من خلال توافر المناخ الجيد للإبداع خاصة الاهتمام بالشخص المبدع وبالمجال الذي يعيش فيه وبالعمليات المعرفية والعقلية التي من خلالها يستطيع معالجة البيانات Data إلى معلومات دقيقة ومعالجة المعلومات لتحويلها إلى معرفة قابلة للنقل والتشارك بين كافة مؤسسات المجتمع ليصل الشخص إلى منتج أصيل ومبتكر (١٨٥)

استخدام معظم أفراد المجتمع للمعلومات والمعرفة بشكل مكثف سواء كانوا منتجين أو مستهلكين للمعلومات وإنشاء مراكز نظم المعلومات التي توفر فرص افضل للتعليم.(١٨٦)

ظهور قطاع المعلومات كقطاع مهم من قطاعات الاقتصاد. هناك كثير من الدول أصبح فيه قطاع إنتاج المعلومات وتجهيزها وتوزيعها نشاط اقتصاد رئيسي.

استحداث آلية لإدارة المعلومات وإدارة المعرفة من خلال قطاع صناعة المعرفة والذي يمكن أن يضم الأقسام التالية: التعليم البحوث والتنمية الاتصالات آلات العمل خدمات المعلومات

كما يتضمن قطاع صناعة المعرفة مجموعة من الصناعات التي يجب الاهتمام بها مثل:

أ)صناعة المحتوى المعلوماتي . Information – Content العربي وذلك عن طريق المؤسسات الموجودة في كلا من القطاع العام والقاع الخاص والمسئولة عن إنتاج الملكية الفكرية للأفراد ثم شركات الإنتاج التي تأخذ الملكية الفكرية الخام وتقوم بتجهيزها وتوزيعها وبيعها لمستهلكي المعلومات ويضاف لهذه الفئة المهتمين بجمع المعلومات.

صناعة تسليم أو بث المعلومات Information – Delivery

وهم المسئولون هنا عن تسليم المعلومات وذلك عن طريق شركات الاتصالات بعيدة المدى وشبكات التليفزيون والأقمار الصناعية ومحطات الراديو والتليفزيون يضاف لهم أيضا بائعي الكتب والمكتبات.

ج)صناعة معالجة المعلومات Information – Processing

تقوم هذه الصناعة على منتجي الأجهزة ومنتجي البرمجيات. حيث يتولى منتجو الأجهزة تصميم وصناعة وتسويق الحاسبات وأجهزة الاتصالات والإلكترونيات وتكمل هذه الفئة فئة أخرى هي المعنية بإنتاج البرمجيات ونظم التشغيل مثل UNIX, Windows .

٦) الاهتمام ببرامج التعليم في كافة المراحل التعليمية بإعداد الكوادر البشرية القادرة على التعامل مع سمات مجتمع المعلومات والتي تكون لديها المهارات للتعامل مع البيانات وإعداد قاعدة بيانات لكافة مجالات الحياة ـ وأن تكون قادرة على معالجة البيانات لاستنتاج المعلومات الدقيقة منها وإعداد قاعدة للمعلومات وكذلك القدرة على معالجة المعلومات للتوصل للمعارف المفيدة في تطوير المجتمع في كافة نواحيه في ضوء مفهوم المعلومات وإدارة المعرفة.(١٨٧)(١٨٨)

السؤال المطروح الآن يتعلق بالآثار الاجتماعية للاختراق المعلوماتي والتعامل مع الشبكة الدولية للمعلومات (التي يمكن اعتبارها أداة الغرب في فرض الهيمنة الثقافية على مجتمعات العالم بحجة خلق المواطن الكوني) مع غياب المحتوى العربي الرقمي (١٨٩-١٩٠)

تشير الدراسات العلمية إلى خطورة التدفق المعلوماتي خلال الشبكة الدولية للمعلومات، فعلى الرغم من إيجابيات تداول المعلومات وتدفقها عبر الشبكة، إلا أن خطورة الوضع يتمثل في تحولها إلى أداة تدميرية مهلكة حتى أن البعض شبهها بالقنابل المعلوماتية التي لا تقل عن القنابل النووية والنيوترونية والهيدروجينية، نظرا لأنها تخلق آثارا سلبية في تشكيل الأفكار والأخلاقيات والقيم. وتؤسس بناءً معرفيا هشا قائما على السطحية والتغريب.

ويمكن رصد أهم تلك السلبيات في التالي:

١) تشير الإحصاءات إلى أن المعلومات العامة تتضاعف كل سنتين ونصف، مما يعنى وجود تراكم معرفي أو ما يسمى بتخمة معرفية أقرب للترفية والاستغلال التجاري منها إلى المعلومات المفيدة.

٢) فقدان النقد والتحليل حيث أن تخمة المعلومات وطريقة العرض لا تتيح الفرصة لوضعها في ميزان التقييم أو معارضتها. ومن ثم يتم قبول الأفكار الغربية والتسليم بها باعتبارها قادمة من الدول المتقدمة.

٣) الاغتراب والعزلة أو ما يمكن أن نطلق عليه التباعد الاجتماعي، حيث التعامل مع الإنترنت يتم بشكل فردي، مما يشكل عزلة فردية تولد لدى الفرد اغتراب عن الواقع والمجتمع. فالمعلوماتية خلقت واقعا جديدا إلى إضعاف غريزة الميل للتواصل الحي مع الآخرين، مما يشكل الشعور بالأنانية. عالم تتغلب فيه الآلة على الإنسان، فتمسخه إلى مخلوق لا إنسانية فيه. من ثم تصبح العزلة والغربة والتفكك من انعكاسات التعامل بين الفرد والآلة.

٤) إنتاج العنف وتوليده، فنظرًا لأن "تجار المعلوماتية" يسعون إلى الربح والمنفعة يصبح التنافس على إنتاج العنف والفساد والإباحية في أشدَّه، حيث تلاعب هذه القنوات الجشعة الدوافع الغريزية في الإنسان فتثيرها وتحركها لتزيد من أرباحها، إن المخزون الأكبر لإنتاج المعلوماتية يعتمد على نشر اللذة والمتعة والإباحية والعنف والجنس، مما يقود إلى الانحلال والتخلي عن القيم الأخلاقية والإنسانية.

وإذا كنا نتحدث عن سلبيات المعلوماتية عبر الشبكة الدولية للمعلومات، فإن ذلك لا يعنى أننا لا نعبر جوانبها الإدارية الاهتمام، فالهدف الذي نحن يصدده يعمل على توضيح خطورة التدفق الإعلامي، والتعامل بدون وعى مع تلك التخمة المعلوماتية القادمة والمخترقة لعقولنا. إننا نعيش أزمة حقيقية تضرب في أعماق البنية الفكرية والاجتماعية والتي تهدد بلا شك الأمن الثقافي الذي هو جزء لا يتجزأ من الأمن القومي. إننا في حاجة إلى تحصين وحماية ذاتية أمام الاختراق المعلوماتي بسبب التأثير السلبي لهذا الاختراق، والذي يمكن إيجازه فيما يلي:

١) تقبل الفكر الغربي دون نقد أو تمحيص مما يضعف الذاكرة التاريخية للأمة ويزيف عقل البشر، خاصة الشباب.

٢) تغيير المنظومة القيمية الإيجابية الأصيلة في المجتمع مما يشكل هدرا لإمكانات البشر وزيادة العنف والتطرف والإدمان والتحلل الأخلاقي.

٣) ضياع الأصالة والهوية الوطنية، فمن يفقد أصالته يفقد ذاته ومن يفقد ذاته يفقد حضارته.

٤) ضعف اقتصاديات الأمة، حيث زيادة الطموح الاستهلاكي بسبب امتلاك "تجار المعلوماتية" من وسائل التقنية الحديثة واستخدامها في تكنولوجيا الإعلان معتمدين على الإقناع والترغيب في التسويق للسلع المعلن عنها.
٥) يؤدى الانفتاح الثقافي دون وجود آليات فعالة للتحصين الذاتي إلى نشر ثقافة الإباحية والفساد الجنسي.

ثالثا: تطوير نظام الإعلام العربي والإسلامي لمواجهة الإعلام الغربي

إن وسائل الإتصال وتكنولوجيا الإعلام الغربي اليوم يستهدف تقويض العالم العربي والإسلامي من خلال ما يقدمه من برامج وافلام ومسلسلات وبرمجيات تستهدف تحقيق أهداف السيناريوهات التالية: (١٩١-١٩٢)

السيناريو الأول: بعد انتهاء الحرب الباردة والتحول نحو النظام الليبرالي واختفاء العدو الشرقي أصبح من المفيد إلقاء اللوم على الحضارة العربية الإسلامية باعتبارها مصدر الإزعاج، ومن ثم ظهرت الأفكار وكثرت الكتابات عن صدام الحضارات، ونهاية التاريخ، والكتابات التي تشير إلى ضرورة التصدي للثقافة الإسلامية باعتبارها تمثل العنف والإرهاب والتعامل بحد السيف. وهكذا تشكل السيناريو الأول في محاولة التشكيك في سماحة الدين الإسلامي وتخلفه عن ركب الحضارة الغربية (النموذج المثالي للبشرية). وواقع الأمر أن هذا ليس بجديد على الفكر الليبرالي، ومن يستعرض فكر القرن العشرين وبخاصة أفكار ماكس فيبر Max Weber، يلحظ بوضوح مدى الجهود التي بذلها من أجل الحفاظ على الرأسمالية ضد النظم الأخرى، بل إنه دعا ألمانيا إلى ضرورة التوسع الرأسمالي عن طريق الغزو الاستعماري لتطبيق الليبرالية الرأسمالية.

السيناريو الثاني نجد تشويه الثقافة العربية حيث ظهرت الدعوى إلى تجسيد تخلف الأمم العربية، وإبراز ملامح الانقسام والتشرذم والجمود الحضاري. وهنا لعب الإعلام الغربي دورا بارزا في تشويه صورة العرب سواء على مستوى الحوارات الثقافية، أو الدراما، أو البرامج الإعلامية، بل استغلال الإعلان في تشويه صورة الإنسان العربي وعقليته المتجمدة.

السيناريو الثالث في محاولة التشكيك في قدرة الأمة العربية على التقدم ومواكبة التطور الحضاري الغربي. ولاشك أن اتجاهات التحديث ونظرية الانتشار الثقافي تلعب هذا الدور بحنكة وفعالية، فهي تبرز ثقافة التخلف وثقافة الفقر وملامح الشخصية العربية المتأصل فيها عدم القدرة على الإبداع والابتكار. إنها نظريات تعالج التخلف والنمو من منظور التقسيم الكلاسيكي بين مجتمعات تملك إمكانات التقدم وأخرى تفتقر إلى هذه الإمكانات، على الرغم من أن تقدم الأولى قد تم على حساب تقدم الثانية كما تشير نظريات التبعية الكلاسيكية والمحدثة. من هذا المنطلق يبرز أهمية السيناريو الرابع.

السيناريو الرابع الذي يبغي التشكيك في مستقبل الأمة العربية والعالم الثالث، حيث يبرر ضرورة الربط بين تحديث تلك المجتمعات وبين آليات الاحتكاك الثقافي من ناحية، والنقل التكنولوجي من ناحية أخرى، ومن ثم فالسبيل إلى تقدم تلك الأمم مرهون دائما بما يجود به الغرب الرأسمالي من تكنولوجيا ونشر ثقافة التقدم، ودون ذلك ستظل تلك الأمم على ما هي عليه من تخلف وتأخر!

السيناريو الخامس الدعوة إلى ضرورة خلق مواطن كوني تذوب شخصية أمته في الثقافة الوليدة المستحدثة، من خلال خلق حضارة السوق والتنافس الحر وإلغاء كافة الحواجز بين الشعوب والأمم. إن تقدم تلك المجتمعات مرهون إذن بمدى تقبل تلك الأمم للثقافة الليبرالية الجديدة والنظام العالمي الجديد، الذي تذوب فيه شخصية الأمم وخصوصيتها الثقافية وخلق ثقافة موحدة على مستوى العالم ككل. والطريق الأمثل يتمثل في السيناريو التالي.

السيناريو السادس الذي يهتم بإحلال عناصر ثقافية جديدة، وغرس ثقافة مستحدثة من خلال تكنولوجيا الإعلام وخلق مجتمع استهلاكي بتقنية إعلامية فائق السرعة والتطور.

في ضوء ما سبق أليس من الضروري إعادة النظر إلى النظام الإعلامي العربي والإسلامي لمواجهة أهداف تلك السيناريوهات وإحباطها ومواجهة كل ما يحاك من مؤامرات تستهدف تشويهه وتسييسه وأن يكون الإعلام وسيلة لتحقيق

اتجاه تنويري بين الأفراد لخلق رؤية وطنية واحدة بين أفراد العالم العربي والإسلامي لمواجهة التحديات الحاضرة والمستقبلية التي تواجههه بغرض إصلاح العالم الإسلامي عامة وإصلاح التعليم خاصة.

رابعا: تمكين المجتمعات الإسلامية من أسباب القوة

ويتطلب ذلك تمكين المجتمعات الإسلامية من إعادة الثقة في حضارته الراقية من خلال التغلب على إشكالية الأنا والآخر علاوة على دخوله عصر المعلومات والمعرفة والتمكن من كل أسباب التقدم العلمي والتكنولوجي مع ضرورة التخطيط للمستقبل القريب والبعيد في ضوء منهجية علمية بعيدة عن التعصب الفكري والنظرة الأُحادية للأمور.

ولعل ذلك يحقق مواجهة "إشكالية كبت العلم وغروبه" في العالم الإسلامي بدعوة تناقض العلم مع الدين وأيضا نواجه بها: إشكالية الأصالة والمعاصرة.

خامسا: مسايرة الحركة العالمية والمحلية لإصلاح النظام التربوي عامة وإصلاح التعليم خاصة

تشير معظم التقارير الصادرة عن الجهات الدولية المعنية خاصة البنك الدولي إلى تدني مستوى التعليم في الوطن العربي بالمقارنة بالمناطق الأخرى في العالم، وأن نظام التعليم العربي في حاجة إلى إصلاحات عاجلة لمواجهة مشكلة البطالة وغيرها من التحديات الاقتصادية، وتوجد فجوات كبيرة بين ما حققته الأنظمة التعليمية في العالم العربي، وبين ما تحتاجه المنطقة في عملية التنمية الاقتصادية، وخلص التقرير إلى أن جميع البلدان العربية تحتاج إلى مسارات جديدة في إصلاح أنظمتها التعليمية؛ من أجل الحوافز والمساءلة العامة، إلى جانب اتخاذ الإجراءات الفاعلة لتحسين مستويات المخرجات التعليمية إلى سوق العمل (١٩٣)

أن غالبية دول العالم تهتم بإصلاح نظامها التربوي؛ لذا يجب أن نبدأ من حيث انتهى الأخرون في ذلك المجال ونستفيد بتجارب وخبرات من سبقونا في مجال

إصلاح النظام التربوي عامة وإصلاح التعليم خاصة ومن تلك التجارب على سبيل المثال ما يلي:=

١) في أمريكا على سبيل المثال لا الحصر تم إعداد تقرير أمة في خطر وتم مواجهة ذلك الخطر بإصلاح التعليم من خلال شعار "الدراسات التربوية هي الحل": وعلى الفور أعد المسؤولون عن التعليم الأمريكي الدراسات التربوية المتخصصة، وانطلقت الخطوات العاجلة لإصلاح التعليم الأمريكي، ووضع المسؤولون الأمريكان نصب أعينهم الأسباب التي أدت إلى هذا التراجع الخطير في التعليم، فكان المعلم ـ بحسب ما توصلت إليه الدراسات ـ هو السبب الرئيس فيما وصلت إليه الأمة الأمريكية من ضعف تعليمي، فكان لا بد من العمل على الارتقاء بمستوى تأهيل المعلمين وإعدادهم الإعداد الجيد، ولم يأتِ عام ١٩٨٨م إلا وقد طبقت ٤٤ ولاية أمريكية نظام امتحان الكفاية، والذي يتحدد بموجبه مدى كفاءة المعلم المتقدم لشغل هذه الوظيفة، ولم يكتفِ المسؤولون عن إصلاح التعليم في أمريكا بمسألة كفاءة المعلم فقط، بل عمدوا إلى العمل على إعطائه مزيداً من المكانة المهنية والمجتمعية، بما يكرسه كقدوة لها احترامها ومكانتها في النفوس، وعلى إثر هذا التقرير قام المسئولون الأمريكان بتغيير المناهج التعليمية، وتعديل مناهج تدريس الرياضيات والفيزياء وغيرها من المواد العلمية. وفي عام ١٩٩١م، في عهد الرئيس (جورج بوش الأب) الرئيس الأمريكي الأسبق نُشر مشروع بعنوان (أمريكا عام ٢٠٠٠م ـ إستراتيجية للتعليم)(١٩٤)، تضمّن الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها نظام التعليم الأمريكي، ومنها: "أن يحتل الطالب الأمريكي المرتبة الأولى عالميا بين دول العالم في مادتي العلوم والرياضيات"، ومن أجل تحقيق هذه الغاية قدّم الباحثون الأمريكيون تقارير حول أفضل الطرق التي تمكّن الطلاب من التفوق في هذه المواد الأساسية، منها وثيقة "معايير منهج وتقويم الرياضيات المدرسية" Standards for Curriculum and Evaluation for School Mathematics التي اعتمدتها معظم الولايات الأمريكية في كثير من خطواتها لتطوير تعليم الرياضيات فيها، ووثيقة "مبادئ

ومعايير الرياضيات المدرسية" Principle and Standards for School Mathematics التي أصدرها المجلس القومي لمعلمي الرياضيات في مارس من عام ٢٠٠٠م، بعد دراسة متأنية وجادة لواقع تعليم مادة الرياضيات في أمريكا. وعندما لمس القائمون على رأس الإدارة التعليمية في الولايات المتحدة سوء الحالة التي وصل إليها الطلاب هناك، حيث بيَّنت الدراسات ازدياد حالات العنف في المدارس، وانتشار تعاطي المخدرات بين التلاميذ، الأمر الذي أدى إلى تدني مستوى تحصيلهم العلمي؛ فكان لابد من تلافي هذا الخطر ومحاولة تدارك الأمر قبل استفحاله بصورة تنعكس على مكانة الولايات المتحدة وقيادتها للعالم، ومنذ شهر يونيو عام ١٩٩٩م عمل قسم التربية ومكتب الخدمة السرية في الولايات المتحدة الأمريكية كفريق واحد لفهم قضية العنف في المدارس الأمريكية، ولإيجاد الوسائل التي تمنعه أو تحد منه على الأقل، فصدر دليل العنف في المدارس الأمريكية عام ٢٠٠٢م ليبحث في هذه المشكلة الخطيرة؛ سعياً لإيجاد الحلول الناجعة لها.

٢) جهود اللجنة الدولية لتطوير التعليم (اليونسكو) (١٩٧٠) :كنتيجة لشعور اليونسكو بضرورة تطوير التعليم قامت بتشكيل لجنة سباعية دولية برئاسة ادجار فور Edgar Foure من فلانسا وقد قامت اللجنة بالتعرف على مشكلات التعليم ووضع الحلول المناسبة لمواجهتها واقترحت برنامجا بعيد المدى لإصلاح المنهاج والتعليم فى العالم يقوم على مبدأ التعلم مدى الحياة ، وقد نشؤت اللجنة تقريرها عام ١٩٧٢م تحت عنوان "تعلم لتكون" أو "تعلم كيف تعيش المستقبل" Learning to be وقد ورد في التقرير عدد من المبادئ بلغ عددها (إحدى وعشرون) يمكن أن تشكل السياسة التعليمية التي يجب أن تقوم عليها التربية عامة والمناهج خاصة في الوقت الحاضر والمستقبل.(١٩٥)

٣) اللجنة الدولية المعنية بالتربية للقرن الحادي والعشرين برئاسة جاك ديلور والتي اهتمت بضرورة تحديد دور أكبر للتعليم والتدريب وضرورة استحداث تكنولوجيا التعليم في العملية التعليمية ليس لغرض التدريس فحسب بل لغرض

أشمل وأعم وهو استخدام هذه التكنولوجيات وتوظيفها للوصول إلى المعرفة في عالم الغد.

٤) توصيات المؤتمر الخامس لوزراء التربية العرب (١٩٩٤م) حول التعليم من أجل التنمية لمواجهة تحديات القرن الحادي والعشرين والتي أكدت على ضرورة الاهتمام بتطوير التعليم خاصة التعليم الأساسي.

٥) لجنة الإستراتيجية التربوية العربية (١٩٦): وقد تشكلت اللجنة من سبعة أعضاء لوضع توصية المؤتمر الرابع لوزراء التربية العرب الذي انعقد في صنعاء عام (١٩٧٢م) وهي: وضع استراتيجية لتطوير التربية في البلاد العربية – وضع تلك التوصية موضع التنفيذ الفعلي – ولقد خرجت اللحنة بالعديد من المبادئ التي تراها ضرورية لتطوير التعليم هي: (نحو فلسفة اجتماعية عربية – نحو مجتمع عربي متعلم – نحو توزيع البني التربوية وتحقيق المرونة والتكامل فيها – نحو تجديد محتوى التربية وطرائقها وأساليب تنويعها – نحو تطوير مهمات وأساليب الإعداد والتدريب للمعلمين – نحو تنمية البحث التربوي لتحقيق الكفاية والأصالة والتجديد- نحو اعتماد أساليب التخطيط وتحديث الإدارة التربوية- نحو زيادة الموارد المالية وتعدد مصادرها وحسن توزيعها وتنظيمها- نحو تطوير التشريعات التربوية – نحو التفاعل بين التربية والتنمية الشاملة وتكاملها – نحو قومية العمل العربي للتربية وللتنمية الشاملة – نحو التعاون الدولي والمشاركة الفعالة فيه وفي توجيهه وجهاته السليمة)

٦) (الخطة العشرية لمواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين): استراتيجية تربوية لإصلاح التعليم (برنامج العمل العشري لمواجهة تحديات الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين: القمة الإسلامية الاستثنائية يومي ٥و٦ ذي القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ٧و٨ ديسمبر ٢٠٠٥ م بمكة المكرمة. الدورة الاستثنائية الثالثة. ولقد صدر عنها بيان ختامي يمثل توصيات تلك الدورة أطلق عليه "وثيقة مكة" واحتوت الوثيقة على عديد من المبادئ تم بيانها في فصل سابق بالكامل. (١٩٧)

٧) مشروع ٢٠٢٠ م بمصر: ولقد تم عرض المشروع بالكامل في فصل سابق واحتوى المشروع على عديد من الفعاليات التي من شأنها أن تسهم في تطوير المجتمع والتعليم، ولعل ذلك يوضح عدم غياب الرؤية الوطنية سواء محليا أو دوليا لتطوير التعليم وإصلاحه. (١٩٨)

٨) عقدت الكثير من المؤتمرات وتعددت الكتابات والمقالات حول طبيعة مدرسة المستقبل وطبيعة المناهج المدرسية في ضوء تحديات المستقبل وظهور المنهج الإنترنتي والمدرسة الموازية من خلال التعلم من الإنترنت والتعلم الخليط بين التعليم التقليدي والتعليم الإلكتروني ولعل من أبرز تلك المقالات مقال البرت سيف (١٩٧): حول النظرة المستقبلية للمناهج وضرورة أن تعكس مناهج المستقبل أفكار جديدة مثل: (الاستيعاب والتمكن التكنولوجي – ممارسة الحياة التعاونية – المهارات الأساسية للمحافظة على البقاء – تطوير مهارة الاختيار المهني – التعلم الذاتي – مهارة التفكير والابتكار واتخاذ القرار- مهارة التواصل – المواطنة المحلية والعالمية – التربية الأخلاقية – الاهتمام بالإنسان)

مما سبق: يتضح أن هناك العديد من المجهودات الدولية والإقليمية والمحلية للاهتمام بالتعليم وتطويره مما يؤكد أن حركة إصلاح التعليم وتطويره هي حركة عالمية ولكن رغم تعدد تلك الجهود في العالم العربي والإسلامي فما زال التعليم يحتاج للمزيد من الإصلاح والتطوير وقد يكون ذلك لغياب الرؤية الشاملة للتخطيط ورسم السياسات العامة للتعليم والتي لا تتغير بتغيير الأشخاص القائمين على تنفيذها ومن ذلك يتضح أهمية ودور التخطيط الشامل لتحقيق السياسات التربوية الشاملة والاستراتيجية التربوية الشاملة في ظل فلسفة تربوية عربية شاملة في ضوء متغيرات الحاضر والمستقبل وعلى أسس منهجية وشرعية وغائية (١٩٩)

سادسا: النظرة الشمولية للتخطيط بغرض التطوير الشامل للتعليم

ويتطلب ذلك ما يلي:

١) نحو فلسفة تربوية عربية وإسلامية شاملة لكل متغيرات العصر الحاضر والمستقبل دون إغفال لثوابت الدين الإسلامي الذي يمثل هوية العالم الإسلامي.
٢) نحو سياسات تربوية عربية شاملة تحقق الرؤية الوطنية للعالم العربي وتعكس طموحات أفراده نحو التقدم والرقي
٣) نحو إستراتيجية تربوية عربية بجدول زمني محدد يوضح إمكانية التنفيذ للسياسات التربوية والمسئولين عن التنفيذ.
٤) نحو تصور شامل لتطوير النظام التربوي بكافة مراحله التعليمية يواجه اشكالية "ازدواجية التعليم" في صورها المتعددة مثل ازدواجية (التعليم العام والخاص – التعليم الديني الأزهري وغير الديني – التعليم الأكاديمي والفني – التعليم العام والتعليم الأجنبي – التعليم بلغة البلد والتعليم بلغات أخرى...إلخ) (٢٠٠)

سابعا: التجديد التربوي المستمر:

ينبغي استحداث آلية لمتابعة التطورات المستمرة للتعليم في ضوء ما يستجد من اتجاهات فكرية وتربوية مستمرة مع ضرورة تجديد المبادئ الاولية للفلسفة التربوية أو تحديات المستقبل. لعل ما سبق من توصيات عند وضعها موضع التنفيذ الفعلي تكون قادرة على مواجهة العديد من إشكاليات التعليم والتعلم بالعالم العربي والإسلامي وكلنا رجاء وأمل في أن يكون إصلاح التعليم مدخل لإصلاح الأمة الإسلامية.

نداء وأمل

تأثر العقل العربي بعوامل عديدة ومتنوعة هذه العوامل صرفت العقل العربي عن إتمام رسالته في تحصيل المعرفة الموصلة إلى الكشف عن أسرار الحياة والكون حين ابتعد العقل العربي عن المفهوم الصحيح للدين وأهمية الربط بين العلم والدين إذا ما أردنا التقدم، ولكن العقل العربي استسلم لسلطان الفقهاء الذين تنوعت أهوائهم وأصبحوا بدل أن يكونوا حماة للدين أصبحوا أداة هدم للبنيان الإسلامي بفتاويهم المغرضة، وبذلك فقد الدين قدرته على تزويد العقل بالطاقة الإيمانية وأضحى في يد الفقهاء ورجال الدين يكفرون تارة ويرهبون تارة أخرى، كما كان بيد رجال الكنيسة في عصورها الأولى، أداة غفران وحرمان. وظهر اتجاه لكبت العلم بدعوى أنه يدعو للكفر ومع كبت العلم والخوف من سلطان الفقهاء ورجال الدين بدأت الأمة الإسلامية في التدهور والتأخر في كافة مناحي الحياة خاصة التعليم، وإذا كان من أمل يرتجى فهو الحمل على إحياء المفهوم الإيماني للعلم وتحرير العقل العربي مما علق به من رواسب المحن، وذلك بفهم القرآن الكريم على أنه كتاب دين ودنيا، وأن المسجد لا يؤدي غرضه إلا إذا كان إلى جانبه مصنع ومخبز ومعمل، تمارس في كليهما العبادة، ولن يكون تقدم بدون الاعتقاد التام بأهمية العلم والدين معا في التقدم والارتقاء، ولو أتيح للمسلمين أن يطرحوا الخلف بين الفرق والمذاهب وأن يمحوا صحفها فلا يكون هناك إلا مذهب واحد لدين واحد، وأن يجمعوا قلوبهم وأيديهم على أمر واحد هو النهوض من عثرة المحن واليقظة من كبوة الزمن، لكانوا كما أراد الله لهم أن يكونوا (خير أمة أخرجت للناس).

الهوامش ومراجع الدراسة مرتبة حسب ورودها في متن الدراسة

١) عبد الله عبد الدائم (١٩٩١م) " التربية وتنمية الموارد البشرية " دراسة مقدمة لندوة: تنمية الموارد البشرية ، الكويت ٢٨- ٢٩ نوفمبر ١٩٨٧، منشورة فى كتاب : التربية وتنمية الإنسان فى الوطن العربى ، بيروت : دار العلم للملايين.

٢) _____ ، " التعليم العالى والجامعى فى مواجهة التغير الجذرى السريع فى البنى الاقتصادية والاجتماعية للعالم الحديث اليوم فى مواجهة وعود المستقبل " المرجع السابق ، ص (٢٦٤).

٣) _____ ، التعليم العالى وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الوطن العربى ، المرجع السابق ، ص ص (٢١٦- ٢٦٣) .

٤) اسحق فرحان وآخرون ، (١٩٨٩م) " دور الجامعات فى إعداد العالم المسلم فى العلوم الإنسانية " عمان : الاردن .

٥) سعد مرسى أحمد ، (١٩٩١م) ، التربية والتقدم ، القاهرة : عالم الكتب .

٦) على أحمد مدكور (١٩٩٠م) ، منهج التربية فى التصور الإسلامى ، بيروت : دار النهضة العربية .

٧) عبد الله عبد الدائم (١٩٩١م)" التربية وتنمية الإنسان فى الوطن العربى : استراتيجية تنمية القوى العاملة ، ط ٢ ، بيروت : دار العلم للملايين .

٨) هدى حسن حسن ، (١٩٩٩م) " التعليم وتحديات ثقافة العولمة " دراسة منشورة فى مجلة كلية التربية بحلوان ، ع (٢٣) ، ج٢، ص ص (١٨٥-٢١٩).

٩) توفيق سيف ، " نماذج من القضايا والإشكاليات في الفقه السياسي : تطبيق على رسالة العلامة النا تيبى : بنية الأمة وتنزيه الملة (كتاب للدفاع عن الحركة الدستورية بإيران فى القرن الرابع عشر الهجري ، دراسة منشورة في مجلة الواحة ، ع١٠-١١،الخليج العربي ، البحرين .

١٠) سامى منصور ، " إشكالية تكوين الثروة الاجتماعية " ، دراسة منشورة فى منتدى الكتاب العربى ، ,٢٠٠٠
١١) الدورة الوطنية لبرلمان الطفل بالمغرب فى ٢٥ مايو ٢٠٠٠م " تم مناقشة العديد من الإشكاليات : إشكالية التعليم بلغة الام – إشكالية ممارسة الديموقراطية – إشكالية تمويل برامج متعلقة بالطفل ..
١٢) خالد محمد (١٩٩٧م) "هموم المسلمين فى اوربا "عرض لدراسة البروفسير عبد الجواد فلاتورى وتوروشيكا عن تحليل مناهج الدراسة فى الغرب، دراسة منشورة فى مجلة نور الاسلام ،ع ١، ربيع الاول ١٤١٨هـ
١٣) رشدى أحمد طعيمة ،(١٩٩٨.) "اهتمامات الأجانب نحو الثقافة العربية الإسلامية "، دراسة منشورة فى كتاب : الثقافة العربية الإسلامية بين التأليف والتدريس ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ط ,١
١٤) يوضح الواقع الراهن بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠٢ بأمريكا ربط التطرف والإرهاب بالمسلمين واتخاذ ذلك ذريعة للتدخل عسكريا فى كثير من الدول الإسلامية بحجة مكافحة الإرهاب .
١٥) الدورة الوطنية الثالثة لبرلمان الطفل فى المغرب ، ٢٥ مايو ٢٠٠٠م
١٦) عبد المنعم محمد حسين ، " دراسة نقدية لاتجاه إسلامية العلوم الطبيعية " ، دراسة منشورة ضمن أعمال مؤتمر : نحو مشروع حضارى تربوى ، رابطة التربية الحديثة بمصر ، أبريل ,١٩٨٧
١٧) عبد المنعم محمد حسين، (١٩٩٧م) منهج الإسلام فى تغيير المنكر ، القاهرة : لجنة الدعوة والفقه الإسلامى .
١٨) عبد المنعم محمد حسين ، " الإسلام والأزمة البيئية فى عالمنا المعاصر " ، دراسة مقدمة للجنة الدعوة والفقه الإسلامي بمصر ، القاهرة : ,١٩٩٨
١٩) عبد المنعم محمد حسين ، (١٩٩٤م) ، "فنون التعليم والتعلم عند بعض مفكرى التربية الإسلامية " دراسة مقدمة لمشروع التأصيل الإسلامى للعلوم الإجتماعية ، الرياض : مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٢٠) رشدى أحمد طعيمة ، " معوقات توجيه العلوم إسلاميا " ، دراسة منشورة فى كتاب : الثقافة العربية الإسلامية بين التأليف والتدريس ، مرجع سابق .
٢١) هيا عبد العزيز المنيع ، " ضعف المسلمين والآخر " دراسة منشورة فى موقع بالإنترنت باسم : منتدى الكتاب ، الرياض الإلكتروني : ٢٦/ ١/ ٢٠٠٢م
٢٢) عبد الله سليمان المشوخى ، مجتمعنا المعاصر : أسباب ضعفه ووسائل علاجه ، رسالة دكتوراة منشورة ،. مكتبة المنار ، ط١، ١٩٨٧
٢٣) خليل الشيخ (٢٠٠٠م) ، دوائر المقارنة : دراسة فى العلاقة بين الذات والآخر ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
٢٤) مانع بن حماد الجهنى ، (١٤٢٠هـ) " التضامن الإسلامى : الفكرة والتاريخ ودور المملكة العربية السعودية ، الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
٢٥) أحمد العلى ، " ثقافة العولمة " مقال منشور بمجلة العالم ، الجمعة ، ٢/٨/ ٢٠٠٢م
٢٦) عباس مدنى ، مشكلات تربوية فى البلاد الإسلامية ، مكة المكرمة : مكتبة المنار ، ط٢، ,١٩٨٩
٢٧) يقصد بالتفاعلات الأثينية العدائية : العداءات التى توجد بين بعض القبائل لاختلافهم عرقيا كما فى بوروندى ورواندى .
٢٨) انظر فى مجال تجديد الفكر الإسلامى :
- حسن حنفى ، قضايا معاصرة فى الفكر العربى المعاصر ، بيروت : دار التنوير للطباعة والنشر ، ١٩٨٢، ص ، ٣٤.
-احمد عبد الرحيم مصطفى (١٩٧١م) ، حركة التجديد الإسلامى فى العالم العربى الحديث ، القاهرة : جامعة الدول العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية .
- معن زيادة ، معالم على طريق تحديث الفكر الفكر العربي ، سلسلة عالم المعرفة ، (١٢٥) ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٧.

-) قسطنطين رزيق ، " التراث وتحديات العصر فى الوطن العربى : الأصالة والمعاصرة " ، دراسة منشورة ضمن أعمال ندوة : تحديات العصر فى الوطن العربى ، القاهرة : ٢٤- ٢٧ سبتمبر ، ١٩٨٤.
- فؤاد ابراهيم (١٩٩٨م) " قراءة أخرى فى حركة الإحياء الدينى للشيخ محمد عبده ومشروعه الإصلاحى " منشور فى موقع منتدى الواحة بالانترنت .
٢٩) سامى منصور ، " إشكالية تكوين الثروة الاجتماعية "مرجع سابق .
٣٠) ياسين حسين (٢٠٠١م) تنظيم الاسرة بين الأسلمة والتسييس " ، مجلة الايام السودانية ، ع ٧١٨٦، ١٥ أكتوبر .
٣١) يقصد بإشكالية الوساطة : تدخل أصحاب النفوذ فى تسهيل مهماتهم او مهمات ذويهم على حساب مصالح ومهمات الآخرين .
٣٢) عبد الله عبد الدائم (١٩٩١م)" التربية وتنمية الإنسان فى الوطن العربى :مرجع سابق
٣٣) سعد الدين ابراهيم (١٩٨٥م) " الاسرة والمجتمع والإبداع فى الوطن العربى " دراسة منشورة فى ندوة : تهيئة الإنسان العربى للعطاء العلمى ، مركز دراسات الوحدة العربية .
٣٤) حسن حنفى ، التراث والتجديد : موقفنا من التراث القديم ، القاهرة : المركز العربى للبحث والنشر ، ١٩٨٠، ص ص(٢-١٠)
٣٥) ماهر عبد القادر محمد، التراث والحضارة الإسلامية " سلسلة دراسات فى التراث الإسلامى (١) ، بيروت : دار النهضة العربية .
٣٦) قسطنطين رزق ، نحن وامستقبل ، بيروت : دار العلم للملايين ، ص ,٣٠٦
٣٧) طارق حمادة ، " إشكالية المعلومات بين الإدارة والمواطن " دراسة منشورة ضمن أعمال المؤتمر الدولي للعلوم الإدارية ، المعهد الدولي للعلوم الإدارية ، عمان ، الأردن ، ٢-٩ سبتمبر ، ١٩٨٦
٣٨) عبد الله سليمان المشوخى ، مجتمعنا المعاصر : أسباب ضعفه ووسائل علاجه، مرجع سابق .

٣٩)) خالد محمد (١٩٩٧م) "هموم المسلمين فى اوربا "مرجع سابق .
٤٠)محمد جواد رضا (١٩٩٣م) ، العرب والتربية والحضارة ، الإختيار الصعب ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٣، ص (٢٢٢).
٤١)زكى نجيب محمود(١٩٧١م) " موقف الثقافة العربية الحديثة فى مواجهة العصر " منشور فى مؤتمر الأصالة والتجديد فى الثقافة العربية المعاصرة ، القاهرة ٤-١١ أكتوبر.
٤٢) زكى نجيب محمود ،(١٩٧٤) " الحضارة وقضية التقدم والتخلف " بحث مقدم فى ندوة : أزمة التطور الحضارى فى الوطن العربى ، جامعة الكويت ، ٧-١٢أبريل .
٤٣)محمد جواد رضا (١٩٧٥م) ، التربية والتبدل الاجتماعى فى الكويت والخليج العربى ، الكويت : وكالة المظبوعات ، ص (٢٥).
٤٤) محمد عزت ،(١٩٨٧) ، أمريكا عام ٢٠٠٠م: استراتيجية للتربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
٤٥) المؤتمر الدولى حول التربية للجميع ، (جومتين / تايلاند) ، ٥-٩ مارس ١٩٩٠
٤٦) فيليب كومبز ، أزمة التعليم فى عالمنا المعاصر ، ترجمة أحمد خيرى كاظم وجابر عبد الحميد جابر ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ,١٩٧١
٤٧) فيليب كومبز ، أزمة العالم فى التعليم من منظور الثمانينات ، ترجمة محمد خيرى وشكرى عباس وحسان محمد حسان ، مراجعة ، عبد العزيز القوصى ، الرياض : دار المريخ ، ,١٩٨٧
٤٨)محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى ،(١٩٨٧)، مختار الصحاح ، الكويت : دار الكتاب الحديث .
٤٩) فيليب كومبز ، أزمة العالم فى التعليم من منظور الثمانينات ،مرجع سابق
٥٠) عبد الله عبد الدائم ، نحو فلسفة تربوية عربية : الفلسفة التربوية ومستقبل الوطن العربي ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١، ,١٩٩١
٥١)عبد الله الخريجى (١٩٨٣)، التغير الاجتماعى والثقافى، جدة ، رامتان.

٥٢) الفين تافلر،(١٩٧٤) ، صدمة المستقبل ، ترجمة محمد على ناصف ، القاهرة : دار نهضة مصر للطبع والنشر.
٥٣)هاتس بيتر مارتن ،وهارولد شومان، (١٩٩٨)،فخ العولمة ، ترجمة عدنان عباس على ومراجعة رمزى زكى ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ع ٢٣٨، اكتوبر.
٥٤) نبيل على ، العرب وعصر المعلومات ، سلسلة عالم المعرفة ، (ع ١٨٤) ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤,
٥٥) محمد جواد رضا ، (١٩٩٣)، العرب والتربية والحضارة : الاختيار الصعب، ط٣، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية .
٥٦) انظر :Linton,Ralph, The Study of Man, N.,Y., 1956
٥٧) محمد جواد رضا ، (١٩٩٣)، العرب والتربية والحضارة، مرجع سابق.
٥٨) عدنان هاشم الموسوى ، (١٩٩٣) ، الإسلام فى الأندلس : إشكالية التاريخ والحضارة ، مؤسسة دار الإسلام ، مجلة الفكر الجديد، مارس ، ع٥، س٢، مارس.
٥٩)إشكالية ريط التطرف بالتدين والطوائف الإسلامية : ظاهرة عصرية .
٦٠) أ.ل. شاتليه ، الغارة على العالم الإسلامي ، ترجمة ، محب الدين الخطيب ، ط٢، جدة : الدارالسعودية للنشر : ١٣٨٧هـ
٦١) عبدالله الإيراهيمى ، (٢٠٠٠م)، وقفة عند معجم بحار الأنوار ، دراسة منشورة فى مجلة مرآة التحقيق ، الرياض.
٦٢) غلام رضا ، (٢٠٠٠م)، نقد كتاب جعرافيا القارات والبلدان ، منشور فى مجلة مرآة التحقيق .
٦٣) أحمد العايدى ، نقد كتاب منازل السائرين وشرح الكاشانى عليه ، منشور فى مجلة مرآة التحقيق .
٦٤) محمد تقى السبحانى ، (٢٠٠٠م) ، دراسة فى كتاب مبانى العرفان والتصوف ، منشور فى مجلة مرآة التحقيق .

٦٥) غلام رضا ، (٢٠٠٠م)،وقفة عند كتاب اللغة الفارسية للمرحلة المتوسطة ، منشور فى مجلة مرآة التحقيق .
٦٦) محمد باقر السجادى ، (٢٠٠٠م)، التسامح فى عملية التأليف ، منشور فى مجلة مرآة التحقيق .
٦٧) ياسين خسين بشير، تنظيم الأسرة بين الإسلام والتسييس ، جريدة الأيام السودانية
٦٨) مفهوم الأمية العقائدية : عدم معرفة الفرد بأمور العقيدة الدينية فكرا وعملا.
٦٩) طه جابر العلوانى ، " إصلاح الفكر الإسلامى : مدخل إلى نظام الخطاب فى الفكر الإسلامى المعاصر، منشور فى موقع نداء القدس الإلكترونى .
٧٠)يقصد بإشكالية العقل والنقل : القضايا المرتبطة بتقديس النقل عن السلف او تحكيم العقل فى كل ما يتم التوصل إليه من معارف.
٧١)محمد عمارة ، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبدة ، ج ٣، ص.، ٢٨٢,
٧٢) ابن سينا ، الشفاء (الإلهيات) ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى ،ايران : ١٤٠٤هـــ .
٧٣) ابن رشد ، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال ، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوريع ، (د.ت)
٧٤) محمد رشيد رضا ، تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده، ج ٣، ص. ٢٥,
٧٥) ابو حامد الغزالى ، إحياء علوم الدين، ج١، بيروت: دار المعرفة (د.ت)
٧٦) Leonard,Binder, The Ideological Revolution In The Middle East, New York: 1979, P., 64.
77) انظر :Hisham Sharabi, Arab Intellectuals and the West
٧٨) عبد الجبار الهمذانى ،المغنى ، ج٦، القاهرة: الدار المصرية (د.ت)
٧٩) انظر: الشيخ محمد عبده ، رسالة التوجيد ، ص.، ٣٧,
٨٠) محمد عمارة ، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، ح٣، مرجع سابق .

٨١)يقضد بإشكالية الاصالة والمعاصرة : إشكالية الحفاظ على الموروث الثقافى وتجديده بما يتفق ومقتضات العصر الحاضر.
٨٢) إشكالية الصراع بين الثقافات : إشكالية طهرت فى طل النظام العالمى الجديد
٨٣) صامويل هنتجتون، (١٩٩٨م)، صدام الحضارات ، ترجمة طلعت الشايب
٨٤) ثقافة العولمة : مفهوم ظهر فى العصر الحاضر
٨٥) محمد عابد الجابرى ، (١٩٩٧م) ، قضايا فى الفكر المعاصر، بيروت: مؤكز دراسات الوحدة العربية .
٨٦) توفيق السيف ، إشكاليات وقضايا فى الفقه السياسى ، مرجع سابق .
٨٧) العلامة النائيبى، (١٩٨٣م) ، رسالة تنبيه الامة وتنزيه الملة ، ط٨، طهران : شركة سهامى إنتشار.
٨٨) ابو القاسم الخولى ، (١٩٣٣م) ، أجود التقريرات (٢/٣٦) ، مطبعة العرافان .
٨٩) توفيق السيف (١٩٩٤م)، مخاطبة الغرد ومخاطبة الجماعة عند استنباط الأحكام الشرعية ، منشور فى مجلة الكلمة ، بيروت :ع٢ شتاء ,١٩٩٤
٩٠)مجدى عزيز ابراهيم،(٢٠٠٢م)،منظلقات للمنهج التربوى فى مجتمع المعرفة ، القاهرة : عالم الكتب .
٩١) رشدى أحمد طعيمه ، معوقات توجيه العلوم إسلاميا ، مرجع سابق
٩٢) خالد محمد ، هموم المسلمين فى اوربا ، مرجع سابق .
٩٣) عبدالله سليمان المشوخى ، مجتمعنا المعاصر: أسياب ضعفه ووسائل علاجه ، مرجع سابق .
٩٤)أحمد عبد الجواد ، (٢٠٠٠م) ، إشكالية البحث العلمى والتكنولوجيا فى الوطن العربى ، القاهرة:دار قباء للنشر والتوزيع .
٩٥)عبد العزيز بن عبد الله السنبل ، (٢٠٠٢م)، التربية فى الوطن العربى على مشارف القرن الحادى والعشرين ، الإسكندرية : المكتب الجامعى الحديث .

٩٦) معمر بن عبد الله الصالح(٢٠٠٦م) ، إشكالية النموذج: التعليم عن بعد ، منشور فى مؤتمر التعليم عن بعد – مسقط ، سلطنة عمان ، ٢٧-٢٩-٢٠٠٦م
٩٧) محيا زيتون ، (٢٠١٣م) ، التجارة بالتعليم فى الوط االعربى : الإشكاليات والمخاطر والرؤية المستقبلية ، عرض تامر مرزوق فى مجلة سورتينا، ع ٨٢، ١٤ نيسان .
٩٨) زينب محمد أمين ، إشكاليات حول تكنولوجيا التعليم ، ط١ ، المنيا : دار الهدى .
٩٩) عبد الغنى عماد ، التعليم الدينى فى لبنان : الإشكاليات والمحددات ، منتدى الحوار لتجديد الفكر التربوى .
١٠٠) إيمان بدران ، (٢٠١٣م)، إشكالية التعليم بين الرسالة والحق والقانون ، دنيا الرأى .
١٠١) حسن ابراهيم الهنداوى ، التعليم وإشكاليات التنمية ، كتاب الأمه.
١٠٢) سامى محمد صالح ، إشكالية الديموقراطية : رؤية إسلامية ، ٢٠٠٦م
١٠٣) أحمد مرسال ، الخطايا العشر فى رياضيات ما قبل الجامعة ، دار ناشرى نت الإلكترونى : الكويت (٢٠١٢م).
١٠٤) حسانين معلوم ، المناخ العالمى الجديد والاهتزاز فى حوجز الدولة : إشكاليات وتداعيات ، دار ناشرى نت الإلكترونى : الكويت (٢٠١٢م).
١٠٥)ادريس ولد القابلة ، بحث لدراسة المنظومة الإقتصادية الإسلامية وإشكالية الفلسفات الوضعية والنهج الربانى ، دار ناشرى نت الإلكترونى : الكويت (٢٠١٢م).
١٠٦)يحى ابو زكريا ، الإرهاب وليد النض القرآنى او الحكم الطغيانى ، دار ناشرى نت الإلكترونى : الكويت (٢٠١٢م).
١٠٧) حميد الهاشمى ، عندما يكون التعليم سببا فى البطالة : مشكلة بطالة المتعلمين فى الوطن العربى ، دار ناشرى نت الإلكترونى : الكويت (٢٠١٢م).

١٠٨) فهد اللحيدان (٢٠٠١م)، الجامعة فى منزلك ، منشور بموقع : منتدى الكتاب، ٢٨-١-٢٠٠١م
١٠٩)عبد الله الموسوى ، (٢٠٠١م) ، استخدام حدمات الانترنت بفاعلية فى التعليم والتعلم ، محاضرة القيت بإدارة التعليم بالرياض .
١١٠) أحمد خامد منصور ، (٢٠٠١م) ، الإنترنت : استخداماته التربوية ، المنصورة : المكتبة العصرية.
[١١١] محمد علي حوات، العرب والعولمة.. شجون الحاضر وغموض المستقبل، مكتبة مدبولي، القاهرة،٢٠٠٢، ص١٧٤
* تتباين تسمية هذا النوع من الشركات بين كاتب وآخر، بين "متعددة الجنسيات" و"متعدية الجنسيات" إلى جانب عدد من التسميات الأخرى ، وسنعمل على ذكر التسمية التي توافق الاختيار الذي ذهب إليه كل كاتب نقتبس منه على حده.
[١١٢] إبراهيم سعد الدين عبد الله، النظام الدولي الجديد وآليات التبعية: آليات التبعية في إطار الرأسمالية المتعدية للجنسيات، ضمن ندوة التنمية المستقلة في الوطن العربي بتاريخ ٢٦-٢٩/إبريل ١٩٨٦ عمان، الأردن ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص٢٠ – ٢١
[١١٣] جنز بارتلسون، ثلاثة مفاهيم للعولمة، ترجمة سعيد زهران، مجلة الثقافة العالمية، العدد ١٠٦، مايو ٢٠٠١، ص٣٢
[١١٤] د. السيد هاشم ميرلوحي، أمريكا بلا قناع، ترجمة علاء الرضائي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص١٢٨
[١١٥] إياد شاكر البكري، عام ٢٠٠٠: حرب المحطات الفضائية، دار الشروق، عمان، ط١، ١٩٩٩، ص٢٥٩
[١١٦] غلام علي حداد عادل ، ثقافة العري أو عري الثقافة ، ترجمة عبد الرحمن العلوي، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠١، ص٤٠- ٤١

[١١٧] و. رسل نيومان، مستقبل الجمهور المتلقي، ترجمة محمد جمول، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦، ص١٣٣

[١١٨] المرجع السابق، ص١٣٤- ١٣٥ ، ويذكر أن هذه الطريقة لا تختلف كثيراً عن عمليات غسل الدماغ التي كانت تتم في المعتقلات السوفييتية الرهيبة- بهدف قلب قناعات المعارضين وتحويلهم إلى قطعان من "المواطنين الشرفاء".

[١١٩] أديب خضور، سوسيولوجيا الترفيه في التلفزيون، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٨، العدد ٢، أكتوبر- ديسمبر ١٩٩٩، ص٢٧٣

[١٢٠] المرجع السابق، ص٢٩٤

[١٢١] المرجع نفسه، ص٢٧٣

[١٢٢] عبد الوهاب زيتون، الغزو الثقافي..عوامله وأشكاله، دار المنارة، بيروت، ط١،
١٩٩٥، ص٣١- ٣٢

[١٢٣] الثقافة العربية في ظل التحديات المعاصرة، مركز زايد للتنسيق و المتابعة، أبو ظبي، يوليو ٢٠٠١، ص٥٥

[١٢٤] إياد شاكر البكري، ص٢٤١

[١٢٥] روجيه غارودي، أمريكا طليعة الانحطاط، تعريب عمرو زهيري، دار الشروق، القاهرة- بيروت، ١٩٩٩، ص١٠١- ١٠٢

[١٢٦] محمد علي حوات، ص٢١٥- ٢١٦

[١٢٧] سليمان إبراهيم العسكري، مجلة العربي، تصدر عن وزارة الإعلام الكويتية، العدد ٥٣٠، يناير ٢٠٠٣ ، ص ١١، نقلا عن كتاب (الثقافة في عصر الاتصالات) لعدة مؤلفين.

[١٢٨] في معرض نقده للديمقراطية، يقول أفلاطون في مدينته الفاضلة : "إننا في المسائل التافهة، مثل صناعة الأحذية، نعتمد على المختص في صناعتها لصنعها لنا، أما في السياسة فإننا نفترض أن كل شخص يقدر على إحراز الأصوات يستطيع إدارة المدينة أو الولاية، وعندما نصاب بالمرض فإننا ندعو لمعالجتنا

طبيبا أخصائيا حصل على شهادته ودرجته بعد إعداد ودراسة خاصة وكفاءة فنية، ولا ندعو في هذه الحال أوسم طبيب، أو أكثرهم فصاحة وزلاقة لسان، وعندما تصاب الدولة بالمرض ألا يجدر بنا أن نبحث عن خدمة وهدي أفضل الرجال فيها وأحكمهم وأعقلهم؟"
انظر: ول ديورانت، قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ص٣٠

ويذكر أن "شوارزنيغر" قد تم تنصيبه بعد عزل الحاكم السابق للولاية قبل انتهاء مدة ولايته وللمرة الأولى منذ عقد العشرينات، وذلك بسبب الأزمة المالية الخانقة التي عانت منها الولاية، ولكن وسائل الإعلام التي احتفت بنجاح النجم في وصوله إلى هذا المنصب، لم تشرح كيف سيتمكن من معالجة هذه الأزمة!

[١٢٩] غارودي، ص١٠٣

[١٣٠] المرجع السابق، ص١٠٣

[١٣١] جوزيف إميل مولر، الفن في القرن العشرين، ترجمة مهاة فرح الخوري، دار طلاس، دمشق، ط١، ١٩٨٨، ص١٢٨

[١٣٢] غارودي، ص ١٠٢

[١٣٣] ويذكر أن "فوكوياما" كان قد وجد من أحداث الحادي عشر من سبتمبر فرصة ذهبية للخروج من صمته، فما أن بدأت الحملة الأمريكية العسكرية على أفغانستان، حتى سارع بنشر مقالة جديدة في صحيفة " الجارديان" البريطانية بتاريخ ١١ أكتوبر ٢٠٠١، تحت عنوان "لقد انتصر الغرب"، انتقم فيها من كل خصومه الذين انتقدوا نظريته السابقة، وأكد على أن قاطرة الحداثة سوف لن توقفها أحداث مروعة كهذه مهما كانت، ولابد لها من أن تدهس كل من يعترض طريقها، لتنشر الديمقراطية وسياسة السوق الحرة على جثثهم. والأغرب من ذلك هو أن الديمقراطية التي يتشدق في تمجيدها لا يمكن لها أن تعيش - في رأيه- إلا في المجتمعات الغربية، وهي تلك التي كانت تدين بالمسيحية سابقاً، ثم تخلت عنها في سبيل العلمانية. ولكي يقطع الطريق تماما على كل من يحاول

التشبث بهذه القاطرة من غير ركابها الأصليين، فإنه يقرر أيضا أن سبب نجاح هذه المجتمعات الغربية ليس فقط في تخليها عن مسيحيتها، إذ يمكن لكل المجتمعات أن تتخلى عن أديانها، ولكن السر يكمن في أن الغرب قد تخلى عن التبشير بالمسيحية العالمية، فليس لأحد إذن أن ينتسب إلى هذه الديانة بعد الآن ثم محاولة التخلي عنها للحاق بالغرب!

[١٣٤] تركي الحمد، الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٩، ص٦٤- ٦٦

[١٣٥] إياد شاكر البكري، ص ٢٥٠

[١٣٦] المرجع السابق، ص ٢٥٠- ٢٥١

[١٣٧] محمد علي حوات، ص١٧٦

[١٣٨] الإمام الخامنئي، الغزو الثقافي .. المقدمات والخلفيات التاريخية، مؤسسة دار الولاية، بيروت، ص١٣- ١٤

[١٣٩] غسان العزي، سياسة القوة، مستقبل النظام الدولي والقوى العظمى، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت ٢٠٠٠، ص١٦٤

[١٤٠] عبد السلام المسدي، العولمة والعولمة المضادة، (كتاب سطور) ، القاهرة، ١٩٨٨، ص٨٥

[١٤١] المرجع السابق، ص٨٦

(١٤٢) من أشهر الجمعيات العلمية فى هذا المجال جمعيتان . الأولى وهى World Future Society ، التى تصدر مجلة The Futurist ، ودورية Futures Research Quarterly ، ودليلاً للمنظمات والدوريات فى مجال البحوث المستقبلية Futures Research Directory: Organizations and Periodical ، وكذلك دليلاً للأفراد المشتغلين بالدراسات المستقبلية Futures Research Directory: Individuals. للمزيد راجع موقع الجمعية على الإنترنت : www.wfs.org

أما الجمعية الثانية فهى:World Future Studies Federatrion ولها نشرة ربع سنوية بعنوان : Futures Bulletin وكذلك كتاب دورى بعنوانWorld Future Studies Federation Newsletter وعنوان موقعها على الإنترنت هو :

futures.orgwww.world

١٤٣) أنظر الفصل الثانى فى المجلد الأول من كتاب :

Wendell Bell, *Foundations of Futures Studies,* Transaction Publishers, New Jersey, 1997

:-الطرق المذكورة راجع [١٤٤] للاستزادة حول

R. Slaughter, *Futures Tools and Techniques,* Future Study Centre and DDM Media Group, Melbourne/Australia, 1995.

R. Slaughter (ed.), *The Knowledge Base of Futures Studies,* DDM Media Group, Victoria/Australia, 1996 (3 vols).

أنظر عرضاً أكثر تفصيلاً لبعض هذه الطرق مثل :-

نظرة عامة على أساليب التنبؤ ، ورقة ضمن المطبوعات التدريبية للمعهد العربى للتخطيط بالكويت ، قدمت فى برامج تدريبية متعددة خلال الفترة ١٩٩٢ - ١٩٩٥ .

السيناريوهات ، الورقة رقم (١) من أوراق مصر ٢٠٢٠ ، منتدى العالم الثالث ، القاهرة ، يوليو ١٩٩٨ .

[١٤٥] أنظر : الفريق المركزى والمنسق العام والمنسق المشارك لمشروع مصر ٢٠٢٠ ، بدايات الطرق البديلة إلى عام ٢٠٢٠ ، الورقة (٢) من أوراق مصر ٢٠٢٠ ، منتدى العالم الثالث ، القاهرة ، ديسمبر ١٩٩٨ ، ص ٥٩ و ص ٧١ .

[١٤٦] الدول المحورية Pivotal states . أنظر :

R. Chase, E. Hill, and P. Kennedy, "Pivotal States and U.S. Strategy", *Foreign Affairs,* vol., 75, No.1, Jan/Feb. 1996, pp. 33-51.

وفى هذا المقال تحددت الدول المحورية بالدول التسع التالية : المكسيك والبرازيل والهند وباكستان وإندونيسيا وجنوب أفريقيا وتركيا والجزائر ومصر .

١٤٧)وكان قد سبق ذلك كتابة د . إسماعيل صبرى عبد الله لورقة محفزة للنقاش بعنوان " مصر عام ٢٠٢٠ - ورقة بدائية فى موضوع خطير " . وقد وزعت هذه الأوراق وعدد آخر من الأوراق ذات الصلة على المشاركين فى المائدة المستديرة لتوفير خلفية علمية للنقاش.

١٤٨) ضمت اللجنة السداسية : د . إسماعيل صبرى عبد الله و د . إبراهيم سعد الدين عبد الله و د . محمد محمود الإمام ، وأعضاء اللجنة الثلاثية : د . إبراهيم العيسوى ، ود . على نصار ، ود . عبد الباسط عبد المعطى .

١٤٩) صدرت الوثيقة العربية عن منتدى العالم الثالث بالقاهرة فى نوفمبر ١٩٩٧ بعنوان " مصر ٢٠٢٠ - مشروع بحثى " ، كما صدرت النسخة الإنجليزية منها بعنوان : (Egypt 2020 - A Research Project كما صدر " عرض موجز للمشروع البحثى " فى = الكتيب الصادر فى يناير ١٩٩٨ بهذا العنوان باللغة العربية ، وفى الكتيب الصادر فى مايو ١٩٩٨ باللغة الإنجليزية بعنوان : Egypt 2020 - A Futures Research Project .

١٥٠) للمزيد حول هذه الدراسة ، أنظر :

Ibrahim El-Issawy and Alwaled El-Shafei, SMEE 1 : A Simulation Model of the Egyptian Economy , with special emphasis on economic - demographic interactions , Institute of National Planning , Cairo , memo. 1211 (external), Dec. 1977.

١٥١) أعيد نشر هذه الدراسة فى عدد حديث نسبياً لمجلة مصر المعاصرة ، أنظر :

Ismail Sabri Abdallah ,"Development of Egypt - Two Experiences and Three Scenarios", L' Egypte Contemporaine , no. 435/6, Jan/April 1994.

١٥٢) أنظر التقرير النهائى عن هذه الدراسة :

Ibrahim El-Issawy (Principal investigator), Population and Development in Alternative Egyptian Futures , Population and Family Planning Board, Cairo,Dec.1982.

ويعرف مشروع هذه الدراسة بمشروع إيدكاس ٢٠٠٠ (EDCAS 2000)

وقد صدرت عنه ١٤ ورقة عمل كتبتها نخبة ممتازة من الباحثين المصريين فى حقول معرفية مختلفة .

١٥٣) مما يؤسف له أن معظم أعمال مجموعة مصر ٢٠٠٠ لم تتجسد فى أعمال منشورة . ويمكن الإحاطة ببعض أعمال هذه المجموعة ، العدد (١٠) ، معهد التخطيط القومى ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

١٥٤) أنطوان وتصوراتها المستقبلية فى الورقة التى أعدها د . على نصار : حوارات حول مصر وتحديات القرن الواحد والعشرين ، سلسلة قضايا التخطيط والتنمية زحلان ، الوطن العربى سنة ٢٠٠٠ ، بيروت ، ١٩٧٥ .

١٥٥) أنظر عرضا وتقييماً لهذه الدراسة فى المقال التالى :

Ibrahim S. Abdallah ,"Arab Alternative Futures : Main Features, Implicit Assumptions, and Basic Conclusions", Arab Economic Journal, Autumn 1993.

١٥٦) أنظر العرض الموجز لهذه الدراسة فى :

Ibrahim El-Issawy, "Exploring the Future of the Arab Nation", Arab Economic Journal, Autumn 1992 أنظر التقرير النهائى عن هذا المشروع:12

OAPE and EINI, The Interdependence Project-General Report, OAPEC and EINI, Dec. 1985

١٥٧) مصر ٢٠٢٠ - كراسة دراسات المشروع البحثى ، منتدى العالم الثالث - مكتب الشرق الأوسط - القاهرة ، يناير ١٩٩٨ .

* وضع علامة * يشير إلى دراسة تقرر تحويلها بصفة استثنائية إلى ورقة بحثية فردية .

١٥٨) تعد هذه الدراسات استناداً إلى المادة المقدمة فى دراسات الفرق البحثية ، ولكن دون أن تقتصر عليها . وهى ليست مجرد دراسات تلخيصية للدراسات الفرعية ذات الصلة ، بل هى دراسات تسعى لتجاوز النظرة الجزئية المتضمنة فى تلك الدراسات الفرعية من خلال عمليات التركيب والاستخلاص من منظور أشمل وأعقد .

١٥٩) الفريق المركزى ، المنسق العام ، والمنسق المشارك لمشروع مصر ٢٠٢٠ ، الأسس النظرية والمنهجية لسيناريوهات مصر ٢٠٢٠ ،الورقة (٤) من أوراق مصر ٢٠٢٠ ، منتدى العالم الثالث - مكتب الشرق الأوسط ، القاهرة ، يوليو ١٩٩٩ ، ص ص ٨-١٣,

١٦٠) إبراهيم العيسوى ، السيناريوهات ، بحث فى مفهوم السيناريوهات وطرق بنائها فى مشروع مصر ٢٠٢٠ ، الورقة (١) من أوراق مصر ٢٠٢٠ ، منتدى العالم الثالث - مكتب الشرق الأوسط ، القاهرة ، يوليو ١٩٩٨ ، حتى ٢٤ وما بعدها .

١٦١) يوجد وصف للشروط الابتدائية لهذه السيناريوهات فى : الفريق المركزى والمنسق العام والمنسق المشارك لمشروع مصر ٢٠٢٠ ، بدايات الطرق البديلة إلى عام ٢٠٢٠ ، الورقة (٢) من أوراق مصر ٢٠٢٠ ، منتدى العالم الثالث ، مكتب الشرق الأوسط ، القاهرة ، ديسمبر ١٩٩٨ . وتحتوى هذه الورقة على ملخص للآراء التى قدمت فى الندوة التى عقدت لمناقشة الورقة ، ولرد فعل الفريق المركزى تجاهها . وقد قدم وصف أكثر تفصيلاً وتدقيقاً للسيناريوهات فى ورقة أخرى لنفس المؤلفين : الأسس النظرية والمنهجية لسيناريوهات مصر ٢٠٢٠ ، الورقة (٤)من أوراق مصر ٢٠٢٠ ، يوليو ١٩٩٩ .

٦٢) الورقة (١) : السيناريوهات (إبراهيم العيسوى) - الورقة (٢) : بدايات الطرق البديلة إلى عام ٢٠٢٠ (الفريق المركزى والمنسق العام والمنسق المشارك) - الورقة (٣) توصيف الأوضاع العالمية المعاصرة (إسماعيل صبرى عبد الله) - الورقة (٤) : الأسس النظرية والمنهجية لسيناريوهات مصر ٢٠٢٠ (الفريق المركزى والمنسق العام والمنسق المشارك) .

٦٣)الكراسة (١) : الجوانب التغذوية لأنماط الاستهلاك الغذائى فى مصر (على مرسى صالح) - الكراسة (٢) : نحو نموذج مصرى لتطويع التكنولوجيا الحيوية لخدمة أهداف التنمية (زيدان السيد عبد العال) - الكراسة (٣) : إنتاج واستهلاك الطاقة فى القطاع الزراعى (احمد المراعى إمام سل يمان) .

٦٤) التنمية فى عالم متغير - دراسة فى مفهوم التنمية ومؤشراتها (إبراهيم العيسوى) .

٦٥) الزراعة والغذاء فى مصر (محمود منصور ، نصر القزاز ، باسم فياض).

٦٦) قضايا البيئة والتنمية فى مصر (عصام الحناوى).

١٦٧) كتاب تحت الطبع .

١٦٨) القمة الإسلامية الاستثنائية يومي ٥و٦ ذي القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ٧و٨ ديسمبر ٢٠٠٥ م بمكة المكرمة .الدورة الاستثنائية الثالثة: برنامج العمل العشري لمواجهة تحديات الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين.

١٦٩) يحى ابو زكريا،(٢٠١٢م)،الغارة الأمريكية الكبرى على العالم الإسلامى،دار ناشرى نت ، الكويت .

١٧٠)الشيخ محمد إسماعيل المقدم ، المؤامرة على التعليم .

١٧١) عبد الغزيز الدورى ، المؤامرة والتاريخ .

١٧٢) محمود عبد الجبار النفرى ،(١٩٣٤م)، الغلو والمغالاة فى الإسلام ، مطبعة دار الكتب المصرية .

١٧٣)أمانى فؤاد، مؤامرة على الثقافة المصرية .

١٧٤)مصطفى محمود ، المؤامرة الكبرى .
١٧٥) عقيل حسين عقيل ، (٢٠٠٤)، منطق الحواربين الآنا والآخر ، بين حوار الأفراد إلى حوار أهل الحضارات والأديان ، دار المتاب الجديد المتجدد.
١٧٦) عبد الله ابراهيم ،(١٩٩٦م) ، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ، ط٢، المركز الثقافى العربى .
١٧٧) عمر كوش،(٢٠٠٢م)،أقلمة المفاهيم: تحولات المفهوم فى إرتحاله ، ط١، المركز الثقافى العربى .
١٧٨) عبد الله ابراهيم ،(١٩٩٩م) ، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة ، ط١، المركز الثقافى العربى
١٧٩) عبد الله ابراهيم ، (١٩٩٧م) ، المركزية العربية ، ط١، المركز الثقافى العربى .
١٨٠) حسن حنفى ، (٢٠٠٢م) ، المقدمة فى علم الإستغراب ، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .
١٨١) حسن حنفى ، المرجع السابق .
١٨٢) عبد الله ابراهيم،(١٩٩٦م)،معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، مرجع سابق .
١٨٣) محمد فتحى عبد الهادى (٢٠٠٠م) ، المعلومات وتكنولوجيا المعلومات على أعتاب قرن جديد ، القاهرة : مكتبة الدار العربية للكتاب .
١٨٤) شذى سلمان الدركزلى،(١٩٩٨م)،ثورة المعلومات والثقافة والتعليم ، أفاق الثقافة والتراث ، ع١,
١٨٥) عبد المنعم محمد حسين ، (٢٠١٢م)، رباعية الإبداع ، دار ناشرى نت
١٨٦)عبد السلام نجادات ، (٢٠١٢م) ، واقع نقل المعرفة والتشارك بها فى ظل العولمة ، المؤتمر العلمى الدولى : عولمة الإدارة ، جان الجنان ، طرابلس ، لبنان فى الفترة من ١٥-١٧ ديسمبر ٢٠١٢م

١٨٧) أحمد على، (٢٠١٢م) ، مفهوم المعلومات وإدارة المعرفة ، مجلة جامعة دمشق ، مجلد ٢٨، ع١,
١٨٨) عبد المنعم محمد حسين ، ٢٠١٢م) ، رباعية التميع ـ دار ناشرى نت الإلكترونية ، الكويت .
١٨٩) احمد مجدى حجازى ، (١٩٩٠) ، صناعة الفساد فى العالم الثالث ، مقولات فى أزمة العلاقة بين ثقافة النخبة وثقافة العامة ، القاهرة : مجلة كلية الأداب ، ع١، مجلد ٥٠،
١٩٠) مرتضى معاشى ،(١٤٢١هـ) ، المعلوماتية استباحة الفكر وتدمير الذات ، مجلة النبأن ع,٥١
١٩١) عبد الباسط عبد المعطى ، (١٩٧٩م)، الإعلام وتزييف الوعى ، القاهرة : دار الثقافة الجديدة ، نقلا عن : عبد الله بوجلال، الإعلام وقضايا الوعى الإجتماعى فى الوطن العربى ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية .
١٩٢) عواطف عبد الرحمن ، (١٩٨٤م) ، قضايا التبعية الإعلامية والثقافية ، الكويت : عالم المعرفة .
١٩٣) حسام مقلد (٢٠١٢م) ، التعليم فى العالم العربى ، منشور فى الإنترنت .
١٩٤) محمد عزت ،(١٩٨٧) ، أمريكا عام ٢٠٠٠م: استراتيجية للتربية، مرجع سابق.
١٩٥)أدجار فور وآخرون، (١٩٧٦م)، تعلم لتكون ، ترجمة حنفى عيسى ، ط٢، اليونسكو، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع .
١٩٦) محمد احمد الغنام ، (١٩٧٤م)، استراتيجية التربية فى العالم العربى ، اليونسكو: الحلقة الدراسية حول التجديد فى التربية فى البلاد العربية .
١٩٧) برنامج العمل العشري لمواجهة تحديات الأمة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين : القمة الإسلامية الاستثنائية يومي ٥و٦ ذي القعدة ١٤٢٦هـ الموافق ٧و٨ ديسمبر ٢٠٠٥ م بمكة المكرمة ، مرجع سابق

١٩٨) ابراهيم العيسوى(٢٠٠٠م)،الدراسات المستقبلية ومشروع مصر٢٠٢٠م ، مرجع سابق.
١٩٩) البرت سيف، (١٩٨٢م)، نظرة مستقبلية للمناهج المدرسية ، ترجمة منير محمود سويد ، الكويت : مجلة الثقافة العالمية ، ع,٦
٢٠٠) عباسى مدنى ، مشكلات تربوية فى البلاد الإسلامية ، مرجع سابق .

أ. د. عبد المنعم محمد حسين حسانين

أ. د. عبد المنعم محمد حسين حسانين
استاذ المناهج والتربية العلمية
كلية التربية بالوادى الجديد
وعميد كلية التربية بأسوان سابقا
جامعة اسيوط
٢٠١٥م